رواية

الرقصة الأخيرة

إيناس عادل مهنا

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

لا ترتبكي. دعي النغمات ترتّب وقع خطواتنا. إنني مثلكِ لا أجيد الرقص. ولكني أؤمن بسحر الموسيقى

بشاير الشيباني

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

المقدمة

طفولة كانت بالنسبة لكليهما أكثر من رائعة...

لم تشعر أنه ابن العائلة الثرية ...ولم يهتم لكونها مجرد ابنة لخادمتهم...بل كانت صديقته وصغيرته التي يحميها ويساعدها ويرعاها.

في طفولتنا لن نعطي بالا للفروق الاجتماعية أو الزمان والمكان ...

في طفولتنا سنكون أكثر صدقاً ووضوحاً . .

كان يمسك بيد تلك الصغيرة ذات الاعوام الخمس ويجعلها تدور...كراقصة باليه تربت على يديه ..

رقصتها الاولى كانت معه... وخطوات الباليه الاولى هو من علمها لها .... كان يتعلم ويعلمها بكل حب وبراءة .فهل سيحلقان معا ام سيلعب القدر لعبته؟ لنقرأ معا سطور رحلتهما....

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الأول))

الهدوء يخيم على القاعة جوٌ من الترقب من قبل الجمهور مع بدء موسيقى بحيرة البجع العذبة التي تسللت في جنح الظلام لتطرب مسامعهم إنتظاراً لتبدأ تلك الشابة برقصتها ،من الزاوية المعتمة للمسرح كانت متكورة على نفسها و ساكنةً بهدوءٍ تامٍ حتى أسقط الضوء عليها، قامت بهدوء من على الأرض ورفعت يديها في الهواء و بدأت بالدوران ببطئ ،ثنت قدمها بمهارة ،وشيئاً فشيئاً تعالى صوت الموسيقى وأسرعت بحركتها وبدأت برقص الباليه،الفستان الأبيض كان يتحرك مع جسدها بانسيابيةٍ تامة على خشبة المسرح متحدين وكأنهما روح واحدة .

في كل مرة ترقص فيها تنساب من الواقع لتسبح بعالمٍ آخر تختلقه بمخيلتها ،تنسلخ من واقعها الأليم الذي تعيشه لتنسى زمانها ومكانها ، وتتمرد روحها لتحلق مع طيور السماء وتتمايل مع تلك الأنغام العذبة بدقة وإحساسٍ فائقين .

فجأة غزا مخيلتها وواقعها بآن واحد، دائرةٌ ثانية من الضوء اخترقت ذلك الجسد الساكن في الركن المقابل.اقتحم عالم أحلامها وواقعها ليحولها لكابوسٍ مرعب، تعثرت قليلاً ولكنها حاولت جاهدةً العودة لضبط إيقاع جسدها مع المعزوفة قبل أن تتنبه اللجنة لذلك الخطأ .تمايلت قليلاً ثم جمدت كتمثال مطرقة رأسها أرضاً لحين أدائه لرقصته المجنونة..

اجتاح الأجواء موسيقى شيطانية صاخبة اختلطت بموسيقى بحيرة البجع .... وبدأ ذلك الشاب بالرقص مع الإيقاع بإتقانٍ كبير ، جوٌ غريب ومزيجٌ متقن بين الهدوء والغضب، الحب والكره، الحياة والموت

.تماماً كضربات قلبها الآن لمجرد رؤيته وتواجدها معه بنفس المكان، إحساسٌ تستشعره ككل مرة يتواجدان فيها معاً.

تقدم نحوها .... فتسارعت أنفاسها وهي تلعنه بسرها وتتحاشى نظراته الوقحة التي يختلسها لها بين رقصاته ، صدرها راح يعلو ويهبط بتوترٍ شديد

ابتسم بمكر وهو يتقدم ناحيتها ويحاوطها بذراعه، شدها إليه بقوة فرفعت رأسها تجاهه وهمست بحنق:

-لإن أرقص مع الشيطان نفسه أهون عليّ من مكوثي الآن بين يديك القذرتين .

نظر بعمقٍ داخل عينيها الزرقاوتين كلون البحر الثائر وأمسك كفها الأبيض الرقيق ثم قرب وجهه منها هامساً:

-لا مشكلة عندي إن أحببتِ يمكنني أن أكون شيطانكِ الخاص"

رفعها عالياً بخفة وعادت موسيقاها الهادئة من جديد، أنزلها بهدوء على الأرض وبدأت بالدوران ولكن معه هذه المرة.

تناسته وأغمضت عيناها ذات الأهداب الطويلة وغاصت مجدداً بعالم أحلامها الوردي الذي تهرب فيه من الواقع ....من أهلها ونفسها وماضيها واندمجت بكل رقةٍ في حركاتها الهادئة ليعاود انتشالها من جديد وبقوة اختطفها ورفعها عالياً كلعبة بيديه ودار بها على خشبة المسرح .

وفي المنتصف تماماً أقبلت دائرة ضوءٍ جديدة لفتاة جديدة ترتدي الأسود كحاله،ألقاها أرضاً بوحشية واتجه للأخرى... وكأنه تخلص من شيء لا قيمة له .

تساقطت عليهم حبات من الثلج الصناعي عندما بدأ بالرقص مع تلك الفتاة بقوة وعنف كإعصار مدمر مستعد لاقتلاع كل ما حوله والإضاءة تتراقص عليهما بجنون مع موسيقاه الصاخبة ،أما هي فكانت وحيدة تتحرك بهدوءٍ تام على إضاءة خافتة تعبر عن معاناتها الصامتة..

ابتدعت يارا هذه الرقصة من خوض تجربتها الشخصية ،من رحم معاناتها مع هذا العالم الموحش، اختلقتها ،لتمثل تصارع الخير والشر وتنازعهما في الحياة ،ابتدعتها ليخرج الاستعراض بهذا الجمال والرونق الذي بانت عليه.

..... اسمها يارا , قويةٌ كالبحر والإعصار

حورية البحر المتوحشة كما كانت تناديها والدتها قديما، ومنذ صغرها كانت تعشق البحر الذي تشاركه صفاته وغموضه ، تشاركه ثورانه وغضبه السريع ثم ما تلبث أن تهدئ كموج البحر تماماً.

*****

وقف رواد وحيداً يتوسط الفتاتين وهما تتمايلان من حوله وبدأ بالتخبط بينهما...تارة ليارا الهادئة الراقية بحركاتها وأسلوبها وتارة للأخرى الصاخبة المجنونة العنيفة السوداء ،صوت تصفيق حاد خرج من الجمهور لروعة هذا المشهد المعبّر ،

موسيقى قوية تخابطت الحانها فسقطت يارا على الأرض وهمدت حركتها لينتصر الشر في نهاية استعراضها كما انتصر تماماً في حياتها ،

لينتصر رواد مع سودائه التي رفعت يديها عاليًا وهو ينحني أمامها بطاعةٍ تامة ثم ما لبثت أن عادت الموسيقى للهدوء من جديد شيئاً فشيئاً حتى تلاشت الأصوات وانحنى الثلاثة للجمهور.

همهة من قبل الحضور تلاها هتافٌ عالٍ وتصفيقٌ حاد جعل نبضات قلبها تتسارع وهي تلتمس نجاحها الآن بأعينهم بعد كل تلك الأشهر من التدريب الشاق ..التمست بصيص أملٍ في الحصول على البعثة التي طالما حلمت بها لتهرب فيها إلى البعيد ، أمسك بكفها وبيد تلك الفتاة الأخرى وغادروا خشبة المسرح .

وخلف الستارة الحمراء المخملية نزعت يدها منه ونظرة تكاد تسحقه بها وركضت إلى حجرة تبديل الملابس استلقت على الأريكة بإنهاك وتنهدت بعمق كاتمةً دمعها الذي تجمع لفرط سعادتها .

دخل خالد مدير الفرقة بعد فترة ساعة تقريباً وهو يلوح ببطاقةٍ ذهبيةٍ بيديه وابتسم ابتسامة الأب الحنون قائلاً:

-ها قد تحقق حلمنا أخيراً، حصلتِ على البعثة عزيزتي....حصلنا على البعثة يا غاليتي الصغيرة.

وضعت يديها على فمها مانعة صوت ضحكاتها العالية حتى قلبت ضحكاتها لبكاءٍ هستيري، ربت على كتفها مشجعاً:

الآن يا صغيرتي أقول أنك صعدتِ أولى درجات النجاح.

غادر خالد ليخبر البقية وسط ذهولها ..فإلى الآن لم تصدق أنها نجحت أخيراً وحصلت على الشيء الذي كانت تسعى إليه طويلاً،،أخيراً بدأت حياتها بالتحسن أو هكذا ظنت !!!

خرجت ليلاً وكانت السماء ملبدةً بغيومٍ سوداء تنذر بهطول أمطارٍ غزيرة ،رفعت رأسها تتأمل غضب الطبيعة الأسود فأوقفها صوته العميق قبل أن تكمل المسير :

- يارا ....توقفي.

عرفت صاحب هذا الصوت و توقفت ،لكنها لم تستدر باتجاهه بل شدت معطفها الأحمر إلى جسدها أكثر وكأنها تلتمس به الأمان و الدفئ .تقدم رواد نحوها بخطى ثابتة قائلاً ً بلهفة :

-لقد حققتِ حلمك أخيراً...مبارك

ومد يده لمصافحتها ،لاستشعار هذا الدفئ الجميل الذي افتقده طويلاً ولكنها رفعت نظرها تجاهه باحتقار وشبح ابتسامة ارتسم على شفاهها الوردية ثم هزت برأسها واجتازته مغادرة ، ليلحق بها قلبه ويتركه وحيداً ، شدّ على قبضة يده بقوةٍ ووقف يلاحقها بعينيه حتى اختفت .

وسارع الخطى لمنزله غير آبهٍ بالمطر الذي اشتدّ وبدأ بضربه وكأنه سياط يجلده على شعره ووجهه وجسده وقف قليلاً على الجسر ونظر إلى البحر الهائج أمامه .تذكر غضبها المجنون و ابتسم رغما عنه مرددا-ولكن ما ذنبي أنا !

ظل يردد تلك الكلمة طويلاً جداً،منذ ذلك اليوم المشؤوم وهو يرددها .

إستند بمرفقيه على العارضة الحديدية وتمتم بخفوت

-أيجب أن نحمل أخطاء غيرنا ببساطة هكذا!؟ ....

آه يارا...كم تحملين هاتان العينين من غضب وحقد وكره"

ضرب بيديه على العارضة وصرخ ملئ حنجرته:

-لن استسلم يا يارا ":

ثم غادر المكان حانقاً غاضباً وكأن جنون رقصته تلك لم ينتهي الليلة ، وصل إلى المنزل وصرخ بخادمته العجوز، كان يختلق الشجار لأتفه الأسباب ويصب جام غضبه عليها وتلك المسكينة تكون دائماً ضحيته الوحيدة التي لاحول لها ولا قوة ،ثم مايلبث أن يتأسف منها ويقبل جبهتها معتذراً.

ولكن لما لا تكون ضحيته الوحيدة ، أوليس وحيداً معها بهذا المنزل الكبير فبالتالي من حقه عليها أن تتحمل مزاجه القاسي والمتقلب وخاصة أنها هي اعتنت به فعلياً كل تلك السنوات.

****

الفصل الأخير بقلم إيناس مهنا

((الفصل الثاني))

((ومضات من الماضي))

ركض الصغير تجاه شقيقته النائمة وصرخ بها :

-انهضي أيتها الكثولة تتتأخر"

وبدأ يهزها بعنف لتستيقظ،شعرت بانزعاجٍ شديد ودفعته بعيداً عنها:

-أتركني يا ولد..أريد أن أنام.

-أنا ولد يا ثمكة القرث المتوحث!!

نهضت تلك الصغيرة فجأة بشعرها المبعثر وقد استبد بها الغضب ونادت بأعلى صوت:

-سأريك يا داني ،أمي يا أمي.

جاءت والدتها مسرعة على صوت صراخها العالي تتساءل بقلق:

-ما بك يارا لما الصراخ.

-إن داني ينعتني بسمكة القرش المتوحش مجدداً.

خطت الأم إلى داخل الغرفة وقالت مؤنبة :

-كم مرة علي أن أخبرك ألا تصف أختك بهذا اللقب داني ؟

وسحبته من يده لتخرجه من غرفتها فوقفت يارا قربه دون أن تلحظ والدتها وقالت بمكر :

-يا ذا اللسان الأقرط"

****

وفي الصالة تقدمت رزان من ابنتها ، مسحت على شعرها بحنو بالغ وهمست :

-أحزري ماذا صغيرتي.

نظرت يارا لعيني والدتها لتكمل حديثها:

-ستذهبين إلى نادي الباليه اليوم بعد المدرسة "

حدقت يارا باتساع بعينيها البحريتان و قالت بعدم تصديق: حقاً !.

أومأت لها رزان فصرخت بقوة:

- أحبك ماما.أنتِ ...أنتِ أعظم ماما في الدنيا .

نفخ داني ماطاً شفتيه الصغيرتين ثم قال:

-هيا يا بنت تتوبخني المعلمة إن تأخرت.

-حسناً الحقي به حبيبتي ، داني اعتني بها جيداً .

-حاضر ماما .

قبلتها وركضت تتقافز خلف توأمها لتلحق به.

اقترب جابر من زوجته وعاتبها فهو بالكاد يستطيع تأمين احتياجاتهم ومتطلباتهم لا يستطيع تحمل عبئٍ آخر فوق كاهله ،لكن رزان تعرف جيدًا شغف ابنتها برقص الباليه، هو حياتها وحلمها الذي لن تسمح لأحدٍ بأن يسلبه منها ، لذلك ربتت على كتفه وطمأنته بأنها ستتصرف ، وهاهي بعد مغادرة زوجها دخلت غرفتها وحملت صندوقاً قديماً وأخرجت منه قلادةً ذهبية.

تأملتها لبرهة فدمعت عيناها حزناً فهاهي ستضحي بآخر ذكرى من والدتها في سبيل تحقيق حلم صغيرتها .

تنهدت وقد استرقت نظرةً أخيرة للقلادة قبل أن تذهب إلى السوق لبيعها.

****

يقولون أن الرقص هو قتال من نوع آخر أكثر عمقاً وصدقاً فيه تتخلع عنك كل القيود وتتحرر بنفسك وجسدك ، وهاهي الآن قد شغلت الموسيقى المعتادة وعاودت الرقص ،انسجمت كلياً بها وبدأ شعرها الكستنائي الذي لم تعقده كعادتها في التدريب يتطاير معها بكل حرية ، بفستان باليه بسيط ذا لون وردي ناعم بشريطةٍ كبيرةٍ على ظهره، اندمجت لدرجة أنها لم تلمح رواد الذي اتكئ على

الباب ناظراً لها وعيناه تتراقصان فرحاً لرؤية شغفها الجميل فيما تفعل ، ببساطة كان مجرد رؤيته لها على هذه الحالة لوحة متكاملة لا يمل النظر إليها ...

ودون إرادةٍ منه بدأ بالتصفيق ، تفاجأت ووقفت بمكانها وصرخت به وهي تلهث :

-يا لوقاحتك !..ماذا تفعل ألم تتعلم أن تصدر صوتاً عند دخولك.

قال وهو يتقدم تجاهها:

-اعذريني آنستي ولكن سؤالك غبي .

نظر لعينيها اللتين ستنفجران بأية لحظة وأردف بمكر.

-ألم تلحظي قبلاً أني شريكك بالرقص وسأفعل هنا ما تفعلينه بالضبط وسآتي بأي وقت أشاء..

اقتربت منه أكثر وهي تهتف بعصبية:

-العرض انتهى وتدريبك كذلك، ماذا تريد مني أكثر أخرج من حياتي الآن، هذا كان اتفاقنا منذ البداية.

قهقه لاستفزازها قائلاً بسعادةٍ لا توصف :

- يؤسفني أن أقول لك " واقترب أكثر هامساً بأذنها :

- البعثة ستكون لكلينا يا صغيرة "

وأشار بيده إليها وإليه ثم أردف بمكر :

-العرض لم يكن لينجح لولا جهودي الشيطانية على حد قولك "

وتركها تغلي غيظاً وغادر لاستبدال ملابسه فصرخت بحنق:

-مغفل ...غبي.

أطل برأسه من خلف الباب مجدداً وأكمل عنها:

-غبي...حقير...لئيم...مغرور أنسيتِ شيئاً بعد !!؟.

ضربت الأرض بقدمها وكانت ستعاود سيل الشتائم الذي لا ينتهي لمجرد رؤيته ولكنه كان قد غادر تاركاً إياها ستنفجر بأية لحظة

حدجت الباب بنظرةٍ حاقدة وكأنه ما يزال أمامها وجلست على الأرض تعاود سيل الشتائم

ضحك خالد وهو يخطو داخلاً ليراها على هذه الحالة .

-أقسم أني لو لا أعرفك لقلت أنك مجنونة .

-لقد بدأت بالجنون فعلياً من ذلك المغفل.

-اهدئي عزيزتي ...تعرفين أن شرط اللجنة الوحيد لوقوفك على هذا المسرح والسفر هو تواجده معك.

-وهذا ما يحيرني حقاً..لما قيدوني بذلك المتعجرف..أيعقل أنه رشاهم بنقوده !؟

-لا أعلم حقيقةً..لكن لا أظن أن معهدا بمستواه سيقبل رشوة ليسوا بتلك السذاجة....لكن دعينا منه الآن سفركما سيكون الشهر المقبل لذا استعدي.

-حسناً أنا مس _مهلاً _سفرنا أنا وهو !!! أتقصد أنك لن ترافقني.

-لا طبعاً..لدي معهدا أديره هنا .

- سأضطر إذاً لمرافقة الأحمق إلى هناك.

لكن لما تكرهينه لهذه الدرجة ؟

استوقفتها كلمته فاكتسى الوجوم ملامح وجهها الرقيق الأبيض وهزت رأسها :

-لا تشغل بالك بهذا خالد.

شعر خالد بالشفقة حيالها ، لو تكلمت وأخبرت أحداً الحقيقة لأزاحت عن كاهلها عبئ الألم الثقيل لكن يارا لن تفعل هو يعرفها، لذلك غير الموضوع فوراً :

-حسناً إذن ... اعتبري نفسك بإجازة لحين استكمال أوراق السفر و توضيب نفسك .

خرجت من المعهد وصارت تمشي وتتأمل الطريق المرصوف بالحجارة ، كان الجو جميل اليوم والنسيم العليل يداعب أوراق الأشجار مصدر أًصوت حفيف ناعم لكنها لم تعد تشعر بالجمال مؤخراً، كلما أرادت نسيان الماضي يقتحمها بذكراه ليحطمها أكثر .

يطاردها ماضيها من خلال رواد الذي تتمزق كل يوم تراه فيه ولا تستطيع الهروب منه إلا إليه !!

عادت إلى منزلها البسيط القابع بإحدى الأحياء الفقيرة في المدينة وبدأت بترتيب حاجياتها وبصراحة أكثر ...لا تحتاج إلى مجهود في ذلك لأن شقتها صغيرة جداً ومقتنياتها بسيطة وقليلة...فتحت باب خزانتها ونظرت مطولا لها وحدثت نفسها بأسف :

- كيف سآخذ هذه الألبسة القديمة إلى ذلك المعهد الفخم

استلقت على السرير ناظرةً للسقف بحزن ،تخيلت والدتها تبتسم وتطمئنها ، في كل مرة تحزن بها تختلق حواراً معها...تضحك معها وتبكي بين أحضانها وتخبرها عن كل ما حصل، هذه هي طقوس كل يوم التي اعتادت عليها منذ أكثر من خمس سنوات .تشجعت بعد أن أيقنت أن كل شيء سيكون على ما يرام ، ومع انشغالها في الترتيب وقفت أمام مرآتها الكبيرة ابتسمت وانحنت بطريقة مسرحيةٍ وهي تتخيل هتاف الجمهور وتصفيقهم الحار.

لكم تمنت أن تصبح إحدى أكثر راقصات الباليه شهرة ولكنها انتهت مجرد مدربة باليه للفتيات الصغيرات في هذا المعهد البسيط لكي تستطيع إعالة نفسها وخاصة بعد تلك الحادثة التي قلبت حياة أسرتها رأساً على عقب، ومنعتها من تطوير مهاراتها في الرقص.

****

ومضات من الماضي ...

دخل خالد القاعة وسط تدريبها للفتيات وصرخ بها

تعالي لمكتبي فورًا "

انتفضت على صوت صراخه الغير مبرر ولحقت به بتوجس..ومإن خطت عتبة الباب حتى تعالى صوت ضحكاته،تبسمت بارتباك وهي تشيح ببصرها عنه ، فدائماً ما تنطلي عليها خدعة تقاسيمه الغاضبة ، وبعد أن تمالك نفسه أخيراً أخرج

ورقة من درج مكتبه وناولها إياها بابتسامة تعلو تقاسيم وجهه ، قرأتها و لم تبد أية حماسة وقالت بكل برود :-إذاً ؟

-يارا ! ...إنه عرض مغر حقاً لما كل هذا البرود.

ألقت الورقة على طاولة المكتب وقالت بلا اهتمام:

-صدقني خالد ...لا أريد أن أتمادى في حلمي لا ينقصني صدمات أخرى يكفيني ما تعرضت له .

نهض من خلف مكتبه متنهداً وسألها :

-لما كل هذا التشاؤم .

ابتسمت ابتسامة ساخرة وأجابته:

-لست متشائمة ولكني أعرف نفسي جيداً ...الحظ العاثر يطاردني أينما ذهبت .

-لن تخسري شيئاً ....على كل حال لقد سجلت اسمك سابقاً لتشاركي .

-أأنت جاد!!! وقبل أن تأخذ برأيي .

-نعم و ببساطة طلبوا مشاركةً من معهدي المتواضع ولن أضيع فرصة ترشيحك لإبراز مستوياتنا التقنية فلا ننقص عن المعاهد العالمية في شيء ... والآن هيا تدربي جيداً ومن يدري هناك احتمال كبير جداً أن تفوزي وتحصلي عليها .

-صدقاً أتمنى ذلك .

كادت أن تهم بالمغادرة لولا استوقفها قائلاً:

ولكن هناك شرط وحيد للاشتراك :

التفتت إليه وحكت شعرها بعصبية:

- قلت لك ان لا حظ لي ...أتوقع الآن أن تنسف فرحتي كلها .

-اهدئي الأمر بسيط جداً..يجب أن يكون معك شريك او اثنان بالرقص..لن تؤدي عرضاً بمفردك.

-مهلاً....لم أفهم؟

وتقدمت تجاهه مكتفة يداها ببعضهما لتستفهم أكثر

-سيختارون شريكًا لتقدمي معه عرضاً على خشبة المسرح ولكن يجب أن يكون العرض من تصميمك وابتداعك....هذا كل ما في الأمر .

-والشريك من أي معهد سيتقدم.

حدق فيها وتلعثم قليلاً...ثم أجابها :

-من...من معهدنا عزيزتي.

تنهدت ارتياحاً لأنها على علاقة طيبة بكل الراقصين بهذا المعهد فلم تعط بالاً للموضوع ولكن كنوع من زيادة المعرفة سألته.

-حسناً ومن سعيد الحظ ذاك.... وسيم أم وائل ام حسان ..ولربما روان!

-اووه اهدئي قليلًا يا فتاة لا أظن أنك سترددين أسماء الجميع الآن ستقابلينه غداً

ضيقت عينيها وقد شعرت بشيء خفي من وراء غموضه هذا قائلة له:

-سنرى إذاً إن غداً لناظره لقريب.

*****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الثالث))

انتشلها من هتاف الجمهور الحار صوت انفراج الباب وخطت روان زميلتها في المسكن إلى الداخل ملقية السلام :

-جيد جداً بدأت بتوضيب أمتعتك من الآن .

-نعم كما تعلمين موعد سفري بعد ثلاثة أيام أريد أن أرتب أغراضي بتروٍ لكي لا أنسى شيئًا .

-بالتوفيق لك ولكن مهلاً...هذا القط المسكين ما الذي سيحل به ؟

و مسحت براحة يدها على ظهر القط النائم على الأريكة.

تبسمت لها قائلةً بحماس :

-ميمو.....طبعًا لن أتركه معك يا شريرة سأنهي أوراقه الرسمية و سآخذه معي .

-آه لكم أتمنى أن أكون مكانك يا ميمو .

قهقهت يارا عالياً على كلام صديقتها

ثم تغيرت ملامحها فجأةً ودفنت و جهها بيديها وهي تجلس على الأريكة وهمست بتوتر :

-أنا خائفة روان صدقاً ،أرتجف هلعاً لا أريد أن يتكرر الأمر معي مرة ثانية .

قامت روان وانتقلت إلى جانب يارا وضمتها قائلة:

-أنا متأكدة أنك ستتخطين الموضوع عزيزتي.

ثم ما لبثت أن قامت وقالت بطريقة لطيفة وهي تلوح بيديها..

اسمعي عندما تصعدين ...خذي نفساً عميقاً و أغمضي عيناكِ وتخيلي أنك ترقصين الباليه وتحلقين عالياً

ستشعرين بتحسن صدقيني.

-ولكن إن لم ينجح الأمر.

-سينجح حبيبتي ...سينجح أنت فقط توكلي على الله و لا تتوتري وكل شيء سيكون على ما يرام ، عشرات الرحلات تقام يومياً وجميعها آمنة.

****

عاد رواد من المعهد مساءاً إلى شقته استبدل ملابسه و ارتمى بجسده على سريره يفكر فيها ...

وهل يوجد بحياته وعقله وتفكيره وقلبه سوى صغيرته الغاضبة المكسورة ، تذكر كيف تلقت الخبر بمشاركته لها بصدمةٍ كبيرة ففي كل مرة يتذكرها يبتسم لتصرفاتها الطائشة الصبيانية وكلامها اللاذع ....رغم أنها تأذت كثيراً بسبب أسرته إلا أنه لم يستطع نسيانها...كل تلك السنوات وحبها كان ينمو بقلبه ويستحوذ على تفكيره وعقله .

فبذلك اليوم بالمعهد دخلت القاعة لتتعرف على سعيد الحظ الذي سيشاركها التدريب ، وما إن رأته حتى بهتت ملامحها فجأة إرتعش جسدها وكأنها قد تلقت صفعةً قوية، فبعد كل تلك السنوات من الألم والعذاب تراه أمامها وكأن الزمن قد توقف فجأةً عندما تعلقت عيناهما ....ازداد هو جاذبيةً عن السابق، وازدادت هي فتنةً وجمالاً تمنى لحظتها أن ينتشلها ويضمها إلى صدره، أن يعتصرها بين ضلوعه أن يستشعر وجودها الآن وهي على بعد عدة خطواتٍ فقط .، تمنى لو يبثها أشواقه ويخبرها عما جرى له طيلة سنوات،.تجرأ وخطى نحوها قليلًا يهمس :

-يارا .

وأبت الكلمات أن تخرج ، تحجر الدمع في مقلتيها تحركت شفاهها بالكاد تنطق:- أنت !

استدرك خالد الموقف وقال بمرحٍ زائف وهو يربت على كتف رواد:

-أيتها الشابة هذا رواد سيكون شريكك في الرقص.

نظرت بصدمة و غضب لهذا الشخص الواقف أمامها .

-بأحلامك أن أشترك مع قذر مثله، كنت أعلم أن هذا الأمر لن يكتمل معي ... كنت أعلم أن فرحتي لا تكتمل أبداً ، لا يليق بي الفرح ، عن إذنك خالد سأذهب .

تركتهما مغادرة ولكنه ركض خلفها وأمسكها من معصمها بقوة فالتفتت تجاهه.

-ما هذه الوقاحة التي أنت بها؟! ..

أبعد يدك عني ...وأنت خالد أيعقل أن تجلب لي هذا ليكون شريكاً لي ، لقد كذبت علي ولن أسامحك ،ألم تجد شاباً سواه بكل المدينة ؟

ادّعى خالد عدم الفهم وقال:

-يارا اهدئي قليلاً لما الانفعال...هل تعرفين رواد من قبل؟

ولكنها آثرت الصمت وهي تتفرس بمعالم رواد التي اختلفت قليلا بسبب سنين بعدها عنه ...عيناه كانتا ملاذها الآمن سابقاً إلا أنها الآن تبغضه ،بقيت تنظر إليه بدموع مختنقة حتى بادلها نظراتها بحدة و قال بجدية :

-أستاذ خالد هل بإمكانك أن تتركنا بمفردنا قليلًا.

التفتت يارا إلى خالد وصاحت :

-لا طبعاً لا تتركني معه ....لا يوجد ما نتكلم به هل فهمتني .

نظر خالد مبتسماً لها ثم ربت على كتفها لتهدأ وتركهما مغادراً، أدرات وجهها وتعمدت تجاهله حتى ابتدأ الحديث.

-بالمناسبة .. هذه ليست طريقة لبقة لمقابلتي بعد تلك السنوات.

-آوه حقا ....آسفة جلالتك "

ثم أردفت بحنق- كان علي أن أبصق على وجهك "

تمالك نفسه وأمسك معصمها وشدّ عليه بقوة مقترباً أكثر ليقلص المسافات بينهما وقال مشدداً على حروفه : .

-أنا للآن احترم كونك ابنة العم جابر رحمه الله لاتضطريني لأن اتعامل معك بأسلوب آخر وتعرفين جنوني .

-قلت لي العم جابر !

واشتد صراخها عليه وهي تحاول إفلات يدها من قبضته .

-العم جابر الذي دمرتموه وشردتم عائلته ؟ إترك يدي أنت تؤلمني رواد..

ولكنه لم يفلتها بل شدّ عليها أكثر يهمس :

-من الجيد أنك مازلت تذكرين اسمي

كان كلامها كالسكين يطعن قلبه العاشق كلما تذكر ما حل بها لكنه وقع ضحية مثلها بكل ما جرى لا ذنب له أبدا .فأردف بخفوت...

-تعرفين أنه لا علاقة لي بالأمر، أنا ...أنا صدقا يارا ..

تلعثم وضاعت حروفٌ كاد ينطقها فما كان منها إلا أن تنحني وتعضه من يده بلحظة فصرخ بصدمة.

- أيتها المجنونة...لما عضضتني ..

رفعت رأسها بلؤم صارخة بعد أن أفلتها :

-لأني قلت لك أبعد يديك القذرتين ولم تفعل ...لا تلمسني مجددا وإلا لن يحصل خيرٌ أبدا

بلغ غضبه لأشده من مجنونته الصغيرة فاعتصر ساعدها تحت قبضته وجرها بعنف و رماها على المقعد انحنى و ضرب بيديه عليه محاصراً إياها شعر بتوترٍ يزلزل كيانه ، فهاهي صغيرتي الآن على بعد عدة سنتيمتراتٍ فقط ،اقترب قائلاً بحنو :

-دعينا نتكلم مثل الخلق الآن وبدون هذه التصرفات الغبية

-أنا !كيف تجرؤ أيها....

فقاطعها هاتفاً :

-بغض النظر عن كل ما حصل في الماضي إلا أن هذه المسابقة يجب أن تشاركي فيها هذا مستقبلك .

نظرت له مطولاً ثم قالت بتحد:

-لن أشارك معك ..

-ستتخلين عن حلمك إذاً بهذه البساطة.

-نعم .

-لأنك جبانة.

-لا....لأني أكرهك.

اغمض عينيه بألم ،ابتعد عنها قليلاً ومشى خطوتين إلى الأمام واضعاً يديه في جيبي بنطاله الجينز .

-هذه مشكلتك عزيزتي..ومع الأسف ستضطرين لمشاركتي ..

-بأحلامك.

ولكنه ابتسم بمكر :أحلامي ستتحقق صدقيني.

ببساطة تم اختيار الثنائي المشارك من كل المعاهد التي في المدينة ولم يبقى غير هذا .

اتسعت ابتسامتها وقد ظنت أنها تغلبت عليه:

-ولكنك لست منتسباً لهذا المعهد.

اقترب منها أكثر محاصراً إياها بنظراته الجريئة مردفاً:

-مع الأسف أيتها الجميلة ...أنا منتسب له حتى من قبل أن تلدك أمك وطلب مشاركتي أرفقه خالد مع طلبك وتم الموافقة عليه بعد أن اطلعوا على سجل مشاركاتي الفنية .

اتسعت عيناها وحاولت فهم ما نطقه لتوه حاولت أن تتحاشى نظراته المستفزة ثم صرخت وهي تدفعه بقوة من أمامها:

-أريد أن أفكر .

وقف أمام النافذة الكبيرة مجيباً :

خذي وقتك أميرتي.

وطبعاً بعد أن حوصرت من كل الجهات قبلت بشروط أهمها ألا يتحدث معها أبدا إلا ليتناقشا بشأن التدريب.

وأن يتركها وشأنها بمجرد انتهاء العرض .

****

طرق الباب و دخلت عليه خادمته العجوز لتنتشله من شروده

- رواد بني ..إن أستاذ خالد في الأسفل يريد مقابلتك"

اعتدل بجلسته مجيباً :

-حسناً جميلتي سأنزل فوراً .

****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الرابع))

ومرت ثلاثة أيام وهاهي الآن على متن الطائرة المتجهة إلى باريس، جلست على مقعدها تحاول إخفاء توترها ....فها هي المرة الأولى التي تصعد بها على متن طائرة بعد الحادث المروع الذي تعرضت له مع أسرتها ...شدت بقبضتها على مسندي الكرسي بخوف بعد أن طلبت المضيفة أن يضعوا حزام الأمان لأن الطائرة على وشك الإقلاع.

-دعيني أساعدك" همس لها رواد برقة

فأجابته بتوتر واضح:لا أحتاج مساعدتك .

وحاولت أن تضعه ولكن لشدة خوفها وارتباكها لم تستطع بقت تقلبه بيديها حتى زفر ضيقاً من عنادها وانحنى ليثبته وهي تشيح بنظرها إلى النافذة حتى انتهى وهمس مجدداً بخفوت :..لم ينقص منك شيء لاقترابي .

تجاهلته وما إن بدأت الطائرة بالارتفاع حتى أغمضت عيناها وانكمشت على نفسها بخوف وهي تردد بسرها...

نجني يا الله ،لن يحصل شيء ..لن تسقط الطائرة

استوت الطائرة بالسماء لكن قلبها مازال مضطرباً وكان رواد طول الوقت ينظر لتعبيرات وجهها الجميلة الخائفة وعرف فيما تفكر الآن أمسك يدها علها تستجمع بعضاً من قواها وكم كانت بهذا الوقت بحاجة لما تتمسك به ليزيل عنها هذا الرعب الذي دبّ بأوصالها ،فاعتصرت قبضته بيدها بدون إرادة منها فاتسعت ابتسامته حتى انتظمت أنفاسها أخيراً فقال لها بلهجة عاشق متيم :

-افتحي عيناكِ الآن يا حورية البحر المتوحشة .

فتحت عيناها فجأة إثر كلماته ونظرت له ببلاهة وقد عادت بها ذاكرتها لزمن طويل جداً ....عندما كانت أمها تلقبها بهذا اللقب...شعورٌ محير انتابها حينها وهي تنظر لعينيه العسليتين الصافيتين بعمق ...ثم قال بنبرة لطيفة أكثر:

-لا تنظري لي هكذا"

وأكمل باسماً:

- ولكن المضحك بالأمر أني أول مرة بحياتي أرى حوريةً تحلق في السماء.

لا تدري لما عادت ضربات قلبها المجنونة الآن تعلن تمردها كما السابق ولا تعلم لما انتابها قلقٌ مفاجئٌ من المستقبل أراد أن ينطق ، انفرجت شفتاه ثم ضمهما مجدداً و.أدار وجهه متنفساً بعمق.

وعادت يارا لتشيح بنظرها عنه، وشردت بنافذة الطائرة ولكن الملفت أنها نست يده التي تقبض عليها بقوة لتشعر بالأمان.شعور متناقض أليس كذلك.

الشاب الذي تهرب منه لأنه يذكرها بعذاب الماضي وآلامه تتشبث به الآن وبقوة وكأنه المخلص الوحيد لما تعاني منه.دمعت عيناها عندما رأت على النافذة ذلك الحادث...ارتسمت ملامحه على الزجاج .. وفي ثنايا عقلها وروحها المعذبة ،المحرك الذي تعطل في الجوّ .. المضيفة التي تردد بتوتر واضح :

-ضعوا حزام الأمان ...لا تخافوا ...كل شيء سيكون على ما يرام ..ابقوا هادئين .... حتى فقدت أعصابها و ألقت صرخةً مدوية عندما بدأت الطائرة تتهاوى وسقطت المضيفة وأرتطم رأسها بحافة المقعد وصار ينزف

و أصيب الركاب بالهلع وصاروا يصرخون ... ثم شعورها بسقوط الطائرة وسط المحيط.

ما زالت تذكر كيف دفنت رأسها بأمها وتشبثت بها وهي ترى النهاية بعينيها ..نظرت بهلع من حولها و رأت دماء الركاب التي نفرت بسبب اصطدامهم بعشوائية . الدم الذي بدأ يسيل على زجاج النوافذ الصغيرة . أخاها داني وقد همدت حركته بسبب ضربةٍ قويةٍ تلقاها من حقيبة سقطت على رأسه...بجانبها ..رأت وجهه الذي تمزق و أغرق بالدماء وأخيراً المياه التي بدأت تخترق الطائرة بعنف لتغرقها والظلام الذي تلا تخبطها و اختناقها ولا تعلم كيف نجت بأعجوبة .

هربت الأم بولديها من جحيم أبي رواد لترى جحيم الغرق..هربت من الموت على يدي ذلك الوحش لتموت بالبحر فالقدر لا مهرب منه ولا مفر.

ثم استيقظت مرة أخرى لتدرك أنها في المستشفى..نجت مع قلةٍ قليلةٍ فقط من الركاب..والدتها لقيت مصرعها فوراً أما داني فلم تعلم عنه شيئاً منذ ذلك الحين اختفى ببساطة وصار بعداد المفقودين .

غفت على الكرسي ودمعها مازال منسكباً

بقي ينظر إليها طوال الرحلة يشعر بما تعانيه من ألم وبدون أن يفكر بسحب يده على الرغم من أنها بدأت تؤلمه لشدة ضغطها عليها.

أزاح خصلةً من شعرها الكستنائي وأردف بعمق وبصوت يحمل كل معاني اللهفة والاشتياق لحبيبته الصغيرة .

-..أنا آسف على كل ما سببته عائلتي. آسف على كل ما حصل معك بسببي ولكني لن أتركك حتى آخر يوم بعمري لقد أقسمت على هذا ولن انكث بوعدي ما حييت .

أتمنى أن تغفري صغيرتي أتمنى أن تسامحيني

****

أخيراً وصلت الطائرة لوجهتها، فتحت عيناها على صوت المضيفة وتنهدت ارتياحاً لوصولها بالسلامة وتنبهت على أنها إلى الآن ما تزال تقبض على يده ...تركتها بغتةً ولمحت احمرار أصابعه لشدة ضغطها عليه...

نادت المضيفة مجدداً ليتجهز الركاب للنزول ،تأملت ملامحه الهادئة وهو يغط في نوم عميق ، إحساسٌ مخيف انتابها ،لا تريد أن تغفر ولا تقدر على تجاهل عشقها الموءود تحت طبقاتٍ سميكةٍ من الألم .

نادت المضيفة من جديد فبدأت تحاول إيقاظه لكن بجفاء واضح:

-هييي أنت...هيا وصلنا.

-رواد ...قلت استيقظ, أووف....هذا ما كان ينقصني..-أيها الغبي...استيقظ .

ولكنه كان يتجاهلها ليجبرها على لمسه لإيقاظه تعمد إغلاق عينيه بقوة وانتظر أن توقظه لكنها ضحدت كل توقعاته أمسكت علبة الماء ورشقته بها ففتح عيناه بحنق وكان يود لو يقتلها فعلياً فهذا التصرف اخر ما كان يتوقعه منها الآن وأمام الناس الذي بدأ بعضهم بالضحك

-وصلنا ..

نظر لها وكبت غضبه وقال مغتصباً بسمة :

-شكراً...كنت أحتاج إلى هذا الحمام السريع لأنشط.

-يسعدني أن أعيده لك كلما سنحت لي الفرصة .

واجتازته لتنزل .صاح راكب فرنسي به :

-مسيو لا تغضب فتاتك اللطيفة بعد الآن اتفقنا وإلا أغرقتك بالمحيط...

وقهقه ضاحكاً وهو ينزل حقيبته الصغيرة لينزل بعدها

ثم ما لبث رواد أن مسح آثار الماء بمنديله ولحق بتلك المجنونة.

****

طيلة الطريق كانت متمسكة بالنافذة بفرح طفولي تتأمل معالم هذه المدينة الجميلة.

حتى وصلا أخيراً إلى الفندق الذي تم حجزه مسبقاً من قبل المعهد ،كان فخماً كبيراً لم تحلم طوال حياتها بالمكوث بمثله ،دخلت غرفتها فلم تكن تقل روعةً عن الفندق من الخارج .

غرفة ضخمة أثاثها خشبي مذهب وثريا ضخمة معلقة بالسقف، الستائر مخملية مزركشة باللون العسلي و الكريمي تطل على شرفة واسعة والسرير واسع ملاءته بلون الشوكولاه التي تعشقها حد الجنون .

فتحت قفص ميمو الذي بدا خائفاً بادئ الأمر ثم ما لبث أن خرج وبدأ يشتم المكان ليتعرف عليه ..

ضحكت على تصرفه واستلقت من فورها على السرير فهي تعبة جداً من هذه الرحلة المحطمة للأعصاب..

ولكنها تذكرت الحقيبة والمظروف التي سلمهما لها خالد وأصر أن لا تفتحهما لحين وصولها إلى باريس.

،تحاملت على نفسها ونهضت ففضولها كاد يقتلها طوال الرحلة لمعرفة محتوياتهما وفتحت المظروف أولا لتفاجأ بتلك الدولارات التي وجدتهم فجأة ببن يديها...

-.ولكنه ليس راتبي الشهري؟؟

-خالد...أيعقل..آوه يا إلهي.

وضعتهم جانباً وانحنت تفتح الحقيبة...كانت كبيرة نسبياً صفقت فرحاً عندما وجدت كل تلك الألبسة و فساتين الباليه الرائعة التي تمتلئ بها الحقيبة .

جلست على الأرض وقد بعثرت الأثواب والأحذية من حولها ثم لمحت ورقة صغيرة أسفل صندوق خشبي وقرأت ما بها

افخري بنفسك أيتها الجميلة..أنا متأكد أنك سترفعين رأس بلدك عالياً ...هذه مجرد هدية بسيطة اعرف أنها ستناسبك

بالتوفيق عزيزتي...

يا الهي...كم أنت رائعٌ يا خالد تمتمت بهذا ومسحت دمعها، فهي حقًا كانت تحتاجهم ..

-لقد وقاني الإحراج أمام طلاب المعهد... الحمد لله لن أنسى صنيعك هذا ابدًا .

****

أما رواد فدخل غرفته التي تتشابه إلى حد كبير بغرفة يارا ثم شغل موسيقاه التي يعشقها وجلس على الكرسي ذو اللون الرمادي وتخيل وجه محبوبته فرحةً بما ستجده داخل الحقيبة ..فقد انتقى لها أرقى وأفخم فساتين الباليه ،حتى لو لم تعرف أنهم منه يكفيه أن يستشعر سعادتها ، يكفيه أنه الآن يتخيل ابتسامتها العذبة وعيناها البحريتان اللتين تتراقصان فرحاً ،

أخرج القلادة الفضية من جيب بنطاله وتأملها مطولًا قبل أن يهمس :لن يطول الأمر حتى تعودي لأحضان موطنك الدافئ أنا أعدك بهذا .

ثم نهض وخلع ملابسه ليأخذ حماماً ساخناً عله يزيح مشقة السفر

****

((الفصل الخامس))

ومضات من الماضي..

السيدة سهير جالسة بصالة الفيلا تصب جام غضبها على تلك الخادمة التي أطرقت رأسها أرضاً بقهر .

-قلت لك مائة مرة ألا تتأخري أيتها المهملة.

-ولكن سيدتي كان ابني داني مريضاً، انتظرت جارتي تحضر للعناية به وأتيت فوراً ....

-اسمعيني يا هذه ..لا شأن لي بهذا الكلام الفارغ أنا أدفع مرتبك لكي تعملي لا لكي تتواقحي هكذا معي.

ابتعلت رزان الإهانة بصمت وهي تراقب سهير المتعالية تهز قدميها شبه العاريتين بذلك الثوب القصير الذي يظهر أكثر مما يخفي وتمضغ اللبان في حين أردفت بتعجرف:

هيا ادخلي المطبخ وأعدي لي كوبًا من النسكافيه سحقاً للهمج وقذارتهم التي لا تنتهي .

أومأت لها رزان و ركضت من بعدها فوراً إلى المطبخ لتنفذ الطلب دامعة العينين فدخل عليها رواد الصغير .

-خالة رزان ..أنا أسف لأجلك .

نظرت لهذا الفتى الطيب واحتضنته قائلة :

-يستحيل أن تكون ابناً لتلك المرأة التي بالصالة.

ضحك لمواساتها ثم قال بمكر وهو يراقص حاجبيه:

-تقصدين ماما الغولة .

سدت فمه بيدها وصاحت عليه :

- شش... اخفض صوتك ثم لا تقل مثل هذا الكلام ياولد على والدتك،

نظر ناحية رزان وأجابها بأسى :

-أمي!! نعم ولكن أفضل لقب ماما الغولة "

ضحك عالياً ثم ما لبث أن طبع قبلة على خد رزان وهمس لها :

-لكم أرغب في أن أقول ماما لأحد آخر ،بلغي تحياتي لحورية البحر المتوحشة فقد اشتقت إليها كثيراً .

وغمزها مغادراً المطبخ .

جففت دموعها وضحكت رغماً عنها ..فهذا الفتى اللطيف فعلاً يستحيل أن يكون ابنا لعائلة متعالية كهذه لكن من بين الأشواك تنبثق الزهور ..

****

بعد بضعة أيام رآها تجلس في المطبخ

-تعالي وارقصي معي.

قالها لتلك الصغيرة التي تأكل الشوكولاه بنهم .

-لا أريد ...ستوبخني أمك إن رأتني معك .

قلب شفتيه مفكراً ثم ما لبث أن قال:

-لن ترانا سنرقص بالحديقة الخلفية وسأعلمك الباليه ما رأيك .

نهضت تلك الصغيرة وهندمت فستانها الوردي ذو الشريطة العريضة وهتفت بسعادة وهي تصفق بيديها الناعمتين الملطختين ببقايا الشوكولاه .

-حسناً موافقة .

لكنه قبل كل شيء أخرج منديلاً من جيبه وقام بمسح يديها الصغيرتين وفمها قائلاً بسعادة :

-هكذا أفضل "

طفولة كانت بالنسبة لكليهما أكثر من رائعة.

لم تشعر أنه ابن العائلة الثرية ولم يشعر بأنها مجرد ابنة لخادمتهم بل كانت صديقته وصغيرته التي يحميها ويساعدها ويرعاها، كانت لعبته الصغيرة التي لا يسمح لأحدٍ بالاقتراب منها ...حتى شقيقته الصغرى لم يكن يسمح لها بأن تزعجها بقولٍ او فعل .

في طفولتنا لن نعطي بالاً للفروق الاجتماعية أو الزمان والمكان...في طفولتنا سنكون أكثر صدقاً.ووضوحا .

لن نكذب على من نحب ولن نلعب مع من نكره .

ولن يكون بقلبنا شيءً اسمه الحقد .فالطفولة هي أكثر شيءٍ صادقٍ ونظيف بالعالم .

كان يمسك بيد تلك الصغيرة ذات الأعوام الخمس ويجعلها تدور.كراقصة باليه تربت على يديه..

رقصتها الأولى كانت معه... وخطوات الباليه الأولى هو من علمها لها كان يتعلم ويعلمها بكل حبٍ وبراءة .

وفي يوم انتشلهما من أحلى لحظاتهما صراخ السيدة سهير كالعادة

-رواد ! أيها الولد كم مرة علي أن أقول ألا تلعب مع هذه الفتاة هاه أتريد ان تصبح همجياً كحالتها .

نظرت الفتاة لماما الغولة و اغرورقت عيناها بالدموع وقالت من بين شفاهها المقوسة للأسفل:

-ولكني لست همجية يا خالة .

نظرت سهير باستنكار وقرف وأردفت:

-اصمتي يا فتاة ووقحة كأمها أيضًا .

وأجابتها يارا ببراءة متعجبة :

-ولكن ماما ليست وقحة !

زمجرت سهير بغضب وسحبت رواد من يده بقسوة وعيناه معلقتان بحوريته الصغيرة التي أطلقت العنان لصراخها الباكي وركضت إلى المطبخ .

دفنت رأسها الصغير بثوب والدتها وقالت:

-ماما..أنا لست همجية أليس كذلك

فهمت رزان ما اعترى ابنتها وركعت أمامها محتضنة وجهها بكل حب .

-لا طبعاً حبيبتي لست كذلك ..ولكن حاولي ألا تلعبي مع رواد صغيرتي وخاصة بوجود أمه.

-ولكنه يعلمني الباليه...

-ألم نتفق أني سأدخلك مدرسة الباليه حبيبتي ..فقط اصبري"

ثم تنهدت بأسى مردفة: ولكن أرجوكِ صغيرتي ابتعدي عن المشاكل لا تغضبي السيدة سهير وإلا لن استطيع شراء السكاكر و الشوكولاه لك ولداني اتفقنا"
.نظرت إلى والدتها وأومأت لها بإيجاب.

******

ودارت الأيام بأصدقاء الطفولة ونمت الصغيرة لتصبح مراهقة جميلة فاتنة .

وتخرج رواد من كلية الفنون ولكن شغفه بالرقص لم يقف عند حدٍ معين بل ازداد وتعاظم حلمه بأن يصبح مدرباً بأرقى معاهد الرقص في البلاد وخارجها، وحقق مبتغاه، تغيب عدة سنوات تطور فيهما رقصه الباليه وعاد إلى البلاد لتبزغ جميلته أمام عينيه كشمس الصباح ..كوردة جورية تفتحت لتسلبه عقله وتفكيره من جديد .

رجع رواد ليرى أمامه تلك الحورية التي كان يختلس معها أجمل لحظات حياته بعيداً عن نظرات ماما الغولة ، صحيح هو لم يعد طفلاً ولكن هذا اللقب لم يتخلى عنه أبداً هو أو شقيقته ميرا التي تربت بمدرسة داخلية بعيدة عن عائلتها.

فعندما تربيك الخادمة و تهتم لطعامك وشرابك وملبسك... تشعر بحزنك وفرحك وتتألم لمرضك في حين أن والدتك مشغولة بصديقاتها واحتفالاتها التي لا تنتهي وصراخها المجنون لأتفه الأسباب حينها فقط ستدرك من هي الأم الحقيقية وستفرق بينها وبين ماما الغولة.

وأن تكون حبيبتك هي ابنة السائق والخادمة...هذا ما لن ترضاه شبيهات سهير أبدا امرأة كهذه مستعدة أن تدمر الأرض ومن عليها لتحقيق مرادها لإبعاد ابنها عن الهمجية

لمجرد أن دق قلبه لتلك الجميلة التي اعتاد على رؤيتها بشكل شبه يومي حتى فاجئه الواقع المرير ..

الفروق الاجتماعية والطبقية التي تسيطر على مفهوم العائلة ، العرق الارستقراطي النقي يستحيل أن يختلط بالهمج بحسب معتقداتهم ،ولكن حبه كان أقوى واعنف من أن يتمسك بتلك التقاليد البالية... فتلك الفتاة التي شاركته أجمل لحظات حياته وعزف ألحان الحب على يديها الرقيقتين أكبر من أن يتركها بسهولة ...

*****

لطالما كانت يارا تصر على تنظيف قاعة الرقص الخاصة به في المنزل فقط لتراقص الممسحة التي بين يديها وكثيراً ما كان يختلس النظر إليها ضاحكاً من تصرفها الطفولي -ولكن مهلا-كانت طفلة من الأساس.

فبذلك الوقت لم يتجاوز عمرها الخمسة عشر عاماً .

ولكن كيف عرف أن شعوره الآن مختلف عن كونها صديقته الصغيرة ولعبته المدللة ؟ذات مرةٍ كانت تجلس بحديقة الفيلا بيدها ورقة تقرأها مبتسمة وهي تلعب بخصلة من شعرها الكستنائي الطويل المتموج كمياه البحر

عاد من تدريباته منهك القوة وخطى نحوها بهدوء دون أن تنتبه ووقف فوق رأسها مباشرة وفاجئها ،انتفضت بخوف وخبأت الورقة من فورها ،حدجها رواد مطولًا قبل أن يسأل :

- ما الذي خبأته لتوك ؟

-لا شيء..." وتلعثمت بكلماتها واحمرت وجنتاها خجلاً..لأنها لا تكذب ..هذه الصغيرة أكبر من أن تتخذ أساليب البشر الملتوية و تكذب ، بحركة سريعة أحاطها بذراعه و التفت يداه خلف ظهرها ليسحب الورقة من بين يديها ويقرأ المكتوب:

صَعْبٌ عليَّ كثيراً أن أتصوَّرَ عالماً لا تكُونينَ فيه

صَعْبٌ عليَّ أن أتصوَّرْ بحراً لا يلبسُ قُبَّعتهُ الزّرقاء

أو قَمَراً لا يستحِمُّ برَغْوَة الحليبْ

أو نجمَةً لا تلبسُ أساورَها

أو بَجَعَةً لا تحترفُ رقْصَ (الباليهْ)

من وائل

(احبك)

للحظة ارتجفت يداه.، شعر بأن احدهم قد صفعه على وجهه بلا رحمة فدوى صوته مزمجراً :

-ما هذا الشيء يارا ،من يكون وائل ....أيتها الحمقاء ال...

كان يود حينها أن يصفها بالخائنة ، لكن أي خيانة بالتحديد وهي صديقته ؟ توقف وصمت ، اعتصر الورقة بين يديه بقوة ورماها أرضاً ،نظرت إليه بخوف ثم على الورقة المرمية على الأرض بعيونٍ دامعة ولم تفهم ما الذي جرى لكي يغضب بهذا الشكل ! .

هو لم يعلم حتى لما انتابه هذا الضيق المفاجئ ولكن الشيء الوحيد الذي تيقن منه أنها له فقط ، كانت وستكون له؟هي ملكه فقط لن يسمح لمراهق أحمق اختلس مقطعاً من قصيدة نزار قباني أن يستحوذ على تفكير وقلب صغيرته التي لم تعرف معنى الحب بعد .

ولكنها نظرت إليه بصدمة كبيرة ، توسعت حدقتا عيناها وتقوست شفاهها منذرة عن نوبة بكاءٍ الآن قالت له بحروف متقطعة وبصوت متهدج : ما بك رواد لما غضبت مني !!

وركضت إلى الشجرة خلف حوض السباحة، جلست ودفنت رأسها بيديها وأجهشت بالبكاء.

كان يعرف بقرارة نفسه أن صغيرته ستكبر بيومٍ ما وسيدق قلبها ولكن ليس بهذه الطريقة لا يريدها أن تتأذى بسبب أي أحد كان ولن يسمح بذلك أبداً .مسح وجهه بيديه مهدئا من روعه ثم اتجه ناحيتها وجلس أمامها مباشرةً ،رفع رأسها بيديه ،شعر بنضجِ زهرته فجأةً ،خفق قلبه بعنفٍ متأملاً هاتين اللؤلؤتين المحمرتين اثر البكاء ثم ما لَبثت شفتاه أن أطلقتا تلك الكلمات بغير وعي أو إراده منه :

في مرفأ عينيكِ الأزرق شباكٌ بحريٌ مفتوحْ
وطيورٌ في الأبعادّ تلوحْ تبحثُ عن جزرٍ لم تخلقْ
في مرفأ عينيكِ الأزرق يتساقط ثلجٌ في تموزْ
ومراكب حبلى بالفيروزْ أغرقت الدنيا ولم تغرق

تبسمت ببلاهة وهي تجفف دموعها ناسيةً كل ما قد فعله منذ لحظات وهذا ما شجعه لقول المزيد بعد أن اقترب منها أكثر :

في مرفأ عينيكِ الأزرق أركضُ كالطفلِ على الصخر
أستنشقُ رائحة البحرِ وأعودُ كعصفورٍ مرهقْ
في مرفأ عينيكِ الأزرق تتكلم في الليل الأحجار

تلمس وجهها الأبيض الرقيق بيديه فأذابها خجلًا ، ارتعدت أوصالها وهو يطالعها بجرأةٍ لم تعهدها من صديق طفولتها ،ما الذي تغير فيه ،تساءلت بقلقٍ وقد أرعبتها فعلياً نظراته التي تلتهمانها التهاماً ،في حين شفاهه تصمت قليلاً ثم ما يلبث ينطق مجدداً بصوتٍ شبه هامس:

في دفترِ عينيكِ المغلق من خبأ آلاف الأشعار
لو أني .. لو أني .. بحار لو أحدٌ يمنحني زورق
أرسيتُ قلوعي كل مساءْ في مرفأ عينيكِ الأزرق

، قال بصوتٍ رقيق بعدها: أنا أعرف أيضا قصائد لنزار قباني وحتى أكثر من ذلك الأحمق وائل "

عضت على شفتها وقد احمرت وجنتاها كثيراً وأباحت له سرها الصغير كمن يعترف بذنب:

-انه ...انه صديقي في معهد الباليه"

قهقه بقوة هذه المرة وهو يرى الارتباك بادٍ عليها ثم سألها بنبرة رقيقة ولكنها تحمل لهفة كبيرة لمعرفة الإجابة:هل يعجبك وائل صغيرتي ؟

نظرت له ملياً ومطت شفتها قليلًا تفكر ثم أجابته :

-بصراحة إنه رشيقٌ ووسيم وكل يوم يرمي لي ورقة صغيرة تحتوي على قصائد جميلة .

اعتدل بجلسته محدقاً فيها وقد شعر أنه ليس على ما يرام أبداً ،فقلبه بدأ يصرخ بعنف لغيرته ، أدرك الآن أنه يغار ،ليس كغيرته الطفولية سابقاً حينما تلعب مع ميرا عندما تتواجد وتتركه وحيداً بل غيرة أكبر وأعمق وأخطر، مسح على شعره بتوترٍ وسألها بجدية :

-وما بينكما.....لم يتعدى الرسائل أليس كذلك ؟

-نعم، لم نتكلم ابداً خارج التمارين.

تفرس في ملامحها ثم نطق يسألها:

-وأنا هل أعجبك؟

نظرت له بعدم فهم ،ولكنها أجابته ثقة وضربته على صدره بخفة ضاحكة:

-طبعاً أيها المخبول ألست صديقي". قبض على يدها المستقرة على صدره المضطرب قائلاً:-إن قرأت لك كل يوم قصيدة لنزار هل ستحبينني صغيرتي و ستنسين ذلك الأحمق..

-ماذا !

ضحك لسذاجة سؤاله وشعر بأنه غبي فعلاً الآن ولكن أليس المحب مجنونٌ وأحمق كما يقولون .

حب ! اعترف لنفسه أخيراً أن هذا الشعور تجاهها هو الحب ولا شيء غيره، انه يحب هذه الصغيرة، يعشق رائحتها ...شعرها ...بشرتها المرمرية الناصعة، شفاهها الوردية الممتلئة ...وعيناها البحريتان اللتان بدئتا تغرقانه ، بعد صمتٍ قال: لم تجاوبيني ".

ضحكت الصغيرة وقد أومأت له برأسها موافقة ثم أردفت وهي تشير بأصبعها:

-ولكن بشرط "

-تفضلي جميلتي .

-أريدك أن تعطيني مع كل قصيدة حبة شوكولاه "

-سأعطيك صندوقا كاملاً أيتها الشرهة " .

قالها وابتسم فضحكت هي بسعادة، وهذا الاتفاق كان بمثابة عقد احتكارٍ لها.

رفع يديها من جديد ولثم باطن كفها قبلة طويلة ، أول قبلةٍ تحصل عليها من رواد، شعرت بانتفاضةٍ قوية بجسدها،سحبت يدها بسرعةٍ متحاشيةً نظراته الغريبة، ونهضت بارتباك تتلعثم بحديثها: بدأت تخيفني رواد!

ارتسمت ابتسامةٌ رقيقةٌ على شفاهه وهمس لها:

-اهربي إذاً .....الآن من أمامي قبل أن أتصرف تصرفاً قد أندم عليه"

ارتفع حاجباها دهشةً ثم هرولت من أمامه تفكر ، فعلاً لقد تغير رواد!!

وأصبحت هذه الصغيرة ملكه على الرغم من محاولات والدته الفاشلة في إبعاده عنها .

****

الفرصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل السادس))

ونعبر الزمان والبحار لنعود إلى باريس . ففي اليوم التالي مباشرةً وقبل أن يزعجها رواد كعادته، توجهت يارا ومنذ الصباح الباكر إلى صالة المعهد القريبة من الفندق وصعدت إلى الطابق الأخير بين قاعاتٍ وقاعات تخرج من بعضها أصوات حركات تمارين وتدريبات من الراقصين ودلفت إلى قاعة الأحلام مستهديةً برقمها .

كانت القاعةِ مستطيلة الشكل مقسمة إلى أربعة حوائط وأربع زوايا . و كانت المرآة كبيرة بطول وعرض الحائط على حائط واحد من الأربعة ومزركشةً حوافها بطريقة ملفتة للانتباه ، أمّا الحوائط الثلاثة الأخرى فمثبت عليها مساند خشبية ليستخدمها المؤديين في الجزء الأول من الدرس و التحمية..و الاختلاف الذي في هذه القاعة والذي يميزها عن غيرها أن حوائط هذه القاعة بلورية شفافة تكشف عن أجمل إطلالة .

كانت أول الواصلين لذا سمحت لنفسها أن تتأمل كل ما يحيطها بسعادة ، كأول مرة دلفت

ركضت إلى الحائط البلوري وقد سحرتها الإطلالة.

كانت صالة الرقص بالطابق الأخير من هذا المبنى وأمامها تمتد مساحة واسعة من العشب الأخضر والزهور بكافة أشكالها وألوانها وبحيرة اصطناعية جميلة تقبع بالأسفل عليها جسر خشبي عتيق الطراز وحولها مجموعة أشجار وكأنها تحتضن البحيرة .

خطوات خفيفة تقدمت نحوها وأتاها صوتٌ رجولي قائلاً بالفرنسية :

-مرحبا....يبدو أنك الآنسة الجديدة.

استدارت ناحيته لترى هذا الشاب الوسيم ...شاب فرنسي بامتياز قالت لنفسها وهي تتفحص هاتين العينين الخضراوين الحادتين والذقن الخفيفة المدببة والشعر البني المصفف بكل أناقة...كانت عضلاته جلية واضحة وجسمه متناسق بامتياز. راقص محترف يبدو عليه.

-أهلا....نعم أنا هي.

وسرح بها هذا الفرنسي وبلون عينيها الغريب .

-تشرفت بمعرفتك آنستي أنا لويس.

-وأنا ..يارا تشرفت بمعرفتك.

مد يده لمصافحتها غارقاً بهاتين العينين اللتين أخذتاه إلى عالمٍ آخر تماماً ثم ما لبث أن رفع يدها تجاهه وطبع قبلة رقيقة على كفها، سحبت يدها منه بخجل وعادت لتأمل الطبيعة .وقف بجانبها قائلاً :

-إنها جميلة أليس كذلك.

-بل خلابة رائعة الجمال.

-إذن.. إن سمحتي لي سأصطحبك بنزهة فيها إنها حديقة كبيرة وجميلة .

-نعم يسعدني ذلك.

وبعدها ولجت مجموعة فتيات صغيرات إلى القاعة فاتسعت ابتسامتها وهي تراهم كالملائكة بأثوابهم البيضاء

-مرحبا مسيو لويس نحن جاهزات" .قالتها إحدى الصغيرات فالتفتت إليه يارا تسأل:.أنت مدرب هنا سيدي ".

-نعم آنستي أدرب صفوف الكبار وأحياناً الصغار

-ولكنك لم تخبرني ظننتك طالباً !

-لم تسأليني .

فانفرجت شفتاهما عن ضحكة عفوية فجرت ما تبقى لديه من عقل،و ما إن دخل رواد ورآها تقهقه معه بسعادة حتى كشر عن أنيابه وتقدم منها مزمجراً:

لما لم تخبريني أنك آتية إلى هنا .قلبت الدنيا بحثاً عنك.

انفجرت فيه بحدة :

-لا شأن لك فيما أفعل هل فهمتني ...كما أنك كنت مختف طوال اليوم أتظنني سأمكث بالفندق لحين عودتك .

كانا يتكلمان بالعربية وبسرعة ولويس يقف بينهما فاتحاً فمه ببلاهة حتى تنبها على وجوده،

فنظر رواد وقال له أخيراً :كيف حالك لويس.

ولم ينتظر إجابة منه بل عاد ليكمل شجاره معها فسألت بصدمة :

-أنت تعرفه؟

-طبعا أعرفه ولا تغيري الموضوع ...ثم

قال لها بتهكم : يبدو أنك تتقنين الفرنسية جيداً حتى تواصلتِ معه .

ردت بحنق : لا دخل لك.

كظم غيظه ثم قال : تعالي معي المدير يطلبنا "

ألقت التحية على لويس وهمت بالمغادرة ولكنه تناول راحة يدها وقبلها مجدداً أمام نظرات رواد التي كادت أن تحرقهما سوياً.

-لن أنسى أمر النزهة آنستي الرقيقة وتشرفت بمعرفتك.

قالها لويس بلطفٍ شديد ، احتقن وجه رواد وسحب يدها منه بقوةٍ مجيباً : لن تنسى عزيزي ...وأتمنى أن تُريح نفسك لأني من سيصطحبها بما أني اعرف باريس جيداً وفر جهودك.

وجرها ورائه بعنف و ما إن خرجا من الصالة حتى سحبت يدها وانفجرت بوجهه : ما بك أيها المعتوه .

نظر لها بطريقة أرعبتها وضرب بكف يده على الحائط بجانبها وقال بحدة :

لم تعرفيه لبضعة دقائق وسلمته يدك ليقبلها ، لو بقيتما بضع ساعاتٍ أخرى ما كنتما ستفعلان :

توسعت حدقتا عيناها ودوى صوتها :

-احترم نفسك ما هذا الكلام الذي تتفوه به "

فقاطعها:

ابتعدي عنه ولا تعطه فرصة ليتمادى معك .

حاول السيطرة على أعصابه وأردف:

.اسمعيني يارا" وتنهد محاولا انتقاء كلماته

هنا الأمر بالنسبة لهم بسيط جداً وطبيعي ..هل كلامي واضح لو اضطررتِ إلى ضربه لا تترددي ..إن لم تحافظي على نفسك هنا ستضيعين.

نظرت له وصمتت ،إنه فعلاً محق بكلامه ، فتابع بلطف اكبر بعد أن التمس تجاوبًا منها:

-لا أريد لأي كان أن يؤذيكِ هنا .

طبعاً هي تدرك ذلك ولكن عنادها بهذه اللحظة اختلط برغبة كبيرة لاستفزازه وردت عليه بثقة:

-سيد رواد أنا اعرف جيداً ما أقوم به ، إبقى بعيداّ عني ولا دخل لك بشؤوني ابدا .

ثم اجتازته وغادرت وسط ذهوله وهو يضرب كفاً بكف.

****

لكل رقصة حكاية ..ولكل حكاية موسيقى تعبر فيها عما يعتريك من شعور"

قالها لويس ثم ما لبث صفق بيديه لعازف البيانو الذي بدأ يعزف لحن طقوس الربيع التي اجتاحت الجو الساكن في القاعة.

ثم أردف يكمل درسه وكانت الفتيات يجلسن على الأرض يستمعن لقصته التي خالطت تلك الموسيقى العذبة ، كان يشرح لهن ونظره معلق بواحدة فقط أسرته منذ أول لقاء بينهما .

((تعد طقوس الربيع من أهم ما كتب في موسيقى القرن العشرين على الإطلاق، حيث يروي قصةً مبتكرة وجريئة حول عشق الأرض والتضحية في سبيل قدوم فصل الربيع، وهو يمثل مجموعة طقوسٍ روحية تؤديها جماعات بدائية تنتهي باختيار الأضحية من بين الفتيات، وعلى الفتاة المختارة أن تقوم بالتضحية بنفسها في سبيل قدوم الربيع وذلك بأن ترقص تلك العذراء حتى الموت،

عند عرض هذا الباليه لأول مرة أحدث فوضى كبيرة، فجرأة سترافينسكي في تأليف موسيقاه بإيقاعاتها الغريبة وأفكارها الحديثة ضربت كل المفاهيم التقليدية للموسيقى والباليه، وبالرغم من أن العرض الأول كان كارثة بسبب اضطراب الجمهور وإثارة الشغب إلا أن هذا العمل يعد اليوم من أهم ما كتب في الباليه والموسيقى الأوركسترالية على الإطلاق، وهو يمتاز بتوزيع أوركسترالي قوي وأخاذ يمثل ألوان الربيع وانفجاره في البرية، كما يمتاز بإيقاعاته المعقدة و الهارموني الحديث الذي استخدمه.))

كان له أسلوب جميل وراق في الشرح لفت نظرها فوراً فهي لأول مرة ترى أن الباليه أكثر من مجرد حركات تقوم بها ، هو علمٌ ومدرسة متكاملة.

ففعلاً لكل رقصة قصة وهدف ، في معهدها القديم كانوا يشغلون اسطوانات ويتعلمون الحركات دون أن تعرف سبب التسمية او الهدف من هذه الرقصة..أما هنا فكل ما حولها مختلف وجميل.

كانت ساهية بحديثة لأبعد حد ولم تنتبه إلى أنه يبادلها تلك النظرات ويفسرها على هواه.

أعاد تشغيل الموسيقى من جديد وبدأ بدرسه ولكن هذه المرة بتدريبهم على حركات هذه الرقصة وخصها باهتمام بالغ .

بدأت الراقصات بأدائها بكل مهارة وإتقان ثم ما لبثت

يارا أن التحقت بهم بكل ثقة وبدأت بأداء رقصتها فكانت العذراء التي توسطت العرض والفتيات بدأن بالدوران حولها لإكمال اللوحة الفنية ..

كان لويس واقفاً يستند على الحائط يتأمل هذا الجمال العربي الغريب والفريد من نوعه ، فزرقة عيناها المختلطة بلون رمادي ساحر لم يرها من قبل شرد بها قليلاً وشف ثغره عن ابتسامة عريضة وحدث نفسه :

لما لا ...سنجرب يا جميلتي العربية ".

******

((الفصل السابع))

وبعيداً خلف البحار كان هذا الشاب يقف على الشرفة يتأمل البحر الهادئ أمامه الذي ضربت عليه أشعة الشمس الأرجوانية لونها قبل أن يبتلعها البحر لتلون الأفق بدرجات الأحمر المختلطة بأولى خيوط الليل

بعينيه الزرقاوتين اللتين ورث لونهما من والدته رآها. كانت تحلق أمام الشرفة بفستانها الوردي الذي تعشقه وترقص بكل شغف. أخذ نفساً عميقاً جداً ولكن ريحًا قوية هبت عليه جعلت جسده يقشعر بطريقة غريبة ..

دلف وأغلق باب الصالة خلفه وأسدل الستائر ليعبق الجو بسكونٍ جميل ، أشعل ضوءاً أصفر اللون خفيفاً وجلس خلف مكتبه أخرج مفكرة ذات جلدٍ أسود فتح على ورقة فارغة وبدأ يخط عليها كلماته القليلة :

أيها الشيطان...إزحف بعيدا عني.

أغلق مفكرته واتكئ مسنداً رأسه على الطاولة وبدأ يعبث بشعره بعصبية ويغرس أصابعه بقوة بين خصلاته وكأنه يريد اقتلاعها... انتفض على صوت هاتفه يرن زفر ضيقا.وأجاب:

-أهلا ميرا

-حبيبي؟ألن تحضر؟ أنا انتظرك منذ مدة .

-لا ...لا أظنني سآتي اليوم.

-آوف وسام ولكني طلبت من أبي أن يأتي باكراً هذا اليوم لأجلك .

-أرجوكّ اعذريني الليلة لست رائقًا ابداً كما أني أخبرت والدك بعدم مجيئي ... سأكلمك لاحقاً اتفقنا.

-ولكن وسام، لقد جهزت لك ءء....

كادت أن تكمل لولا صرخ فيها فجأة :

-قلت لك لن آتي ألا تفهمين !؟

وأغلق الخط بوجهها فوراً

رمى هاتفه على الأريكة بحنق غريب وقرر أن يأخذ حماماً ساخنا عله يهدأ قليلا من نوبة الانفعال التي طرقت بابه ،

خلع قميصه ورماه بعشوائية على الأريكة ودخل الحمام ، فتح صنبور المياه الساخنة الذي بدأت مياهه بالتدفق ورفع نظره إلى المرآة متحسساً ذلك القطب التي أخذ مساحة لا بأس بها من جبينه لكنها لم تؤثر على جمالية وجهه ذو الذقن الخفيفة والملامح المريحة والهادئة وعيناه الزرقاوان الثائرتان كانتا تشتعلان بالحياة لكنهما تنبضان بالحقد الذي نمى بداخله طيلة سنوات طوال .

البخار المتصاعد من المغسلة بدأ يغطي المرآة ليختفي هو شيئاً فشيئًا مسح بيده عليها وتجهم وجهه وكأنه رجل آخر... وكأنه ينتقي هذا القناع ليرتديه اليوم. قناع مرعب ومعتم لكنه يشبه سواد قلبه مؤخراً

****

مطت هذه الشابة الجميلة شفاهها بامتعاض ونزلت درجات السلم المؤدية إلى صالة الفيلا

-ميرا أرى أنك لم تتجهزي بعد ".قالت بتذمر بعد أن زفرت بقوة

- لن يحضر الليلة "

ألقت بجسدها على الأريكة المقابلة وبدأت بتقليب قنوات التلفاز بلا انتباه.

نظرت لها سهير مطولاً من خلف نظاراتها وأزاحت الكتاب من يدها وقالت بتهكم واضح :

-وما الجديد في الموضوع هو دائماً يعدك ولا يأتي ألم تعتادي على ذلك ؟

-أمي أرجوكِ..توقفي" .وضعت سهير الكتاب على المنضدة وخلعت نظاراتها ليستقرا فوق الكتاب..

-ألم يحن الوقت بعد لنتكلم بهذا الموضوع .

-أمي!

ميرا دعينا نتحدث بصراحة...لو عندي يقين أنه يحبك لما تدخلت في الموضوع أبداً.ولكنك تعرفين أنه لا يكن لك أيّة مشاعر الأمور واضحة .، كفاكِ ملاحقة له اتركيه وشأنه ...لطفك يا رب .....انظري إلى أين وصلنا...لا ينقص إلا أن نقبل يديه ليأتي لزيارتك .

فصرخت ميرا بانفعال: هووف.. لا أريد فتح هذا الموضوع الآن أتركيتي وشأني، ولا تتكلمي عنه بهذا الشكل...ألا يكفي ما فعلته برواد سابقا...ستتدخلين بحياتي أيضاً لتدميرها.

-أمك معها حق لقد زاد الموضوع عن حده فعلا"

كانت هذه من والدها الذي سمع بعضًا من الحديث عند قدومه فنظرت ميرا لهما وبدأت تهز قدمها بعصبيه بالغة .

فأردفت سهير بهدوء... نحن لم نوافق على كتب الكتاب إلا حينما رأينا تعلقك الشديد به ولكنه لم يبادر بأي شيء .. لا أعلم صدقًا كيف سأشرح لك الوضع أعلم أني سابقاً أبعدت رواد عن تلك الخادمة الوضيعة ..ولكن معك الأمر مختلف قليلًا لو كان محباً لك لما كنت أفكر بإبعاده.

-أمي إنه شاب رائع...أرجوكما افهماني... إنه لبق ومحترم جداً ومثقف ، يكفي أنه لا يسعى لثروتك أبي كالسابقين.

-نعرف هذا جيدًا ونعرف كم أنه شاب محترم ولكننا بالنهاية لا نعلم حقيقة مشاعره تجاهك.

-إنه يحبني ولكن بطريقته.

ابتسم عاصم باستهزاء لتزيده تلك التجاعيد تقاسيم وجهه الأسمر قبحاً ثم أكمل .:

على الرغم من أن عمله عندي جيد جدًا وساعدني كثيرا في الشركة خلال السنوات الماضية وكسب ثقتي الكبيرة إلا أن هذا لا يعني أن أضحي بابنتي الغالية الوحيدة له وهو لا يكن لها أية مشاعر فكري جيداً مازال أمامك فرصة للتراجع...حان الوقت الآن لتفكري بنفسك قليلاً ولا تنجرفي وراء عاطفة غبية غير متبادلة نهايتها الفشل و أنت الخاسرة الوحيدة فيها وأكثر من هذا لا أريد أن تتلخبط أعمالي بسبب حبك الغبي هل كلامي واضح

تحسست عنقها بيديها وكأنها تشعر باختناق ووقفت.وكأن كلام والدها مئات السهام تخترق صدرها .

-إذن عملك كالعادة أهم مني ...أعتذر منكما سأخرج قليلاً

تركتهما وخرجت إلى حديقة الفيلا ثم استقلت سيارتها وبدأت تقودها بعصبية ..

نظرت سهير لزوجها وقالت بتجهم: مجرد مراهقة طائشة .

-لا تقلقي عزيزتي لربما ينفصلان قريبًا .

ابتسمت له بأسى :

وما أدراك أنت أتظن أنها ستتحمل صدمة أخرى بعد أن اكتشفت خيانة خطيبها السابق.

-هي من سيتخلى عنه هذه المرة ...لقد تناقشت اليوم معه في الشركة..هو يريد أن تستقر أعماله معي فقط الآن ولن يفكر بزواج رسمي قبل سنوات، ولا يريد لفتاة بعاطفة بلهاء أن تدمر حياته..سيحاول إبعادها عنه بطريقة ما.ألا ترين كيف يعاملها بجفاء مؤخراً ؟

فقالت سهير بحيرة بالغة :

-إنه جامد صلب وجاد جداً ....أريد أن أفهم ما الذي أعجب تلك البلهاء به .

فقال بعد أن جلس أمامها على الأريكة مرخياً ربطة عنقه : تفكير هذا الفتى يعجبني جداً ... على الرغم من صغر سنه إلا أن طموحه وانقياده التام لي يعجبانني...خاصة بعد أن كاد يقتل بسببي كل تلك الأسباب جعلتني أتعلق به وأئتمنه على أعمالي، ولكن مشكلة الشبه تلك مع سائقي القديم هذا ما يدعوني للتساؤل لولا معرفتي انه قد مات ولو لم أرى هويته وأوراقه الثبوتية كذلك لقلت أنه ابنه لا محالة ! .

ضحكت سهير على حديث زوجها وقالت له بطريقة مرعبة:

-انه شبحه جاء لينتقم ...هاهاها

-كفي عن هراءك يا امرأة !.

******

كانت تقود بسرعة جنونية وتهتف بحنق: لربما هما على حق..لا بل هما محقان أنت لا تحبني ولكني أحبك وسام... يا إلهي ماذا أفعل..لا أتخيل أن يتركني بهذه البساطة .

ركنت سيارتها بجانب الطريق واستندت برأسها على المقود وبدأت بالبكاء وهي تصرخ:

رواد يا أخي...لما تركتني معهما...أنا احتاجك بشدة..أين أنت الآن ...لما تركتني وغادرت ما ذنبي أنا...لما أنا الضحية بينكم ... تركتني وحيدة وضائعة وابتعدت .

مسحت دموعها و أخرجت هاتفها واتصلت بوسام بيدين ترتجفان لكنه لا يجيب...مرة واثنان وعشرة ..ولكنه يتجاهلها كعادته...مما زادها غضباً واشتعالًا.

خرج من حمامه ليرى هاتفه الذي لم يتعب من الرنين لما يزيد عن خمسة عشر دقيقة ، زفر ضيقاً من إلحاحها وفتح الخط أخيراً ليسمع صوتها الباكي:لما تتجاهلني وسام ؟.

صرخ بها عبر الهاتف بحنق

:ألا تملين من البكاء أيتها الفتاة صدقاً قد بدأت أكره سماع صوت نحيبك المقزز.

-وسام! لما تحدثني بهذه الطريقة الفظة.

-لأني مللتك ، اتركيني وشأني على الأقل لليلةٍ واحدة.

أغلق الخط بوجهها ورمى جهازه ليتحطم إلى أشلاء صغيرة في حين زاد نحيب ميرا بطريقة جنونية وصارت تضرب على المقود بقوة .

فشغلت سيارتها وانطلقت بأقصى سرعتها.

كان يطلق سيل شتائم على هذا الموقف الصعب الذي ورط نفسه فيه بعلاقته معها، ارتدى بنطاله وجفف شعره بالمنشفة بعصبية في حين سمع رنين جرس الباب.

وضع المنشفة على كتفيه وذهب ليفتح الباب ليفاجأ بميرا واقفة أمام الباب وعيونها متورمة من شدة البكاء .ثوان لاستوعب أنها أمامه في حين صرخت به بقوة :ما هذا الذي تفوهت به على الهاتف !! جحظت عيناه وسد فمها بيديه وادخلها عنوة

إلى المنزل مغلقاً الباب بقوة من خلفها وقال بصوت دب الرعب بأوصالها وهو يهزها بعنف:

-أيتها الحمقاء ما الذي جاء بك !ولما تصرخين أمام الجيران هكذا ألا تخجلين من نفسك عندما يراك الناس تطرقين باب شاب ليلًا " !

-وسام ....أنا زوجتك شرعاً ما بك .

تلعثمت بحديثها وازدادت جراحها عندما وجدت نفسها رخيصة جداً بنظره، ارتجفت شفتاها وشعرت بأنها تهوي إلى بئرٍ عميقٍ جداً ،بادلته نظرة مكسورة وشدت بيديها على الحقيبة. هدئ نفسه قليلًا فقد بالغ كثيرا بكلامه فهي فعلاً زوجته شرعاً، تنبه لعيناها المتورمة المنتفخة ومن بين شهقاتها المكتوبة قالت : أنا آسفة عن إذنك .

كادت أن تهرب من أمامه لولا أمسكها بقوة :

-مهلاً.... ميرا انتظري لم اقصد.

هزت رأسها قائلة:معك حق يجب أن أخجل من نفسي ومن تصرفاتي "

أزاحت يديه عنها لكنه رفع وجهها ومسح دموعها المنهمرة قائلاً بلطف هذه المرة :

-حبيبتي أنا خائفٌ عليكِ من السنة الناس، من وجهة نظر المجتمع نحن غريبان، لا يعلم احدٌ من الجيران او المعارف بعد بزواجنا تفهمي الأمر رجاءاً.

نظرت لعينيه اللتين تعشقهما حد الجنون وأومأت له، ابتسم بوجهها ولكنه كان يحترق فعلياً لعذابها معه . تركها لتدخل الصالة ودخل ليرتدي ملابسه على عجل وخرج لملاقاتها.

وكما توقع كانت تجلس على الأريكة و تنظر شاردة إلى الواجهة الزجاجية وعيناها تدمعان...إنه يكره بشدة أن يراها بهذه الحال البائس ولكنه مضطرٌ لذلك... هي نقطة الضعف الوحيدة لسهير و الشيطان عاصم .

اعد القهوة على عجل وخرج إليها ،وضع الصينية على الطاولة وكلمها: امسحي دموعك ميرا"

((الفصل الثامن))

رفعت بصرها لوجهه المتجهم وتناولت المنديل من بين يديه.وقال كلامه بطريقة قاسية كالعادة:

-لما أنت مصرة على افتعال مشكلة بيننا .

-أنا !!!

جلس على الأريكة أمامها وأردف :

-قلت لك لن آتي لما كل هذا الإلحاح وهل هذا يستدعي مجيئك وقلت لك مائة مرة أنه لن يكون مظهرك لائقًا بقدومك إلى شقتي أمام الناس، انا رجلٌ أعيش وحيداً ميرا، افهمي الأمر رجاءاً بأي لحظةٍ قد يأتي لزيارتي صديقٌ ما والجميع يعرف اني عازب ماقد يكون موقفك حيال الأمر؟ بأن يشكك المجتمع بأخلاقك !!...نظرت له وعاودت البكاء من جديد.

- ميرا...ميرا اهدئي لاتبكِ مجدداً ودعينا نتفاهم اتفقنا.

نظرت لأسفل ولم تعلق . .

تقدم وركع امامها ممسكا بكفها، أراد أن تخرج كلماته بهدوء كيلا يتسبب بجرحها اكثر واردف:

-اسمعيني أنا اعلم مقدار حبك، وأقدر مشاعرك الجميلة والبريئة تلك ولكنك... صدقاً بهذا الحب تشعريني بالاختناق ...لقد مللت ملاحقتك لي والحاحك بالاتصال ومراقبتي طوال الوقت وكأنني سجينٌ لديكِ.

أنت صغيرة ومازال أمامك الكثير لتفعليه بهذه الحياة.ثرية و..جميلة بل...رائعة الجمال بالله عليكِ ألم تنظري إلى نفسك في المرآة...كيف كنتِ وكيف هو حالك الآن هل أستحق ما تفعلينه بنفسك ..

شعر بغصة كبيرة بحلقه.هو بداخله لا يريد أن يحطم قلبها .. ولكن الشياطين يستحيل أن تنجب ملائكة... هذه كانت حجته الوحيدة . موقن أنها مثلهم . اليست ابنتهم..أردف بعد شرودٍ طويلٍ لم تكف فيه تلك الفتاة عن البكاء بصمت

-أتعلمين ....لا ينقصكِ شيء ماذا تريدين من شخص مثلي..؟

من وسط دموعها أجابت: لا استطيع الابتعاد عنك..

تمالك غضبه مجيباً

-أنا اعرف هذا... اقسم لك أني أعرف واصريت على كتب الكتاب لا خطبة عادية كي بكون لقائنا شرعياً و لعلي أشعر بأي شيء قد يقودني لبر الأمان معك على الرغم من أني أعجبت حقاً بك ولكنك لا تتركين لي المجال حتى لأشتاق إليكِ ، إتصالات متكررة كل ساعة أراكِ حولي بكل مكان بعملي بمنزلي حتى عندما أخرج لملاقاة اصدقائي تخنقينني باتصالاتك...مابكِ إهدئي قليلًا ، دعيني لمرة واحدة اتصل بك ،دعيني أشعر أني أنا من يحتاج قربك او على الأقل اتركي لي مجالاً لأشتاق إليكِ هل فهمتي مشكلتي معك، ميرا حالتك هذه مرضية ، تعلقك بي زائد عن حده، صدقا بدأت اختنق من تصرفاتك ...صباحاً بعملي مع والدك ومساءاً أكون مجبراً على مرافقتك والا تنتحبين. أي جحيم هذا الذي أعيشه! هل عليكم احتكاري لهذه الدرجة...؟

إعتصرت ثوبها بيديها خجلة لكلامه هذا وكأنها سكاكين تطعن صدرها...هو محق فعلاً ولكنها لا تريد خسارته،

أومأت برأسها له، هو موقن بأن كلامه لن يأتي بنتيجة كالعادة ولكنه سيحاول معها للمرة الاخيرة فمهما كان غاضبًا منها أو يكن كرهاً للشيطان والدها إلا انه لا يتحمل دموعها أبداً وهذا ما يجعله أغلب الأوقات في صراع كبير جداًمع نفسه ....تناقض واضح بداخله يعذبه أكثر من انتقامه...ظل متردداً طويلًا بين أن تكون تلك الفتاة ضحيته أم لا وهذا ما عكر مزاجه طيلة الأيام الماضية ولكن لا يوجد طريقة أخرى ليندمج مع عائلتها سواها.

قطعت عليه شروده وهمست :

-أرجوك وسام..لاتتركني أحتاج حقًا لمن يقف بجانبي ويخلصني من هذا الجحيم الذي أعيشه انت لا تعرف شيئاً.

نهض وجلس بجانبها،قبّل جبينها ثم قال بعد فترة من الصمت: سأسافر بضعة أيام لأنهي مشروعًا وكلني به عاصم بك وبعدها سنرى ماعلينا فعله اتفقنا، ساخلصك

وهذا وعدٌ مني لكن اصبري قليلاً، أرجوكِ ...لا تتصلي لحين أن اكلمك انا، اتفقنا جميلتي. .

أومأت له بتفهم ثم نهضت على الفور،

-الى أين؟ تسائل وهو ينهض ورائها فأجابته: لا اريد ان اتأخر أكثر من ذلك على المنزل،

- سأوصلك اذاً،

****

ترجلت من سيارتها وكان ممسكاً المقود قابضاً عليه بقوة، تابعها بعينيه وهي تبتعد.ناداها

- انتظري قليلًا .

خرج إليها مترددا و محتاراً ثم احتضن وجهها بيديه قائلًا هذه المرة بلطفٍ شديد وبنبرى أقرب إلى الهمس:

-أنا آسف عما حصل الليلة حبيبتي أعصابي تالفة بسبب ضغط العمل وحظك السيء الليلة هو من أظهرك بوجهي، سامحيني.

رفعت بصرها وابتسمت بإنهاك :

-أسفة لأجلك ....لكنك تعرف كم أحبك "

بادلها ابتسامة صادقة خرجت من بين شفاهه ثم قال:

-إن وفيتي بوعدك تجاهي ولم تتصلي معي كثيراً سأكلم عاصم بك بشأن زواجنا .وقريباً جداً.. إتفقنا .

أومأت هذه المرة بفرحة عامرة وطبعت قبلة خاطفة على خده قبل أن تركض إلى منزلها كطفلة صغيرة.

نظر إلى فرحتها تلك وتلمس بيده مكان قبلتها الناعمة الرقيقة كحالها وتنهد بأسى..

وعاد من فوره إلى منزله وحاول النوم بهدوء مقاوماً تلك الكوابيس التي لم تعد تفارقه منذ زمن طويل.

منذ ذلك الحادث البشع الذي كان سببه الأول والأخير هو هذا الوحش عاصم .

بالوقت الذي كانت فيه يارا تقوم بتدريباتها بصف الفتيات لتعلم الباليه الكلاسيكي على يد لويس الذي بدأ شيئاً فشيئاً يتقرب منها ، كان رواد يعمل مدرباً على الباليه المعاصر نظراً لقدرته العاليه ومهارته التي سبقت يارا بأشواط والتي جعلته على استعداد كامل ليصبح مدرباً محترفاً..

و الباليه المعاصر الذي اختص به رواد هو نوع من الرقص يضم عناصر من الباليه الكلاسيكي والرقص الحديث. والأشكال الموجودة فيه والباليه الكلاسيكي التقليدي والعديد من خاصياته تأتي من الأفكار والابتكارات من الرقص الحديث في القرن ال20، ويوظف الباليه المعاصر تقنية الباليه الكلاسيكي ولكن يسمح بنطاق أكبر من الحركة في الجزء العلوي من الجسم ويدمج بطريقة جذابة مع انواع رقصات أخرى بمزيج فريد وجميل وهذا ماكان يتقنه رواد بطريقة احترافية ويؤديه بمهارة عالية .كانت يارا تظن أنه مجرد متدرب بسيط يدرس كحالتها

في المعهد كانا يقومان بالتدرب بضع ساعات أخرى بمفردهما وكان هدفه الوحيد تقوية مهارتها،كان سعيداً لرؤية ابتهاجها وهي ترقص...وسعيد أكثر لتواجده معها بنفس المكان .

نقطعة ضعفها الوحيدة كانت بحيرة البجع ..تلك المعزوفة التي عشقتها من زمن طويل.

منذ أن شغلها في منزله ليراقصها أول مرة ..

منذ أن دربها وهي صغيرة على أداء حركاتها .

منذ تعثرها ووقوعها على الأرض بتلك الأيام ..إلا أنها تعشق هذه الموسيقى وبسببه

((الفصل التاسع))

منذ أيامٍ مضت..

-يارا .... اسمعي

-انتظر قليلا لأنهي مسح الأرضية قبل أن توبخني سيدة سهير

-اتركي تلك الممسحة أيتها البلهاء حالاً.

تبسم لها وهو يشغّل الأسطوانة لتمتلئ القاعة بهذه النغمة الجميلة التي تسربت لقلبها.

دقائق صمتٍ مرت عليها وقد شعرت أنها انسابت من هذا العالم لتسبح بمكانٍ أخر وإحساس جميل دغدغ قلبها برقة حتى قالت أخيراً.

- إنها جميلة ،بل رائعة ، ماسمها.

-هذه معزوفة بحيرة البجع لتشايكوفسكي .

نظرت ببلاهة له وتلعثمت باسمه: َمن ؟ تشاركوووسيكي

قهقه عالياً على سذاجتها : ياإلهي كم أنت متخلفة يارا تدرسين الباليه منذ سنوات ولا تعرفين المعزوفة ، أي مدرسة غبية تلك التي انتسبتي إليها.

شعرت بالحنق منه ولأول مرة تلتمس الفارق الكبير بينهما فقالت له غاضبة وقد ألقت الممسحة من يدها بقوة لترتطم على الأرضية الخشبية مصدرةً صوتاً عالياً .

-أتظنني أملك أموالاً طائلةً كعائلتك لكي ألتحق بأفخم المعاهد أنا مجرد خادمة وضيعة هنا إن كنت قد نسيت وجيد جداً أني استطعت الاستمرار على الرغم من حالة أهلي المادية التعيسة .

واشاحت بوجهها عنه ،حملت دلو الماء وهمت بالمغادرة لولا أمسك كفها و تدارك خطأه .

- لم اقصد هذا سامحيني ، الذي عنيته فقط أن هذه من المعزوفات الكلاسيكية الشهيرة التي اشتهر بها الباليه صدقاً لم اقصد شيئاً آخر . أنا آسف...

مطت شفتيها قائلة : لا بأس سامحتك .

- اسمه تشايكوفسكي مؤلف هذه المعزوفة وقصتها جميلة جداً بالمناسبة.

-حقاً .

-نعم ....أتريدين أن أقصها عليكي.

-بالتأكيد..

وجلسا على الأرض تستمع لقصته التي بدأ يرويها..

بطلها الأمير سيجفريد الذي ذهب في يوم ما ليصطاد فرآى مكانا هادئ قرب البحيرة التي كانت تطفو على سطحها البجعات بعذوبة. وبينما كان يتابعها ببصره، وقع نظره على بجعة جميلة على رأسها تاج.. ومع حلول الغروب، تحولت البجعة ذات التاج إلى أجمل فتاة شاهدها في حياته وكان اسمها أوديت ملكة البجع....

وأخبرها عن تلك القصة التي سحرتها بشكل لايوصف.

قصة بحيرة البجع لتشايكوفسكي .

****

دمعت عيناها لحظة تذكرها القصة التي رواها لها بذلك اليوم والآن وبانتظار دخوله ليتدربان ... شغلت الأسطوانة وبدأت الموسيقى بالعزف وبدأ شعورها العذب يتراقص مع بحيرة البجع من جديد..

وأمام الباب يقف هذا الشاب الفرنسي يتأمل ملاكه العربي الذي سلبه عقله وقلبه....حضر لويس على صوت الموسيقى المنبعثة من القاعة بعد انتهاء الدرس المقرر ليتفاجئ بها ترقص هنا وحيدة ..

كان شارداً باندماجها القوي وشغفها الواضح ...ودّ لو أنه الآن يحمل كاميرا ليصور هذه اللوحة البديعة التي لن تتكرر بتلك القوة والشغف مرة أخرى ... على الرغم من ارتكابها لبعض الاخطاء الحركية إلا أن هذا لم يؤثر على جمالية ماتقوم به، تعالت ضربات قلبه وابتسامة غزت محياه ثم صفق بيديه بقوة صارخاً :برافو برافوااا جميلتي العربية ...

فهذا هو الاسم الذي بات يطلقه عليها مؤخراً

نظرت له وارتسمت ابتسامة واسعة مكللة بالخجل على محياها وانحنت بطريقة مسرحية .

-شكراً.

-مالذي تفعلينه هنا للآن.

-بصراحة أنتظر رواد لنتدرب قليلا قبل أن اغادر .

-ولما تنتظرينه هنا اذهبي للقاعة التي يدرب بها .

- شكرا معك حق" ، وتمتمت لنفسها(أقال يدرب ام يتدرب) ؟؟ لم تعط بالًا لكلمته وظنت أنها لم تفهم الصيغة بسبب عدم تمكنها من اللغة الفرنسية .

-ثم قال قاطعاً شرودها ، أتسمحين للعبد الفقير أن يراقص سموك يا أوديت الرقيقة"

أومأت برأسها ضاحكةً من كلامه ثم ذهب ليعيد

تشغيل الاسطوانة و تقدم نحوها ليحاوط خصرها بذراعه ويبدآ بالرقص على أنغام موسيقاها.

وبدأ بثرثرته معها ولكنه يتكلم بهدوء وبطئ لتفهم عليه ... فما زالت لاتتقن الفرنسية كثيراً .

حاصرها بعينيه الحادتين قائلاً:

-أريد ان أفهم حقاً...مالسر فيك يافتاة .

فأجابته ببرائة وعفوية :لا سر فيي لما تسأل.

-أسرتني عيناكِ البحريتان "واقترب منها أكثر مضيفاً :

-ورائحة الفانيليا المنبعثة من شعرك .

ولكنها أشاحت وجهها بعيداً عنه و آثرت الصمت ، لاحظ ارتباكها الشديد لحديثه فغير مجرى الحديث فلا يريد إحراجها اكثر من ذلك .

- شغفك وتأثرك واضح بتلك المعزوفة هل لها ذكرى ما بقلبك.

لكنها هذه المرة أخفت دموع عينيها بألم فهي ذكراها الوحيدة الباقية من الماضي...الذكرى الوحيدة التي تمسكت بها من رواد القديم .صديق طفولتها وأميرها الصغير في ذلك الوقت .قبل أن تدور الدنيا بهما وتباعد بين قلبيهما بهذا الشكل الرهيب.

-هل أنت بخير انستي ؟. تسائل لويس بقلق:

-نعم مسيو أنا بخير لا تشغل بالك .

ثم قال ليمحو اثر هذا الحزن الذي بات واضحا على محياها .

-اتعلمين شيئا ، بدأت حقا أحب كلمة مسيو منك ..لها نغمة خاصة وايقاع مميز.....

ابتعد عنها وأردف يقلدها وهي يحرك ذراعاه (مسيووو) ،آوه كم هي جميلة منك

-لا تبالغ أرجوك " وبدآ بالضحك .

اكتست الجدية ملامحه فوراً.

-لا أبالغ يارا.المشكلة حقا أني لا أبالغ بما يخصك "

قالها بشرود وضياع واضحين...فمنذ قدومها وهو يشعر تجاهها بشعورٍ جميل ،شعورٌ أقوى وأعمق من أي اعجاب كنّه لأي امرأة من قبل ،ربما كان اختلافها ، ربما ثقافتها وعاداتها المحافظة...ربما برائتها الواضحة وعفوية حديثها...لا يعلم...المهم فقط أنها تعجبه وبشدة .

-يارا أنا....

ولكنه لم يكمل كلامه نظر إلى عيناها البريئتان وتوتر فجأة ..و أمام الباب يقف رواد يراقبهما وقد شعر بأن سكاكين تطعن قلبه...لقد سمع كل مادار بينهما من حديث ... رآى كل ماحصل بينهما وكل كلمة نطقها ذلك الفرنسي لحبيبته، وقف كالصنم أمامهما لا يستطيع أن يعلن عن نفسه ولا يستطيع التراجع...

اعتصر قبضته بقوة وكادت عروقه أن تنفجر بسبب ذلك الضغط الذي شعر أنه منبعث من أعماق روحه

أعذريني آنستي عن أذنك ".

قالها لويس وتركها وسط ذهولها ومشى ،التقت عيناه برواد الذي كان متسمراً أمام الباب ولكنه لم يعط له بالاً فضياعه الآن كان يكفيه . تركهما وخرج من القاعة

أغمض عينيه وهو يبتعد عنها .يريد أن يطردها من عقله لا يريد أن يصرخ قلبه بحب هذه الفتاة العربية ولا يريد أن يحطم قلبها الرقيق .فهو يعرف نفسه جيداً..ماإن يكون بصحبة فتاة وتعجبه أخرى لا يتردد أبدا بتركها ولسبب ما لا يريد ان يؤذي هذه الفتاة .

تقدم رواد ببطئ من أميرته ابتلع غصته وقال بهدوء شديد ونظرات الحقد على لويس تقطر سماً من عينيه :

-انا جاهز لنتدرب .

-لن استطيع اليوم لقد تعبت .

مشت من أمامه فاستوقفها بقبضته ممسكاً بساعدها بقوة ودون أن ينظر اليها قال بهدوء:

-قلت لك ألاتجعليه يتمادى معك وإلا اقسم بالله العظيم أني سأحرقه و سأحرق كل من يتجرأ على الإقتراب منك .

فهمست له بهدوء يخالف حمم البراكين المندفعة منه :

-أرى أنك الوحيد الذي سيحترق هنا .

عند كلامها ارتخت قبضته فأفلتها لتغادر تاركةً إياه يستعر ناراً

تمتم لنفسه: معك حق أنا الذي يحترق كل تلك

السنوات دون فائدة ...

****

((الفصل العاشر))

طرقات متواصلة على بابه أفزعته وجعلته يهب واقفاً عن السرير ،تطلع إلى الساعة التي لم تتجاوز الثامنة صباحًا و لعن بسره من قطع عليه نومه المريح الذي قلما يهنئ بمثله بعد سلسلة كوابيس لا مثيل لها، بشعره المبعثر وتثاؤب لخبط ملامح وجهه فتح الباب.

ليفاجئ بعماد يقف أمام الباب وبيده كيساً بلاستيكيًا أبيض اللون .

-أمازلت نائما يا ..... غوريلا ". وأطلق ضحكةً عالية على هيئته، قالها هذا الشاب الطويل ذو النظرة الثاقبة قبل أن يبعده ويدلف إلى الصالة واضعا الكيس على الطاولة ويجلس على الأريكة بأريحية ويقول بكل هدوء:

-قهوتي سكر زيادة كالعادة .

-ماذا تريد بهذا الصباح الباكر ...سحقاً لك أتمنى أن أهنئ يوما بعيدا عنك "

قالها داني ضاحكاً من صديقة الضابط عماد.

-لن تهنئ يا صديقي ، صدقني منذ قرارك بأن الاوان قد حان لتنتقم من عاصم وطلبت معونتي.. وقعت على اتفاقية عدم الراحة .... فذق ما جنته يداك .

-لو وقعت عقداً مع الشيطان لكان اهون لي من العمل معك .

-الشيطان بذاته ليس بدهائي صدقني.

قالها ضاحكاً ثم أردف :أحضرت لك بعض الفطائر .

سأذهب إلى الحمام لاشطف وجهي إغلي القهوة أنت وضع الفطائر بأطباق ريثما أخرج ولا تحرق القهوة كالعادة هل فهمت.

نظر عماد بامتعاض لصديقه وقام من مكانه متجهًا إلى المطبخ وهو يتذمر بصوت عال :

-انا بمنزلي لا أطيق الدخول إلى المطبخ...ياإلهي ماهذه المصيبة التي ورطت نفسي بها .

ضحك داني على صديقه وتعمد أن يطيل انشغاله بتصفيف شعره وهندمة ثيابه حتى تجهز القهوة ثم عاد إليه باسماً ....

-اوه رائحتها تدغدغ القلب.

طبعاً ألست من أعدّها بالمناسبة لقد انسكبت القهوة على الغاز امسحه .

-كاد ان يخنق عماد بيديه فتمتم

-فاشل "

وجلسا يرتشفان القهوة و فجأة اكتست ملامح صديقه الجدية وسأله:هل من جديد.

-بصراحة نعم لقد أبعدني مرة أخرى عن الشركة.... سأسافر اليوم فقد وكلني بمهمة خارج المدينة بفرع شركته الأخرى وأشعر أن من ورائها سر خفي كالعادة وسأحاول هذه المرة أن أكتشفه..

هز عماد قدمه بعصبية وقال:

-في كل مرة تقول هذا الكلام...ولا نحصل على شيء ذا قيمة.

-المشكلة انه ماكر وعلى الرغم من علاقتي الوطيدة به الا انه لن يستأمنني بسهولة.

-ولكن كل تلك المدة أيعقل انك لم تشعر بشيء غير طبيعي بالشركة؟

اعطني اسم شخص واحد فقط متورط بتلك المسالة ...أو عميل غريب ياتي أو أي معلومة لنمسك طرف خيط.

-مستحيل أن يقوم بتلك المسالة بشركته وامام الموظين ..فإن سمعه أحدهم ستكون كارثة ..تجارته القذرة تلك تكون خارجاً وخاصة عندما أسافر أنا أو أظن أن صفقاته تكون بعد أن ينصرف الموظفين مساءاً ،اتعلم ...أفكر بألا أسافر وأدخل الشركة ليلًا مارأيك

- لا إن شك بأمرك ستكون كارثة الأمر يحتاج إلى تروٍ.

حك شعره بعصبية وقال لعماد:

أقسم أني لم أعد اعرف شيئاً ... حتى يارا اختفائها المفاجئ منذ عدة اسابيع غريب قد اقلقني كثيراً.

أخرج سيجاراً قام بإشعاله ثم قال ببرود له:

-لقد سافرت إلى باريس مؤخراً.

-ماذا !باريس لما لم تخبرني من قبل وتركتني اقلق ؟

-لاأريدك أن تنسى هدفك الأساسي .كما أنها تدرس بمعهد للرقص هناك وأمورها جيدة جداً عندما يحين الوقت ستقابلها ولكن الآن أي غلطة منك قد تدمر عملنا كله هل فهمت. وهنالك أمر آخر .

-ياالهي ...مفاجآتك لاتنتهي .

-سافرت مع رواد .

-!!! هب واقفا وصرخ فيه :أأنت جاد عماد والآن جئت تخبرني ، كيف اجتمعا سوياً؟!

أمسكه من كتفيه وهزه بقوة .

-اهدأ داني .إن المكان الوحيد الآمن لها حالياً هو مع رواد ...فكر قيلا انه يحبها ومن الاستحالة أن يقوم بإيذائها هل فهمت.

جلس على الأريكة بغضب وبدأ يهز قدميه بعنف :

ومالذي تخفيه عني يضاً ؟

-لا شيء.

تبادلا النظرات ثم قال داني بكل حنق:

-لم يبقى امامي الا أن اتزوج ميرا بسرعة لاكسب ثقته .

-إذن فأنت ستلقي الورقة الاخيرة.

-نعم و يؤسفني ذلك ..التقيتها البارحة وحادثتها بعرض الزواج.

-وبهذا تكون ابنته ميرا الضحية.

-فليذهب هو وابنته إلى الجحيم لا يهمني وبكافة الأحوال هي ضحية إن تزوجتها أم لا ستكون نهاية ذلك القذر على يدي ..ولكني سأختار الطريق الاسهل لأنني مللت من تواجدي معه بنفس المكان.. مجرد رؤيته تشعرني باختناق..أريد أن أرى

اختي..أن أضمها بين ذراعي أن آخذ بثأري من كل ما قد جرى لنا بسببه ..فقد تعبت .

قال آخر كلمة وقد انكس رأسه ارضاً .

ربت عماد على كتف صديقه مواسيًا :

-صدقني مهما طال الزمن سيكون مصيره الإعدام .

****

كان بمكتبه يعقد اجتماعاً مهماً مع شركائه عندما تقدمت السكرتيرة ذات اللباس القصير بغنج ووقاحة وهمست بأذنه :

-سيد حسام يود مقابلتك لأمرٍ ضروري.

انتفض فجأة لسماعه الاسم والغى الاجتماع وجعلها تنادي عليه فوراً،خرجت ونادته فتقدم الرجل ذو الوجه الغليظ بخطى ثابتة وابتسامة ذئب على محياه ..

-عاصم بك لقد اتفقنا على كل شيء.

تسائل عاصم بصوته الاجش

-متى موعد التسليم .

-غداً مساءاً...

-جيد جداً ....كونوا حذرين ولا أريد اي خطأ كالمرة الماضية هل فهمتني يا حسام .

-هذه المرة كل شيء مضمون كان خطأً بسيطاً وتداركناه...

-جيد ..

****

أطل صباح يوم آخر عليهما ،

كان رواد طوال الليل يفكر بما قالته له ،هو فعلاً يحترق....منذ سنوات وهو يحترق ندماً على عمل ليس له علاقة به .. يحترق على عمل كان هو ضحيته مثلها تماماً ولكنه الآن خائف من أن تتركه لأجل ذلك الفرنسي...لقد جاهد كل تلك

المدة لكي تستطيع تقبله بحياتها مرة أخرى ولا يريد أن يدمر كل مابناه بلحظة بسبب شاب لم يحسب له حساباً.

لن يحتمل أن تكون مع أحد غيره .يستحيل أن يتركها بهذه البساطة إنها له ...ملكه جزء من روحه وطفولته وماضيه الجميل ولا يريد أن تنتزع من بين يديه بهذه البساطة ،أخرج هاتفه وأجرى اتصالًا مع أحدهم:

-هل انتهيتم من تجهيز المنزل ؟

-إنه جاهز سيدي بامكانك الانتقال اليوم إن أحببت .

-حسنا " .

عند الظهيرة لملم أغراضه وطرق بابها مرة واثنتين حتى فتحت له ،اتكأت على الباب وقالت ببرود:

-ماذا تريد مني الأن ؟

لملمي أغراضك بسرعة سننتقل من هنا .

-عفوا!

-سمعتي ماقلته، لملمي أغراضك وأنا أنتظرك أمام الباب.

فحدقت فيه بتحدٍ وهتفت:

-اوه حقاتأمرني وماعلي سوى السمع والطاعة أليس كذلك؟

-يالهي كم تحبين الثرثرة ... سننتقل إلى مبنى قريب من المعهد ستمكثين فيه .

-غضبت وصرخت فيه ....لن اقيم معك بمنزلٍ واحد أيها الغبي.

احتقن وجهه فجأة ضرب على الباب بقبضته قرب وجهها وصرخ فيها :

-ومن قال أني على استعداد أن أسكن مع بلهاء دماغها فارغ مثلك !

ثم أردف لاستفزازها...ولكن مهلاً ...إن كان تفكيرك متجهاً لذلك الصوب فلامانع عندي وبهذا نوفر أجار شقتين .

ضيق عينيه بمكر فحدقت فيه مطولا وكأن الصدمة الجمتها عن الكلام ثم كظمت غيظها بعد عناء و قالت بهدوء :

-بهذه الحالة أين ستقيم انت اذاً ..لأني أرى أمتعتك أمام الباب

-جيد جداً ....الآن صرت تتكلمين مثل الخلق....ستكون شقتي مواجهة لشقتلك . طبعاً إن احتجتي لشيء أو ما شابه...ولا تظنين أني متحمس كثيرا لأن أرى وجهك البائس هذا يومياً أمامي .

ردت عليه بحنق:

-إذن لن اغادر الفندق لكي لاازعج سموك بوجهي البائس.

-وهل تظنين أن المعهد سيتحمل مصاريفك هنا بهذا المرتب القليل الذي تتقاضينه منهم أم أنك تريدين العمل خارجاً كنادلة لكي تدفعي ثمن مكوثك ؟ .

-عليك اللعنة ".قالتها مغلقة الباب بعنف في وجهه وبدأت بلملمة حاجيتها بحنق.

وبعد مدة تعمدت جعلها طويلة لكي ينتظر ، خرجت وطرقت باب منزله ليقلها إلى المنزل الجديد. كان لا يبعد كثيرا عن الفندق والمعهد ،يقبع المبنى بزقاق ضيق نسبياً لكنه جميل ومرتب قالت له عندما دخلا المبنى :

-أريد أن افهم لما دائماً تصر على أن تلتصق بي كظلي.

-قلت لك أنه لم يكن اختياري ، طبعاً هذا بما أننا من دفعة واحدة.

تجاهلته ودخلت شقتها وضع أمتعتها أمام الباب قائلاً :أتمنى أن يعجبك" ثم غادر إلى شقته تاركاً اياها..

******

((الفصل الحادي عشر))

كانت شقتها على الرغم من أنها صغيرة إلا أنها جميلة ، أثاثها أنيق يبعث على الراحة وخاصة بألوانها الهادئة ..هيهات ما بينها وبين شقتها القديمة البسيطة ذات الجدران المهترئة والمتآكل معظمها ،على حائط مزركش بورق جدارن يتزين بزهور البنفسج تتموضع مرآة طويلة وأمامها مباشرة على الجانب المقابل نافذة عريضة عليها بضع أنواع من الزهور وستارة شفافة وردية معقودة بشريطة أنيقة .تلفاز كبير معلق على الحائط المقابل وأمامه تلك الأريكة العريضة بلونها الأزرق وعليها بضع وسائد مستطيلة ملونة .

المطبخ صغير كذلك وله شرفة واسعة تضيئه بشكل جميل وهو مجهز بكل الأدوات الكهربائية التي من الممكن أن تحتاجها وأخيراً رواق صغير به بضع لوحات مرسومة لبجعات وراقصات باليه!!حتى هذا التفصيل البسيط لم ينسوه ، تسائلت ثم عبرت الرواق أمامها لتدلف لحجرة نوم هادئة بإضائتها الخافتة التي تبعث على الإرتياح ، أضاءت أنوارها أكثر وأطفأت الأباجورة لتتبين معالم الغرفة بشكل أوضح

كان أثاثها ذا لون عسلي كذالك بستائر بيضاء ناعمة أمسكت حقيبتها والقتها على السرير الواسع وبدأت بإفراغ أمتعتها وترتيبهم في الخزانه..

إنتهت بعد مدة قصيرة ،غيرت ملابسها و بعدها استلقت على السرير وسرحت بالسقف ...شعرت بدفئ الدمع الذي انساب من مقلتيها عندما عادت بها ذاكرتها إلى ذلك اليوم عندما حادثته في الهاتف ..

((((-رواد سآتي اليوم مع أمي كالعادة وسأحضر لك مفاجأة بمناسبة عيد ميلادك ".سمعت تلكأه قليلا عبر الهاتف قبل أن يخبرها: اليوم لن أتواجد في منزلي سأذهب للإحتفال مع أصدقائي ، لاداعي لمجيئك كيلا تتلقين كلاماً مزعجًا من والدتي سأراك غدًا إتفقنا ولكن مالذي جلبته .

-طبعا لن أخبرك إنها مفاجئة .

-هكذا إذن.

أغلقت الخط وقد أعادت تأمل الورقة البيضاء التي رسمته فيها مع الخاتم الفضي الذي نقشت عليه إسميهما وابتسمت ثم خرجت إلى صالة المنزل لترى والدتها ممددة على الاريكة .

-أمي هل أنت بخير .

-نعم عزيزتي لا تقلقي مجرد دوار بسيط .

-مالهذا الدوار دائماً يأتيك امي ؟

وتقدمت أكثر من والدتها وتحسست جبينها .

-امي أنت ساخنة حرارتك مرتفعة .

حاولت رزان النهوض قائلة :لا حبيبتي أنا بخير سأذهب الآن كيلا تغضب السيدة سهير مني .

-فالتحترق السيدة سهير لن يضرها إن لم تحضري يوماً بالسنة إرتاحي قليلاً.

-لا حبيبتي إنه العمل الوحيد الذي نعتال منه ...لا أريدها أن تتحجج بإهمالي لتجلب خادمة جديدة .فمرتب أباكي الضئيل لن يكفينا.

-سأذهب أنا إذاً...أنتِ استلقي الآن داني سيعتني بك ريثما أعود اتفقنا .

-شكرا صغيرتي ...

ابتسمت لأمها ونهضت لتذهب للعمل بدلًا عنها طالبة من داني المكوث بجانب والدته ريثما تعود..

دخلت إلى فيلا السيد عاصم وكان الهدوء يعم المكان تسائلت أين ستكون السيدة سهير !فلا أثر لها .

كادت أن تباشر بعملها لولا لمحت بصيص ضوء قادم من غرفة مكتب عصام صعدت السلم و اقتربت بهدوء أمسكت المقبض و كادت أن تفتح الباب لولا استوقفها حديث عاصم مع أحدهم..قربت اذنها اكثر حتى التصقت بالباب .

-سأعطيك المبلغ كاملًا ...لكن بشرط .

-انا تحت امرك سيدي ..سافعل ما تطلبه مني .

إنه صوت والدي !

ألصقت أذنها أكثر لتسمع

-ستعترف انك القاتل ...

-ماذا !.

تسائل جابر بصوتٍ مرتجف وكتمت يارا شهقة كادت تفر من فمها عندما أردف عاصم بكل برود.

-السجن مقابل إجراء العملية لزوجتك .

فتحت عيناها بذهول وصدمة ولم تصدق ما سمعت ...

-امي مريضة وتحتاج لعملية ...!!

كان السكون يغلفه جوٌ من التوتر شعرت به من خلال ضربات قلبها المتسارعة....

ثم أردف عاصم بصوته الأجش الغليظ: هذا الأمر صدقني سيقبل به مئة رجل غيرك إن أعطيتهم المبلغ المطلوب... .ولكني أحببت ان اقدم لك هذه الخدمة نظراً لانك سائقي المطيع .. إن قبلت ستقضي بضع سنوات فقط في السجن فأنا سأوكل محامياً يثبت أنه هو من اعتدى عليك بالسلاح أولاً فكر جابر... الأمر عندك .

توتر جابر وازدرد لعابه ولكن لا حل آخر فهو لا يملك ربع المبلغ المطلوب لذلك حسم أمره فهو مستعد أن يدفع عمره سبيلًا في شفاء حبيبة عمره.

-موافق سيدي .. قالها بعد مدة من الصمت.

صدمتها الآن كانت أكبر من أن تتحملها ...لا يعقل أن يقضي أباها عقوبة سجن لا دخل له بها بسبب ذلك الانتهاري...

تركت كل ما ورائها و ركضت من فورها إلى المنزل لترى أمها التي كانت تتصبب عرقاً وانهارت فوقها....أنت مريضة أمي! لما لم تخبريني؟

مابك أرجوكِ أجيبي...دفنت رأسها بصدر أمها وسالت دمعاتها.

مسحت الأم على شعر ابنتها واقترب داني اكثر من والدته اعتدلت الام بجلستها وقالت بوهن:

-لا ..لستُ مريضة.. مجرد انفلونزا وسأشفى قريبًا صدقيني

-لا أمي ....لا تكذبي ..لا تكذبي عليّ

وركضت إلى الخارج تجلس على السلم ...

لحق بها داني وجلس بجانب اخته .

دفنت رأسها بيديها واجهشت بالبكاء قائلة: له لقد سمعت كل شيء ياداني .لقد سمعت ذلك الحقير عاصم

-مالذي سمعته يارا اخبرني..

مسحت دمعها وأخبرته بما جرى .

******

كان الثلاثة بحالة صمت رهيب خاصة بعد أن كذبت الام بشأن مرضها ولكن السؤال الذي بحيرهما كان .من الميت الذي سيتحمل جابر عقوبة قتله بدلاً من عاصم ،ولم يفهم احد هذا السر الا بعد وقت طويل جدا..

دخل الاب مساءاً ليرى الوجوم الذي يعتلي وجوه أحبائه الثلاثة ..عندما دخل غرفته اقتربت يارا منه وجلست على الارض ممسكةً بكفه ..

قالت بصوت متماسك وبقوة ..

لن تدخل السجن بسببه أبي ..اهذا واضح .

صعق جابر من كلام ابنته فلم يكن متوقعا أنها قد عرفت وبهذه السرعة.

-كيف عرفتي ؟

سمعتكما تتحادثان اليوم أبي...هل سمعتني ...لن تتحمل ذنباً لم تقترفه

-ضحك بأسى وقال لها :بضع سنوات لرجل عجوز لن يضروه مقابل حياة أمك.إن طلب مني الموت في سبيل شفائها فلن أتردد.

تهدج صوتها ونطقت بهدوء :

-مابها ..مامرضها .

نفخ بقوة مجيباً :

-السرطان.....ولكنه في بدايته إن استئصلنا الورم مبكراً فقد تنجو.

الجو السائد حينها كان الصمت ...التوتر والخوف من هذا الشيطان الإنتهازي ومن المستقبل .

قالت يارا بعدها بترج : سأطلب من رواد ..متأكدة انه ...

قاطعها داني وهو يدخل الغرفة

-وهل تظنين أن رواد يمتلك ذلك المبلغ أو يستطيع التصرف بشيء! يبدو أن ذلك الوغد يعرف عمله جيدا فكل شيء باسمه..

مالحل اذاً ..تسائلت يارا بأسى ودمعها قد أغرق وجنتيها

هب الأب واقفًا وقال بحزم ...سأدخل السجن وسينتهي كل شيء ولا أريد جدالًا في الموضوع .

ولا تخبرا والدتكما هل فهمتماني ....يكفي ألمها الذي تعانيه ....سنخبرها أني مسافر بعمل خارج البلاد.

****

كان المساء بنسيمه العليل قد حل عليها ...الستارة الوردية بدأت تتمايل بهدوء وهي واقفة أمامها تتأمل هذا الشارع الضيق المضاء ليلا والمليء بالحياة والحركة إذ أنه يحتوي على مقهى صغير يتزين بالورود .

شردت بشاب وفتاة وعلى وجهيهما ترتسم سعادة عشق وأمل بمستقبل تمنت لهما ان يكون جميلًا.

لكن طرقات هادئة على الباب أفاقتها من شرودها ف نهضت لتفتح فتفاجأت بوردة حمراء على الأرض...نظرت أمامها مباشرة وكزت على اسنانها غيظاً فلم يخطر ببالها الا شخص واحد فقط ثم توجهت إلى شقته المقابلة و طرقت الباب بعنف وصرخت فيه عندما فتح...

-لا اظن أن المعهد كذلك من مهامه أن يضع وردة حمراء أمام منزل المتدربين!

وقذفت بها في وجهه.

-فقال بغباء:

-وردة ؟ اي وردة هذه لم أضع لك شيئاً ؟

-كف عن العبث معي رواد .

-يارا ...مالذي تريدينه لم أفهم ...تطرقين باب منزلي ليلاً وتصرخين وتشتمين بدون سبب.

تلكأت قليلا بعد أن شعرت بصدق كلماته:

-ألست من وضع هذه أمام منزلي !!.

-كنت بالحمام إن لاحظتِ ... ولا اظن أني سأخرج بهذا الشكل أليس كذلك .

تنبهت على أن المنشفة تغطي كتفيه العاريين فتلعثمت بالكلام احتقن وجهها واصطبغ احمراراً وركضت مباشرة لمنزلها مغلقة الباب بعنف.

نظر لها ببلاهة ثم انحنى ليمسك الوردة ودخل إلى منزله ضاحكاً من جنونها .

-لكن مهلًا من وضع هذه أمام منزلها !؟.

******

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الثاني عشر))

الأضواء الملونة تتراقص من حوله بشكل جنوني متناغمة مع تلك الموسيقا الصاخبة التي تملأ هذا الملهى الليلي القابع بإحدى أحياء باريس .

كان ممسكاً بكأسه دافناً رأسه على الطاولة بعد أن أخذ الخمر بعقله بعيداً ليطير مع جميلته العربية التي سرقت قلبه وأخذت عقله أكثر من هذا الكأس الذي يشربه .

اقتربت منه تلك الشقراء بثوبها الازرق القصير وربتت على كتفيه جالسة بجانبه....

-هيي لويس..أنت بخير ؟ .

كادت أن تسحب الكأس من يده ولكنه رفع نظره إليها دون أن يحرك رأسه واحتضن كأسه بيده اكثر ..

-أتركيني ماريا.

كانت متوترة جداً من تصرفاته بالفترة الأخيرة وخاصة بعد أن لاحظت نظراته ليارا بقاعة التدريب ...

-يبدو أنك شربت كثيراً ... هيا اتركه واخبرني مابك ، طوال الفترة الماضية كنت تتهرب مني !!

زفر ضيقاً منها واعتدل بجلسته وهتف بصوت عال لكي تسمعه بهذه الضوضاء العالية وبحروف خرجت بصعوبة من فمه....

-ماذا تريدين مني الآن ..

ديقت عيناها أكثر وكزت على أسنانها غيظاً ..

-في المعهد لم تعد تكلمني وخارجاً لاترد على اتصالاتي أريد أن أفهم مالذي يجري معك.

أفرغ محتوى الكأس في جوفه قبل أن يرد عليها ببرود

-لقد مللت منكِ عزيزتي .....وكما يقال دائماً ..انها النهاية

وكاد أن يغادر لول أطاحت بالكرسي من ورائها بغضب وصرخت أكثر وهي تضربه بيدها وبالكاد توازن جسده

-كل ذلك لأجل تلك الهمجية العربية أليس كذلك أيها الحقير ؟؟!

فجرت ماريا ألمه وعذاب نفسه بسبب حبه ليارا فأمسك شعرها بقبضته وضرب رأسها على الطاولة واقترب منها قائلا بأنفاس خانقة:

-نعم ..لأجل العربية الهمجية أيتها الرخيصة...

كانت تحاول تخليص نفسها منه ولكنه شد بقبضته اكثر مردفاً ..

-إن كان عندك اعتراض ...فالتبتلعيه بجوفك القذر وإلا ستندمين هل فهمتي...لقد سأمتك وسأمت تفاهتك وأحاديثك المملة ياقبيحة ...يا أقبح من أقبح راقصة باليه على مر التاريخ.

تركها وانتشل سترته مغادراً المكان...

لم يستطع حتى قيادة سيارته بسبب ثمله فاضطر حارس الملهى أن يوقف له سيارة أجرى لتقله.

دخل إلى شقته و كانت قابعة بظلام موحش أشعل كل الأنوار وارتمى على الأريكة من فوره وهو يغني بحروف مبعثرة وكلمات تائهة المعاني والأوصاف

أراكِ ...كل ليلة ..في أحلامي

أشعر بك ...

بعيدا عبر المسافات ..والفضاءات ..

لن أستطيع الإبتعاد ....وحبكِ يزداد

ككل مرة....قالها وضحك بأعلى صوته ..

تذكر كلماته لماريا و صار يضحك بشكل هستيري ثم مسح دمعته التي انسابت واستكان بيده فوق رأسه وهو يعتدل بجلسته..

-آوه تبا لحماقتي الحمقاء إن ماريا مجنونة وقد تؤذي يارا بكلماتها أو تصرفاتها الخرقاء...

-اه يا يارا

صدقاً...أنت مختلفة، كل ما فيكِ مختلف عنهن ...نظراتك ابتسامتك برائتك وطهارتك..لن أستطيع تجاهل عشقي لكِ

أخرج هاتفه وبصعوبة وجد رقمها ظل مترددا كثيراً قبل أن يضغط على زر الاتصال.

ليأتيه صوتها الناعم الذي عشقه كما عشق كل شيء فيها .

-ألو...

سار بخطوات متثاقلة نحو مسجلته وضغط على زر التشغليل لتتسلل هذه الأغنية على مسامعها والتي بات يسمعها كل ليلة وتذكره بها وكأنها تصف ما يعتريه ...

لا أستطيع تخيل الحياة

دون أن تكوني بجانبي

وحبك القوي

هو كل ما احتاج إليه الليلة

أنصتت قليلا ثم نادته :

-مسيو لويس .

نظف حلقه قليلا ثم سألها :

-كيف حالكِ يارا .

-أنا بخير مسيو ، وأنت .

-الآن اصبحت بخير حال أتعرفين لماذا؟

لاحظت يارا ثقل كلماته واستهجنت أن يتصل بها بهذه الساعة المتأخرة من الليل لكنها جاوبته ببساطة.

-لما ؟

-لأني سمعت صوتك العذب الرقيق ...تخيلتك أمامي ...و

لكنها قاطعته قبل أن يتمادى بكلماته فبالتأكيد ليس واعياً لما يتفوه به ...

-سيدي يجب أن أقفل فأنا مشغولة

-مهلاً....مهلًا

ثم صمت قليلا قبل أن يقول:

-فكرت في أن نخرج سوياً غداً .

تلكأت قليلا قبل أن تجيبه

- حسناً إن كان هنالك وقت والان تصبح على خير .

تصبحين على... أحضاني... ملاكي ....

قالها ثم أقفل الهاتف مقبلا إياه قبلة طويلة قبل أن يغط بنوم عميق على الأريكة والمسجلة ما زالت تردد على مسامعه تلك الأغنية الجميلة .

تأملت يارا الهاتف قليلاً وشف ثغرها عن ابتسامة مشوشة من كلماته العذبة ...لطالما عرفت أن باريس مدينة الحب وسكانها عشقهم فريد من نوعه...ولكنها لطالما أيقنت أن قلبها لن يتمكن منه سوى شخص واحد فقط وقد قام بتمزيقه لأشلاء صغيرة .

****

خرج رواد إلى الشرفة يستنشق بعض الهواء ورآها ...كانت جالسة في شرفتها تتأمل الشارع ابتسم رغماً عنه وجلس يحدق بها ..و كانت هي بعالم آخر تمامًا...

تناست أمر لويس و تذكرت عائلتها البسيطة ...أباها الحنون وأمها الرقيقة ..تذكرت طفولتها الجميلة مع داني ...مسحت دمعها واسندت رأسها على قضبان الشرفة أين عساك أن تكون ياخي ...

هل مت ؟ أم تراك ماتزال على قيد الحياة ..

وإن كنت كذلك فأين اختفيت ..

كانت طوال تلك السنوات تتسائل عنه وتبكي لأجله .كانت محاطة بكل من يحبها وخسرتهم كلهم بلمح البصر وعادت بها ذاكرتها مجددا إلى تلك الايام القاسية ...

(فعدة أيام مرت بعد أن عرفت بحقيقة مرض أمها

و كان الجميع بحالة ترقب وخوف ...

حتى جاء ذلك اليوم الذي لملم فيه جابر أغراضه وودع زوجته قائلاً بأنه وجد عملا جيدًا خارج البلاد سيحسن من أحوالهم المادية ...كانت يارا تبكي بألم ..لأنها تعرف إلى أين سيتوجه والدها الآن ربت داني على كتفها واحتضن اخته هامساً لها...كوني قوية لأجل أمي .

خرج جابر وسلم نفسه للقضاء على أنه القاتل..على أمل أن يفي عاصم بوعده بعلاج رزان من مرضها.وتوكيل محامٍ له للدفاع عنه

ومر بعدها عدة أسابيع وكانت يارا تتغيب عن دروس الباليه حتى فصلت من المعهد بسبب تغيبها و تراكم الأقساط لشهرين ماضيين. واستلمت هي أعمال والدتها بهذا المنزل الكبير وتناست حلمها بالرقص ...

دانئ كذلك زاد من ساعات عمله المسائي على حساب دراسته...لكي يوفرا حاجتهما .ولكن عاصم لم يعطيهما النقود المطلوبة .... وخاصة بعد أن حاولت يارا أن تطالبه أكثر من مرة ولكنه كان يتجاهلها أو يؤجل موضوعها .

****

في إحدى الأيام كانت جالسة بصالة الرقص وبدت حزينة وشاحبة بدرجة كبيرة وهي تنظف ..

اقترب منها رواد مستفهما .

-مالأمر...لما الحزن .

-لا شيء

-حبيبتي ...

أمسك وجهها بيديه قائلاً:

وجهك شاحب وعيونك ذابة .. لا بد أن هناك سببًا للامر أعلم أني انشغلت عنك كل تلك الفترة بسبب انشغالي خارجاً، صوتك على الهاتف كان منهكاً و منذ مجيئي وحالتك ليست على مايرام...هل قست عليك أمي بالكلام

رفعت نظرها إليه وهمست ...

-لا.

-إذاً اخبريني مابك ...وأين هي خالة رزان لم أصبحت تتغيب كثيرا عن العمل ؟هل هي بخير.

غطت وجهها بيديها وقالت بخفوت:

-رواد أمي مريضة.. مريضة جداً ....بحاجة إلى عملية مستعجلة ولا نملك المبلغ المطلوب..

.دفنت رأسها بصدره دامعة العينين.

تبسم لها رافعاً رأسها بأنامله وقال بهدوء:

سأخبر أبي وأنا متأكد أنه سيعطيكم المبلغ لاتحزني هكذا ..و لا تبكِ أرجوكِ ...لا أستطيع احتمال دمعتك تلك والدتك غالية جداً على قلبي لن أدع مكروها يصيبها ثقي بي،نظرت له وقالت:

-لن يعطينا أباك قد طلب منه أبي قبل سفره ولم يعطينا إلى الان....

لم تخبره بذلك المقابل الذي طلبه عاصم من أباها...ولم تخبره أنه لم يفي بوعده تجاههم.

أومئ لها مطمئناً ثم قال :بل سيعطيكم...ولكنه كان مشغولًا في الفترة الماضية ....يبدو أنه نسي فقط ..سأذكره عزيزتي .

ثم قال ليغير الموضوع ...ولكن أين هي المفاجأة التي وعدتني بها من قبل بضعة أسابيع ايتها الكاذبة لقد اضطررت للسفر قبل ان آخذها . أريد مفاجأتي حالاً.

-لا وقت لهذا ارجوك.

-اذا انت كاذبة

-انا لا اكذب .

-اذا أعطني هديتي الآن حالا.

- لحظة واحدة ...

تغيبت عن ناظريه لدقيقتين أو أكثر ثم أخرجت من خزانةٍ في القاعة ورقة مطوية وذلك الخاتم الفضي وسلمتهم له نظر إلى اللوحة فانفرجت شفتاه عن ابتسامة واسعة جدا ...

-إنها...رائعة يارا ..

على الرغم من عيناي الحولاوان وأنفي الأعوج ولكنها رائعة ....موهوبة بالرسم أيضا صغيرتي .

ضربته على كتفه وصرخت....كف عن الإستهزاء بي هاتها إن لم تعجبك .

اصطبغت وجنتاها باللون الاحمر عندما همس لها بحنان

-بأحلامك أن تأخذيها ...إنها أجمل هدية تلقيتها بحياتي على الأقل أنها نابعة من قلبك النقي

-شكراً لك.

إرتدى خاتمه كذلك وهمس وهو يحتضن كفها ،لكم أتمنى اليوم الذي سألبسك فيه خاتم الزواج .

****

في اليوم التالي أخبرها رواد أن أباه وافق ويريدها أن تذهب إلى مكتبه.... ركضت إلى مكتبه ولحقها رواد، كان كلامه أمام ابنه ودياً رقيقا لأبعد الحدود وهذا ما أثار ريبتها فهي تعرف عاصم وتعرف لهجته المتسلطة المتكبرة .حتى جاء اتصال لرواد فذهب ليجيب وتركها معه .

بقي عاصم ينظر إلى يارا متفحصاً كل شبر بجسدها الهزيل ويبتسم فانكمشت على نفسها خوفاً من نظراته الوقحة تلك ..حتى قالت بصوت جعلته متماسكا ...

-سيدي ...هل حقا ستعطيني الآن المبلغ لإجراء العملية .

-طبعاً جميلتي .

وابتسم بمكر

-ووالدي ...هل وكلت له محاميًا ؟؟

-ضيق عينيه عندما علم بشأن معرفتها للموضوع ..وضع يديه تحت ذقنه مفكراً وبعد صمت قام من أمام مكتبه متجها إلى الخزنة أخرج رزمة دولارات ووضعها أمامها على الطاولة .

-إنها لكِ.

نظرت له بعدم تصديق فالمبلغ كان ضخماً ...حتى أنه فعل ذلك بهذه السهولة ..ظنت لوهلة أنه يكذب!

-....حقاً ؟.

ابتسم لها وأومئ قائلًا :كي تعرفي اني أوفي بعهودي ايتها الشابة .

مدت يدها بتلقائية لتأخذ المبلغ لولا شلت حركتها عندما قبض على يدها المستكينة فوق النقود واقترب يهمس لها بصوت كالفحيح: ولكن لكل شيءٍ ثمن .

الرفقة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الثالث عشر))

إرتعشت أناملها وانكمشت على نفسها أكثر عندما لفحت أنفاسه الخانقة وجهها قائلًا بمكر :

-عليكِ أن تدفعي الثمن صغيرتي الجميلة ...ليس من عادتي أن اعطي شيئاً دون مقابل .

ردت عليه بصوت متهدج..ودموع متحجرة بخوف

-لقد أعطيناك الثمن....حرية أبي مقابل العملية ماذا تريد أكثر.

عضت على شفتها بأسى فرفع وجهها بيده الخشنة وقال بهدوء ...

-ذلك ثمن بخس جدًا ..... وأنا طماع لايكفيني ...ثم كشر عن ابتسامة زادت من تجاعيده القبيحة. وقد تحسس وجهها بيده فاقشعر بدنها بطريقة غريبة جداً وحاولت الابتعاد عنه.

-المشكلة أنك لعبة ابني ولا اظن أني من النوع الذي يعبث بلعبة ابنه المفضلة ...لست وغداً لهذه الدرجة عزيزتي لذلك سيكون طلبي البديل بسيطًا جدًا .

-صرخت وقد ابعدت يده بقوة عنها .

لست لعبة لأحد هل فهمت أيها ....

قاطعها بهدوء : لمصلحتك ألا تقولي كلاماً ستندمين عليه ،فكري بمنطقية ....

خادمة صغيرة جميلة تحت ناظري شاب ثري وأمامه من النساء من هن الأجمل والاغنى ...أنت بالنسبة لرواد مجرد تسلية بأوقات فراغه، لعبةٌ سيمل منها ويرميها عاجلًا أم آجلًا.

كتمت دمعاتها وشدت على قبضتها أكثر وهو يردف بكل قسوة...وخاصة ان خطبته ستكون بعد أيام من ابنة أكبر مسؤول في البلد ...

وأردف بخبث

ألم تعرفي. أين كان كل تلك المدة بسفره عزيزتي؟

رمى كلمته تلك فانهارت على الكرسي بصدمة شلت حركتها والجمت لسانها عن النطق ...

فتقدم وجلس مواجها لها ..

-آوه يبدو أنه أخبرك بأنه مسافر بعمل!!...ولد كاذب قليل التربية.

وضحك بصوت عال وسط ذهولها

بعد صمت مطول سألته

-ماذا تريد ؟

-جيد جداً....الآن بدأت تفكرين بمنطقية...، دعيه يتسلى بك كيفما يشاء الآن ،لكن بعد مدةٍ قصيرة...أريده أن يكرهك يارا مفهوم، قدمي له ما يتمناه وابتعدي عنه بعدها لا تشغلي تفكيره بأمورك التافهة الرخيصة وتشتتيه.

وبالنسبة لعملية والدتك سأتكفل بالمبلغ المطلوب..والباقي اعتبريه تعويض نهاية خدمتها .وبهذا نكون متعادلين .

قالت بعد تردد...

-ابي....هل .

اقترب فجأة من أمامها ...

لننهي الآن موضوع والدتك وبعدها سنرى.

اعتصرت قبضة يدها بقوة وهي تخرج من مكتبه لتلتقي عيناها بعيني رواد الذي تقدم لها باسمًا ..

-هل كل شيء بخير عزيزتي .

ثم حانت منه التفاته ليدها قائلاً

اه جيد يبدو أنه اعطاكي النقود .

نظرت له بألم واحتقار وأفكارها تنارعها اعتصرت الرزمة اكثر بين أصابعها شاعرة بمهانةٍ كبيرة ....هي تعرف رواد جيداً وواثقة من حبه ...أو كانت كذلك والآن لم تعد واثقة ...فقد كلام والده منطقي .حتى أنه كذب عليها بشأن سفره وقال انه بعمل .

أين أنا من هؤلاء النسوة الاتي بعالمه...فرق شاسٌع جداً بيني وبينهن ..وبالنهاية سيضجر من فقيرة بائسة مثلي ..

اعاد كلام مخاطباً إياها

يارا هل انتِ بخير؟

-أجابته بصوت خانق: نعم بخير عن اذنك .

وخرجت إلى منزلها ...

يومها لم تعرف النوم لشدة بكائها ...كيف يطلب ذلك الوغد منها أن تتركه ببساطة ...أن تتجاهله وهو أمامها ..أن تخرجه من تفكيرها وقلبها وعقلها وهي تعشقه حد الإدمان .

شعرت بغصة كبيرة وبسكين اخترقت صدرها ..

ولكنها بالنهاية مجبرةٌ لانقاذ والديها،

عدة أيام مرت والأم تشتكي أن جابر لم يتصل بها إلى الان ولكن داني كان دائما يطمئنها أنه بخير وقد اتصل وهي نائمة أو خارجًا ....

كانا دائمي الكذب لكيلا تقلق عليه وهي تصدق وتحمد الله على أنه بخير .حتى جاء يوم أجرت فيه رزان العملية.

وفى عاصم بوعده وهاقد حان دور يارا لتفي بوعدها ف حاولت جاهدة تجاهل رواد في المنزل وبدأت بفعل ماأمرها به عاصم .كانت تحاول قدر المستطاع ألا تتواجد بنفس المكان معه وتتحجج بانشغالها الدائم ..

تتجاهله وقلبها يحترق ولا تستطيع إخباره بالحقيقة ..

وكان بدوره مضطرباً بسبب تغيرها المفاجئ تجاهه..

كانت دائمة الهرب منه تنهي عملها وتسرع إلى المنزل لكيلا تراه يدخل المطبخ ليحادثها فتشغل نفسها بأي شيء وتخرج بسرعة .

..حتى صالة الرقص خاصته لم تعد تدخلها إلا سريعاً

حتى أوقفها بيوم قبل أن تخرج ...دخل غرفته وكانت فيها ترتبها بصمتٍ وانكسار كعادتها منذ عدة ايام، رأته وكادت ان تهرب من أمامه لكنه اسرع بإقفال الباب ووقف أمامه متجهم الوجه

لما تتجاهليننني يارا ؟.

نظرات مضطربة خرجت من عيناها البحريتان وهي ترى اللهفة والشوق في تقاسيم وجهه.

-لا أتهرب منك ولكني مشغولة .

هزها بعنف وصرخ بها:

لقد كنت تعذبينني طيلة أسبوعين مالأمر اخبريني .

اشاحت بنظرها عنه واخذت تبكي في حين تمزق قلبه لرؤيتها على ذلك الحال رفع وجهها بأنامله وكرر سؤاله مجدداً.

اقسم لكِ اني تعبت. ارحميني ،تجاهلك يقتلني، أتفهمين!

ولكنها تعترف الآن أنها فشلت في مهمة إبعاده إنها تعشقه لقد غلب قلبها على المنطق والعقل ... لم تستطع إلا أن تكلمه وتتعلق به أكثر من الأول فكيف لإنسان ان ينسى الهواء الذي يتنفسه....كان رواد ببساطة هو الهواء الذي تتنفسه يارا .

سألته بارتباك: ..أحقاً ستتزوج ابنة المسؤول .

صعقته الصدمة ونظر لها مطولا قبل أن يطلق ضحكة عاليةً ويضمها بجنون اليه صارخًا .

أنا احبك ايتها المجنونة.....احبك

ابعدته عنها بعنفٍ وهتفت فيه...قلت مائة مرة الا تقترب مني بهذه الطريقة رواد،لم نعد أطفالاً ، ثم انك كذبت علي واخبرتني انك مسافر بعمل في حين أنك كنت تلهو معها لا تنكر .

بقي متمسكٌ بها وهو يهمس :تعرفين ان ابتعادي عنك انتحار " ثم قهقه متسائلاً: ومن الذي زرع هذه الفكرة البلهاء في عقلك السميك.

لم تجبه طبعاً لكنه نفخ بقوة فقد ايقن أن والدته قد عادت لألعابها مجددا لإبعاده عنها .

بعد عدة ايام كانت منشغلة بتنظيف الصالة حتى اقتربت سهير وجرتها بعنفٍ إلى غرفة من غرف المنزل وصرخت بها بصوتها القبيح الحاد...

أيتها الهمجية الكاذبة ألم تعدينا ألا تقتربي من رواد ثانية..

توترت ملامح يارا أكثر وهي تهرب من نظرات سهير الغاضبة وردت بخفوت .

-ولكني ...صدقاً حاولت و...

-أنت مجرد حشرة وسأقضي عليكِ صدقاً ..لا يوجد حل سوى أن تخرجي من هذا المنزل هيا انقلعي إلى غير رجعة .

خرجت يارا من الغرفة وتلاقت مع عاصم الذي قال لها انتظريني في الصالة ...

أغلق الباب خلفه وكان قد سمع كلام زوجته الأخير فهدئ من روعها

-عزيزتي هذا خطأ فادح إن طردناها الآن فسيحاول ملاقاتها خارجاً ...فتلك الخبيثة يجب أن تبقى تحت ناظرينا .

-لقد سأمتها حقا وسأمت ملاحقة رواد لها ، لقد لاحظ الخدم حبه لها ، سيجلب لعائلتنا العار ذلك الاخرق..

ربت على كف زوجته وابتسم بمكر....

-سيرميها هو خارج حياته وإلى الابد .

نظرت لزوجها بتشكك ..

-مالذي تفكر فيه؟

ابتسم مجيباً ...إن غداً لناظره لقريب لا تستعجلي الأمور .

******

اعتدلت بجلستها على الكرسي الذي على الشرفة

..اقترب رواد أكثر وشد قبضته على قضبان شرفته ينظر إليها شعر بما تعانيه.... عرف بما تفكر وهي الان أمامه تبكي ...

كل تلك المدة التي انقضت كانت تنتابها حالات مشابهة.

لم يستطع حتى الذهاب إلى شقتها لأنه سيذكرها الآن بالماضي....وآخر شخص قد ترغب برؤيته الآن هو رواد ، خطى نحو الداخل واغلق باب الشرفة وجلس بحنق ، رن جرس الباب فانتفضت فزعة منه مسحت آثار الدمع وذهبت لتفتح ...رواد بدوه سمع جرس بابها فانتابه فضول لمعرفة من سيطرق عليها الباب بهذا الوقت المتأخر...

فتحا الباب بنفس الوقت لتتلاقى أعينهما للحظة.

وكالعادة ...هناك وردة حمراء أمام بابها ..

نظرا إليها بنفس الوقت ثم قال لها بعد تردد:

-الم تعرفي بعد من هذا العاشق المجهول .

-كفى سخافة أنّى لي أن أعرف .

ضيق عينيه أكثر وهي تنحني لتمسك الورد وكادت أن تغلق الباب لولا استوقفها قائلا:

-إنه لويس اليس كذلك ..

-وما أدراني أنا !، أصلًا من أين له أن يعرف عنواني ؟!.

قالتها واغلقت الباب خلفها بعنف فوقف متسمراً بمكانه قليلا قبل أن يغلق الباب كذلك ويتجه إلى هاتفه مباشرة واتصل بلويس ..

بقي هاتفه يرن مطولا وقد أيقن رواد أنه لويس...لا أحد غيره وقح لهذه الدرجة يبدو انه تبعها بيوم ما وعرف شقتها لا يوجد تفسير غير هذا ..أو يبدو أن تلك الحمقاء من أعطته العنوان وقد كذبت علي

.افاق من شروده عندما فتح أخيراً الخط.

-آلو.

قال رواد فوراً (أين انت) .

-تزعجني وتقلق راحتي بهذا الوقت من الليل لتقول الان أين أنت!..أنا نائم.

-لا تكذب لويس

-عفوا!!.

- لا شيء ابداً اكمل نومك...

أغلق رواد الخط بعصبية وجلس يهز رجليه بتوتر .

ثم قال(ياإلهي أكاد أجن انه نائم فعلاً ظهر ذلك واضحًا من صوته ..

يجب أن أنهي هذه المهزلة ...

أطلق لويس بدوره سبة على رواد وعاود احتضان وسادته و النوم من جديد.

****

أطل صباح اليوم التالي تمطى لويس وذهب إلى الحمام ..حك ذقنه التي استطالت قليلاً وأخرج أدوات الحلاقة وهو يبتسم(سأخرج اليوم معها بموعد إذاً حان وقت التغيير)أنهى حمامه وحلاقة ذقنه فبدى وسيما أكثر

ارتدى قميصاً أزرق اللون مع بنطال اسود ثم مالبث أن اتصل بيارا يثرثر معها بشأن التدريبات..حتى اخيراً قال:

-بشأن لقائنا مارأيك أن اصطحبك اليوم مساءاً إلى المسرح....هنالك فرقة باليه ستقدم عرضا...

-لا أظن مسيو لويس ان..

قاطعها فوراً....ستستفيدين منها صدقيني بما أن يوم عطلتك سنتسكع قليلاّ ثم سنشاهد العرض ..لا يجب أن تفوتيه مهارات تلك الفرقة عاليةٌ جداً.

-حسنا إذاً اتفقنا.

أغلق الخط مبتسما وذهب لإعداد افطاره قبل ملاقاتها

رمت هاتفها على السرير وتمطت قليلاً ثم مالبثت أن سمعت صوت معدتها الفارغة...

-آووه...كم أنا جائعة..

غسلت وجهها وتوجهت مباشرة إلى المطبخ لتعد الطعام

وعند انتهائها من قلي البيض رن جرس الباب فذهبت لتفتحه وهي تتمتم (اوف يالهذا الجرس الذي لا يكف عن الرنين)فتحت الباب لترى رواد أمامها فتجهم وجهه وصرخ بغير وعي -ماهذا الغباء !! تفتحين الباب بفستان منامتك

تنبهت أخيرًا لفستانها القصير وحكت شعر راسها بعصبية وصرخت به ...

لا تتدخل أفهمت وكادت أن تغلق الباب لولا أمسكه بقبضته : يالله ان رائحة البيض المقلي جميلة جداً .... ولكنها آثرت الصمت .

- -صباح الخير بالمناسبة....

-وهل تركت خيراً تتكلم به !!

-لا تفتحي الباب مرة أخرى قبل أن تستري نفسك يارا .

-ماذا تريد الآن رواد لا وقت لدي

-أريد الملح.

ضيقت عيناها وقد عرفت أنه يريد اختلاق حجة لرؤيتها ليس إلّا .

-لا تنظري الي هكذا..لقد نفذ من عندي الملح واريد اعداد البيض كذلك ...أم أنك ستسمحين لي بمشاركتك الطعام .

كتمت غيظها ودخلت إلى المطبخ تناولت علبة الملح وقدمتها له, تناول العلبة من راحة يدها بامتعاض قائلًا: اذًا سأتناول الفطور بنفسي .

-نعم "قالتها بجفاء فأكمل ثرثرته

-مارايك اليوم ان نخرج في نزهة إن الجو جئئ...

فقاطعته بسرعة (لا رغبة لي في الخروج اليوم عن اذنك) واغلقت الباب من فورها في حين أنه اعتصر بقبضته علبة الملح ودخل إلى شقته مغتاظاً .

((الفصل الرابع عشر))

عاد داني من سفره أخيراً بعد أن قضى أسبوعاً في فرع شركة عاصم الآخر وصدع دماغه لكثرة الإجتماعات التي عقدها .في اليوم التالي جهز نفسه مرتدياً بذلة رسمية سوداء اللون وقميصًا أبيض ، خرج من منزله يحدوه شوقٌ دفين لم يكن يريد إظهاره على الأقل لنفسه ، ابتاع باقة زهور حمراء و توجه إلى فيلا عاصم . وقد كانت ميرا متشوقة لرؤيته وخاصة أنها حاولت قدر المستطاع كبح نفسها والتزمت بوعدها له بعدم الإتصال به وازعاجه ..على الرغم مما عانته طيلة فترة غيابه والتي لم تتجاوز الأسبوع إلا أنها تحاملت على نفسها واكتفت بتلك المرات القليلة التي كالمها بها..

.فبالنسبة لها كأنه قد غاب شهوراً عنها...فاعتكفت بغرفتها تقرأ كتابًا او تتصفح الانترنت او ترقص امام المرآة المهم ألا تتواجد مع أمها وأباها اللذين لا هم لهما سوى النقود ...والحديث عن النقود والإستثمارات والمشاريع المستقبلية وهي لا تفهم أصلاً اي مستقبل يتحدثون عنه بعد كل تلك الاموال الطائلة التي جمعها والدها وهي متيقنة بأنها جمعت بطرق غير مشروعة ...وكانت دائما تفكر أيعقل أن يكون إنسان بهذا الجشع لتكديس الاموال ؟

ارتدت فستاناً قصيراً يتزين بزهور حمراء وزرقاء كبيرة سرحت شعرها وجعلته ينسدل على كتفيها ووضعت أحمر شفاه قرمزي جريئ وخرجت لملاقاته.

كان جالساً بالصالة يثرثر مع عاصم بأمور العمل لحين نزلت ... رفع نظره تجاهها ولم يستطع إخفاء انبهاره بتلك الجميلة ... ترك الملفات على الطاولة أمامه ووقف لاستقبالها.

-مرحبا وسام كيف حالك .

وتقدمت لتصافحه فتناول راحة يدها وطبع قبلة عليها متناسيا أباها قائلاً بشوق غريب اجتاح نفسه فجأة .

-أهلاً حبيبتي...

سحبت يدها بخجل وجلست معهما ...

-ألم تنتهيا من العمل بعد يا أبي.

-رد داني فوراً(لا انتهينا عزيزتي) ثم مالبث أن أغلق المصنفات و استدار ليواجه عاصم ..

ضحك عاصم قائلاً :

-ومن قال أني انتهيت ياولد ؟لم تخبرني بعد ماهي الشروط المطلوبة لتوقيعهم العقد وأين هي الأرض التي سيبنى عليها المشروع .

بادله ابتسامته وهو يتمنى أن يدق عنق هذا العجوز الشيطان...قائلاً بعد أن اغتصب ابتسامة

-لنترك شؤون العمل للعمل سيدي بالحقيقة أريد أن اخبرك بأمرٍ مهم .

-بشأن المشروع الجديد.

-لا بشأن حفل زواجنا أريده أن يكون بنهاية هذا الشهر لقد حادثت ميرا بهذا الموضوع ووافقت .

وكأن احدهم قد تلقى صفعة قوية ...لم تستطع ميرا كبح سعادتها شعرت بخجلٍ يزلزل كيانها على حين تنحنح عاصم على فرحة ابنته الخرقاء .

-لقد فاجأتني بهذا اطلب؟ هل غيرت رأيك بهذه البساطة...ألم تقل آخر مرة تكلمنا فيها أنك غير متفرغٌ لخطوةٍ كهذه مبدئياً ولا تريد اي الهاءٍ كان، ماالذي تغير ؟

كان عاصم يلقي كلماته تلك حتى دون مراعاة مشاعر ابنته التي شدت بقبضتها على فستانها الرقيق بإحراج كتمت دمعها بصعوبة وهمت بالمغادرة لولا استوقفها وسام ممسكًا بيدها لتجلس....وكان يفكر كيف يمكن لأب أن يكون بهذه الحماقة والغباء ليحرج ابنته هكذا أمامه.

-سيدي ...إن المرة الماضية قلت لك أني أحتاج وقتاً لترتيب أموري وكان فكري معلق بهذا المشروع الذي كنا مقدمين عليه لم والان قد نفذت عملي على اكمل وجه وأظن أني اتفقت مع ميرا على عدة أمور فأتمنى الآن أن تبارك لنا هذا الزواج...فحقاً أيقنت أن التأجيل لن يفيد بشيء وأعمالي معك ستبقى كما هي لن يؤثر زواجي منها على اعمالنا ....سأبقى ساعدك الأيمن بكل شيء أعدك.

نظر إليهما وقال بدون مبالاة...

-حسناً اذن إن كنت مصراً على ذلك ..لافارق عندي المهم أن ننهي هذه المسألة على خير لا ذربد وجع دماغ

رن هاتفه فانشغل بالمكالمة التي وردته وتركهما بمفردهما وسط ذهول ميرا وتجمع الدمع بعينيها ...كادت أن تغادر للمرة الثانية إلا انه شد على قبضتها أكثر لتسقطت بجانبه فهمس لها : اشتقتُ إليكِ.

شعر بارتباكها واحمرار وجنتيها مما زادها فتنة، تلفت حوله ثم طبع قبلةً خاطفةً على وجنتها المتوردة فصرخت باعتراض: وسام!!

-يا نااس ألا يحق لي تقبيل زوجتي !ونهض قائلًا : تعالي سنتنزه قليلا بالحديقة، لكن غيري فستانك رجاءاً انه قصير.

انتظرها بالاسفل حتى تجهزت وخرجا سوياً أبقت كفها بيده وانجرت ورائه تفكر بأباها وعدم مبالاته بزواجها بهذا الشكل وكأنها لاتمثل أية قيمة له..مسحت دموع قهر انسابت من مقلتيها حتى قال بهدوء:

-لا تحزني عزيزتي ...المهم أننا سنتزوج ولا تعطي بالا لأي شيء قد يزعجك بعد الآن اتفقنا .

نظرت إلى عينيه مطولا وابتسمت له، شد على قبضتها وكان غارقا بالتفكير ...مالذي أفعله أنا الآن بها .... أخلصها من جحيمه لتقع بجحيمي؟ هل سيكون انتقامي من ابنته مناسبا ..إنه إنسان بلا قلب أو مشاعر حتى لم يعط بالا لمسألة مهمة كزواجنا وانشغل بأعماله !

جلسا على الارجوحة في حديقة الفيلا و كانت تتكلم معه معبرة عن سعادتها وتخبره بما فعلته بكل تلك المدة التي سافر بها وهو يومئ لها فقط وفكره مشغول متأملاً صفاء قلبها ونقاء وجهها الذي يشع براءة وصدقاً ..وكان عذاب ضميره ينهش بقلبه تبتسم فتزيده عذاباً ، تعبر عن محبتها فيشعر باختناقٍ رهيب ، وسط ثرثرتها اللطيفة خرجت من شفتيه تلك الكلمة بصدق وعفوية و زلزلت كيانهما معا ..

(احبك ميرا).تعجبت من كلمته التي قالها بعد صمت مطول .فهذه أول مرة يعترف بها بهذه الطريقة الصادقة استدرك موقفه فوراً مخرجاً منديلاً من جيبه ومسح فمها ليزيل آثار احمر الشفاه الجريء ثم قال مبتسماً:

-هذا أفضل لا أريد أن يتشوه وجهك البريء بهذه المساحيق...أريدك كما انت بطبيعتك الجميلة اتفقنا.

اصطبغت وجنتاها بحمرى الخجل وأومأت له موافقة .

ثم انسابت دمعةً من مقلتيها مردفة....

-اتمنى ان يكون رواد معي الآن ليحضر حفل زفافي ...ولكنه اختفى ببساطة وتركني ورائه.

مسح دمعتها بيديه قائلاً بهدوء ...

-سنجده...صدقيني سنجده عاجلاً ام آجلاً

****

ونعود إلى باريس نظرت يارا إلى تلك الورود التي امتلأ بها منزلها وضحكت لأن تلك الوردة الحمراء أصبحت كل يوم مساءاً طقساً جميلاً من طقوس ما قبل النوم ...على الرغم من عدم معرفتها من هو هذا المعجب الخفي إلا أنها فرحت رغما عنها ...على الأقل هناك من يهتم بي كانت تقنع نفسها بتلك الكلمة متجاهلة لويس الذي يعبر لها في كل مرة عن إعجابه و رواد الذي يحترق شوقاً لها ولهفة لمعرفة أحوالها واختلاقه الحجج الواهية لكي يطرق بابها ...مرة لأجل الملح..مرة يريد كبريتاً وغازه أصلا يعمل على الكهرباء ! ومرة أخرى الشاي نفذ من عنده وغيرها الكثير من الحجج ...حتى بالمعهد استمر بتدريبها بعد الدوام الرسمي ليبقى أطول فترة ممكنة معها

حيث أنهت ترتيب المنزل وقد حان الوقت لتلاقي لويس فارتدت فستاناً سماوياً ناعم بأكمام قصيرة عكس لون عينيها بشكل ملفت ،ضفرت شعرها بطريقة بسيطة جداً واكتفت بالقليل من أحمر الشفاه ذو اللون الوردي وخرجت من شقتها لتتفاجئ برواد كان عائداً من الخارج يحمل أكياساً بيديه ..

لفت نظره جاذبيتها على الرغم من بساطة ماترتديه

-أرى أنك ذاهبة ألم تقولي أنك ستبقين في المنزل اليوم؟.هل تحتاجين إلى شيء لأجلبه لك.

-لا شكرا وبالمناسبة لا تقحم نفسك فيما لايعنيك

قالتها دون أن تكلف نفسها عناء النظر إليه ولكن فضوله قتله فوقف أمامها مباشرة على السلم ووضع يده على الحائط مانعاً إياها من النزول قائلاً بغيظ :

-إحفظي لسانك يا يافتاة لم اخطئ معك بكلامي لتحادثيني بتلك الطريقة الفجة .

نظرت لعينيه الغاضبتين وابتسمت له بانتصار بعد رن هاتفها وتجيب أمام ناظريه بمكر ولتطيح بما تبقى له من عقل .

-نعم مسيو لويس نصف ساعة أكون عندك .

ماإن سمع اسمه حتى انزاح عن طريقها لتنزل أمامه بكل ثقة وهي تعرف أنه بدأ يحترق من تصرفها ولكن هذا ماتريده يارا الآن ..أن يحترق رواد كما احترقت هي سابقاً بسببه .

دخل شقته رامياً أكياس الخضار التي اشتراها وأغلق الباب بكل حنق لكنه تغافل أن يفلت يده الأخرى ...فصفق الباب على أصابعه بعنف ليطلق صرخة ألمٍ مدوية سمعتها يارا لينتفض بدنها بطريقة مخيفة وتراكضت إلى شقته بقلق ...

-روااد هل أنت بخير !

قالتها بلهفة جلية وهو يعتصر قبضة يده التي بدأت الدماء تسيل منها ، تجاهلها وخطى ناحية مطبخه يغسل يديه مزيلاً الدماء .هرعت تجلب منديلا أبيض واقتربت منه أكثر وضغطت على الجرح وهي تتسائل بقلق

-ان جرحك بليغ هل تؤلمك !

تفرس بملامحها الرقيقة العذبة ،تجاهل ألمه وهمس لها :

-تصرفاتك هي ما تؤلمني .

أفلتت يديه متجاهلة كلماته وقالت :

إضغط عليها ريثما أحضر معقماً وشاشاً لعقدها لكن أين هو .

أشاح بوجهه مجيباً :

-في الكومود قرب سريري .

تركته وتوجهت إلى غرفته الفوضوية ...ضحكت بعفوية وهي تتذكر كيف كانت سابقاً تقوم بترتيب غرفته في ذلك المنزل وتأخذ منها وقتا أطول من أي غرفة أخرى وكأنه يتعمد أن يزيد من فوضويتها .

انحنت أمام الخزنة الصغيرة تعبث بدرجها الذي يحوي أشياء مبعثرة لا علاقة لأحدها بالآخر حتى رأت اللاصق والشاش المعقم الطبي أخذتهم ولفت انتباهها خاتم فضي لامع

تذكرته جيدًا ...وتلمست كلماته المنقوشة على حافته

(يارا و رواد)شدت بقبضتها عليه بقسوة ثم أعادته لمكانه وأغلقت الدرج بعصبية وعادت حيث كان رواد جالساً على الأريكة ، جلست بجانبه تضمد له الجرح وهو يلاحقها بعينيه ..

-لما تفعلين هذا بي !!.

رفعت بصرها لتتلاقى عيناهما للحظة ثم قالت بغباء مصطنع : -لكي تلتئم جراح يدك .

جاراها بلعبتها مكملاً وقد أمسك كفها بيديه :

-وجراح قلبي من يضمدها .

-الزمن كفيل بكل شيء عن إذنك .

نهضت لكنه لم يفلت يدها بل تعلق بها أكثر بيده المصابة ايضاً رغم ألمه.

-لا تقابليه رجاءاً .أنت تقتلينني هكذا.

ضحكت بأسى وهي تسحب نفسها من بين يديه وتقول بصوت متهدج:

-إذن فكلانا ميتٌ الآن .

صرخ بها : انه يحاول استمالتك، يتلاعب بك يا حمقاء،

تجاهلته وغادرت المنزل وهو يهدي إلى لويس سيل شتائم لم تنته بوقت قصير .

******

((الفصل الخامس عشر))

وبالوقت الذي كان به رواد يكاد يجن من غيرته ناظراً إلى الساعة كل خمس دقائق يتمتم بحنق(لقد تأخرت)

تأخرت كثيراً ....ماذا يفعلان إلى الآن خارجًا ...

سحقاً لذلك الغبي إلى أين أخذها !

كانت يارا تتجول مع لويس بكل مرح متناسية عذابها تجاه رواد وتكاد تتخيل ما يعتريه ، أخذها لويس إلى محيط برج إيفل... ثم تجولا قليلا أمام قوس النصر وسارا معا بشارع الشانزليزيه وهي مبهورة بكل معلمٍ تراه ،كانت باريس تعج بالحياة والأضواء ..ألا يسمونها مدينة الحب ،ولويس يختلس نظرات إليها بين الفينة والأخرى فرحاً لسعادتها وبرائتها تلك ولم يبخل عليها بمعلوماتها عن معالم مدينته، تناولا طعام العشاء بإحدى المطاعم الفاخرة حتى أصبحت الساعة السابعة مساءاً وحان موعد العرض المسرحي ...

كان بالنسبة لها حلم أن ترى عرضاً حياً للباليه...وبباريس كذلك ..حبست أنفاسها وتراقصت عيناها عند دخولها دار الأوبرا الضخم...

جلست على مقعدها تنتظر بفارغ الصبر أن يبدأ العرض و بعد فترة وجيزة اطفأت الأنوار وسبحت القاعة بظلام شديد...خفتت همهمات الحضور مع بدأ الموسيقى الهادئة التي ملأت القاعة .. همست بسعادة غامرة...

-يالهي ...إنها معزوفة طائر النار ...

نظر لها بعفوية قائلا:

-هل تحبين هذه المعزوفة ؟

-نعم...بالتأكيد ... إنها أفضل معزوفة لسترافينسكي بالنسبة لي.

ضحك على انفعالها بهذا الشكل وتناسى العرض أمامه وبقي محدقا بشغفها الواضح لهذا الفن ..

تأمل وجهها ..وشعرها .. عيناها الامعتان الغارقتان بالظلام وابتسم .وهي تتأمل ذلك الضوء الأزرق الذي تلونت به أرضية المسرح قبل أن يلقى ضوء أحمر قرمزي على شجرة ظهرت تلتمع أغصانها الذهبية ..

تقدمت راقصة ترتدي فستاناً أحمر اللون تتراقص بكل حرية ورقة ثم اختفت فجأة ليظهر راقص آخر وكأنه يجول بعينيه باحثاً عنها ....صارا بتناوبان بالظهور من خلف تلك الشجرة المضيئة ...هي ترقص بكل حرية وفرح وهو بعدها يحارب شراً ما باحثا عنها ..

كان فستانها يتطاير معها بكل انسيابية على خشبة المسرح وهي تتراقص وتدور حول تلك الشجرة بكل انسجام ..حتى ظهر الشاب من وراء الشجرة والتقيا أخيراً فتقدم نحوها...وبدآ بالرقص بكل جاذبية .

يحملها بكل خفة ويدور بها ..ويارا تتراقص عيناها بدورها على هذا العرض الرائع ..لكم تمنت ان تقدم عرضاً كهذا بهذه الاحترافية والمهارة والدقة .

انتهت فقرة ذاك الثنائي ليظهر بعدها ضوء أزرق و عدة فتيات يرتدين أثواباً بيضاء يتراقصن حول تلك الشجرة بكل دقة ..ببنهن فتاة مميزة بثوبها الجميل وكأنها أميرتهن.

شعر لويس باندماجها الشديد بهذا العرض فاقترب هامساً لها :-أتعرفين أن مصمم هذه الرقصة هو مايكل فوكين ..واستوحاها من روايات الفلكلور الروسي ...حول طائر سحري يجلب نعمة لمن يحصل عليه ...

نظرت إليه مبتسمة قبل أن يردف مثبتاً عينيه عليها (ويحمل لعنة كذلك)

كان يحاول أن يوصل إليها فكرة أنها اجتاحت حياته وقلبه وجلبت معها كل ماهو جميل له ولكن حبها هذا كان كاللعنة بالنسبة إليه...لأنه موقن أنها لن تكون له.

يعرف هذا بقرارة نفسه ويشعر به ولكن عاطفته كانت أقوى من أن يفكر بعقلانية ومنطق .

أشاحت بوجهها عنه بخجل متحاشية نظراته وأكملت متابعة العرض في حين ظهر الأمير مجددا يحاول الوصول إلى أميرته والفتيات يتراقصن بينهما يحاولن إبعادهما حتى التقيا مجددا ...

ولكن فجأة كل شيء تغير ...وكأن اللعنة قد حلت وهربت الأميرة ليبقى الشاب حزيناً يبحث عنها بأسى حتى بدأ بمهاجمته مجموعة راقصين وكأنهم طيور قبيحة غاضبة بوجوه شيطانية ليبدأ صراعه معهم ...

لتظهر بعدها تلك الراقصة ذات الثوب الأحمر مجددا وحولها الفتيات الاتي يرتدين الأبيض حولهن الشياطين

كان كل تفصيلٍ بهذا العرض رائعاً ...الالبسة الإكسسوارات والديكور حتى شغف الراقصين كان جلياً وواضحاً، تمنت لو يتوقف الزمن بها هنا بهذا العرض الرائع ..وتمنت ان تشاركهم بهذه اللحظة

وكان لويس يراقب انفعالاتها بصمت ..

حتى انتهى العرض اخيراً بحصول كل راقصة على شريك لها واجتماع الشاب بأميرته بمراسم ملكية جميلة .

أسدل الستار وخرج هتاف حاد من الجمهور وتصفيق حار ...وقفت يارا بدورها تصفق بكل سعادة وفرح

كانت الساعة الآن قد تجاوزت التاسعة مساءاً خرجا من القاعة وركبا بسيارته ليقلها إلى المنزل كان يراقبها طوال الطريق وبعينيها بريق جميل جداً وفسحة أمل بمستقبل تمنت أن يكون جيداً لها ...

شعر بما تفكر وهمس لها بكل حب:

-ستنجحين ...وسأراكِ أنا على هذا المسرح بعد سنة من الآن أعدكِ بهذا ...

نظرت له و أفلتت شفاهها عن ضحكة على كلامه ..

-اين أنا منهن...مجرد راقصة مبتدأة لا تمازحني هكذا مسيو أرجوك .

هطلت أولى قطرات المطر على زجاج السيارة فنظر لويس إلى السماء مبتسماً وقال:

-أول الغيث قطرة..ألا تقولون ذلك جميلتي العربية.

بدأ المطر بالهطول واشتد شيئاً فشيئاً..

أشاحت بوجهها مبتسمة لتشجيعه فسألها ...

-أتحبين السير تحت المطر.

أومأت له بإيجاب فترجل من سيارته قائلًا: (اخرجي إذن ...)

-لما ؟؟؟

ترجلت من سيارته فأقفل الباب وانتشل كفها على حين غرة و هتف :

أنا أعشق الركض تحت قطراته ...

وصار يركض جاراً يارا ورائه والتي بدأت بالضحك بسعادة غريبة .

-تعبت مسيوو رجاءاً ...توقف

ووقفت تلهث بمنتصف الشارع الخال من المارة تقريباً فنظر لها بعد أن أخذ نفساً عميقاً ...

لا ...لا ...يحب أن تتحلي بلياقة عالية فأنت راقصة باليه

رفعت نظرها إليه بتحد ثم صرخت :

-هكذا إذن ... إلحق بي إن استطعت .

وركضت من أمامه بسرعة ليلحق بها .

كان رواد الآن يجلس على شرفته ينتظر عودتها وبيده كوب من القهوة الفرنسية التي أاصبحت باردةً كالثلج ولم يرتشف منها قطرة.

رآهما يركضان من بعيد وشعر أنهما على انسجام تام اشتعلت عيناه بلون ناري و صرخ قلبه بعنف متوعداً إياها بتمزيقها إلى قطع صغيرة ما إن تصعد الآن

اجتازت يارا الشارع وتوقفت تحت العمارة التي تسكن بها .. وقفا يلهثان ضاحكين بقوة توقفت واستندت على الحائط :

-شكراً مسيو ...ليلة رائعة حظيتها برفقتك .

فأمسك كفها وقبلها كعادته وهمس برقة :

-شكرا لكونك معي لم احظى بسعادةٍ صادقة منذ زمنٍ طويل.

اشتعلت وجنتيها خجلاً وسحبت يدها بهدوء وتمتمت بخفوت: طابت ليلتك .

وبالأعلى كتلة النار تغلي وتفور وتتوعد بشن مذبحة أشد عنفاً من مذبحة القلعة !

تركته وانسلت لداخل العمارة فودعها عائداً إلى منزله وصعدت هي تتقافز درجات السلم ولم تكد تفتخ باب شقتها حتى ظهر لها رواد أمام الباب وصرخ فيها بحنق

-الساعة الآن العاشرة أيتها المحترمة .

ارتعدت هي لظهوره فجأة لها على هذا النحو وكزت على أسنانها بغيظ لكنها تجاهلته .أخرجت المفتاح من حقيبتها فسحب يدها بعنف وصرخ مجدداً

-لا تتجاهليني بهذه الطريقة ...أين كنتما إلى الآن وما ذلك الانسجام الذي كنتما فيه ؟

سحبت يدها منه بخشونة نظرت إلى عينيه وبادلت صراخه بأعلى:

-وما شأنك أنت بحياتي ..من أنت لتتحكم بتصرفاتي وتحاسبني على هذا النحو؟ .

ارتخت قبضة يده وصاح :

-من أنا هاه؟ ...معك حق فعلًا أنتِ محقة من أنا بالنسبة لكِ لاشيء أليس كذلك .

-نعم لا شيء..لم تكن شيئاً بالنسبة لي ولن تكون هل فهمت انت ماضٍ بشع واسود ومحيته منذ زمن ، اتركني وشأني وكفاك تدخلاً بحياتي اللعينة .

وسط شجارهما خرج رجل ضخم الجثة من الطابق العلوي وصرخ بهما : ألا تكفان عن الشجار أيها العربيان . نريد أن نرتاح اصمتا ...

حدق فيه رواد بغضب وصعد نحوه يشتمه بصوت غليظ و ينوي أن يبرحه ضرباً قبل أن يفاجئه ذلك الفرنسي بلكمة كادت توقعه عن درجات السلم وأغلق الباب خلفه وهو يشتمه .

تصاعد غضبه أكثر وكاد أن يعاود الصعود ناوياً هذه المرة على قتله لولا سحبته يارا من ساعده لتهدأته..

-أيها المجنون انه اضخم منك بعشرة أضعاف سيحطمك إن فكرت في مواجهته.

-إبتعدي عني..لا تتدخلي.

ولكنها تشبثت بساعده أكثر ..وأدارت وجهه بيدها لترى اثر اللكمة على فكه التي انسابت على اثرها دمائه .

اخرجت منديلاً من حقيبتها وناولته إياه هامسة بلطف.

-إمسح وجهك الآن رواد و كفى تهوراً...صباحاً جرحت يدك بالباب والآن تتشاجر مع هذا الأحمق !

سحب منها المنديل بحنقٍ ومسح الدماء من على فكه قائلًا:

آنا آسف لتدخلي بشؤونك الخاصة ..لن اكررها مجدداً هذا وعدٌ مني،

ودخل شقته مغلقا الباب ورائه بعنف لتسمع بعدها صوت تحطيمه لزجاج الشقة تسمرت مكانها قليلًا أمام بابه مسحت دمعتها التي أصرت على أن تنزل وتظهر ضعفها لكلماته ودخلت بانكسار إلى شقتها .

بعد ان احال الصالة لفوضى عارمة رمى بجسده على الأريكة وصار يقلب قنوات التلفاز بلا انتباه وكأنه وأخته ميرا يتشاركان الطباع نفسها .لم تعد روحه تتحمل أفعالها الطائشة والعدائية ، في كل مرة تتواجد فيها مع لويس تسحقه دون رحمة ..

إلى متى يارا ...

إلى متى!!!

****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل السادس عشر))

عندما تتعلق آمالك وأحلامك ومشاعرك بشخص واحد فقط و ترى أنه الوجود كله يصبح هو هدفك الأساسي وحلمك الذي تنتظره وتتغافل عن أخطائه وحقيقته التي يمكن أن تقتلك ... ترسم له صورة بمخيلتك قد تكون مختلفة تماماً عن الواقع الغائب عنك.

كان الفستان الأبيض الذي طالما حلمت به يلائم جسدها النحيل ...رفعت شعرها ووضعت تاجاً أنيقاً فوقه و تزينت بطرحتها المطرزة لم تكثر من وضع مساحيق التجميل فمازالت كلماته التي قالها لها بالحديقة تتردد بعقلها ... أريدك على طبيعتك ...لا أريد لشيء أن يمحي هذه البراءة "

وفعلاً بقيت ميرا على طبيعتها ...جميلة متألقة بزينة بسيطة . ووقفت تتأمل نفسها على المرآة ولم تستطع كبح دمعتها التي سالت من مقلتيها و قالت بصوت متهدج تحدث نفسها ...

أخيراً سأتحرر من هذا المنزل ...أخيراً سانسلخ عنهم"

و جلست على حافة سريرها تضحك بقوة، أغلقت فمها كيلا يخرج صوتها....وصارت تبكي فجأة.

مشاعر كثيرة انتابتها الآن وكأن الخلاص قد حان أخيراً.

وكأن سجينا قد أطلقوا سراحه للتو فاستشعر طعم الحرية ،عذاب تلك السنوات مع هذه العائلة الأستقراطية عديمة المشاعر سينتهي الليلة .

حتى عندما تدخلت أمها بزواجها أصرت على أن تحضر الفستان من باريس عاصمة الموضة، أصرت على أن تكون الحلويات التي ستقدم للضيوف من أشهر وأفخم متجر في المدينة وهذا كله لايضاهي شيئاً أمام زينة حديقة المنزل التي حولتها لقاعة احتفال كبيرة مبهرجة مفتوحة أمام حوض السباحة وهذا كله لأجل التباهي أمام القلة القليلة التي ستحضر حفل الزفاف ولم تستطع منع بضع صحفيين من التواجد لتغطية هذا الحدث العظيم ،فابنة عاصم بك الوحيدة ستتزوج ويجب أن يكون هذا الحفل مناسبا لمكانتهم الاجتماعية الراقية .

طرق باب غرفتها لتدخل صديقاتها إليها فقد حان موعد نزولها ...

ضحكت إحداهن وهي تتراقص أمام ميرا قائلة لها:

-هاقد صارت سندريلا جاهزة يابنات"

وقالت الأخرى مصفقة بيديها "إن أميرك الوسيم بانتظارك هيا انزلي أيتها العروس ".

ابتسمت لصديقاتها وكبحت باقي الدموع التي تحجرت بمقلتيها وهي تفكر ..هن هنا و أمي لم تكلف نفسها عناء الصعود إلي لتوديعي بهذا اليوم كما تفعل باقي الامهات وانشغلت مع ضيوفها، حسناً لا يهم "

مشت مع صديقاتها وإحداهن تمسك لها الطرحة ونزلت على السلم ..

كانت الموسيقى الكلاسيكية كذلك من اختيار والدتها.فالهمج فقط هم من يستمعون إلى الأغاني الصاخبة من وجهة نظرها ..

استسلمت ميرا لتدخل أمها بكل شيء ودعتها تتصرف بحرية كما تشاء فكان همها الوحيد هو أن تتخلص منهما بأسرع وسيلة ممكنة ولم تهتم لشيء سوى لوسام الذي عقدت عليه آمالها العريضة بالهروب من هذا السجن ولم تعرف أنه ينوي اصطحابها لسجن أكبر وأخطر .

كان أميرها الوسيم ببذلته السوداء بانتظارها متألقاً ممسكاً باقة ورود حمراء بأسفل السلم الحجري رافعاً نظره إليها لم يستطع إخفاء سعادته وانبهاره بها ...كانت بكل بساطة ملاكاً طاهراً نقياً أمامه ، ارتعدت أوصاله وللحظة نسي من تكون..تناسى أنها ابنه ذلك القذر وزوجته اللذان دمرا عائلته، دق قلبه بعنف عندما صارت أمامه مباشرة سلمها باقة الزهور واحتضن كفها الرقيق بيده لتبدأ مراسم الزفاف .

كان متوتراً خائفاً وسعيداً بنفس الوقت ...تتصارع الأفكار بمخيلته. ويتراقص شبح الإنتقام بعقله بكل حرية ،كيف له أن يؤذي هذا الملاك المستكين بين ذراعيه بهذه البساطة ؟ ولكنه يعود إلى الواقع ف ابد من الانتقام .

****

كانت يارا كعادتها قد حضرت مبكرة وجلست في الحديقة الغناء التي تطل على مبنى المعهد الضخم تأكل الكروسان تنتظر أن يحين موعد درس الباليه وهذا ما عرفته ماريا واستغلته الآن لتهاجمها بعد أن سرقت منها حبيبها لويس.

بحثت عنها بأرجاء الحديقة حتى رأتها ، اقتربت بكل حقد ووقفت أمامها عاقدة يديها أمام صدرها ....

رفعت يارا رأسها وابتسمت بكل عفوية ورحبت بها إلا أن هذه الأخيرة ما كان منها إلا أن تكلمت بكل حدّة

-نصيحتي لكِ أيتها العربية ... ألا تلعبي مع الكبار.

نظرت لها يارا متفاجئة.

-ما قصدك ماري لم افهم؟؟!.

-لا تدعي البرائة ياهذه ..وابتعدي عن لويس هل فهمتِ ولا تحاولي اغوائه أيتها الماكرة .

شعرت بالغضب من اتهاماتها تلك فنهضت وصرخت بها .

-وما شأني أنا بلويس !!!...لايهمني بشيء ابتعدي عن طريقي...

دفعتها بيدها لتجتارها إلا أن هذه الأخيرة أمسكت ساعد يارا بكل قوة وقالت تلك الكلمة التي دمرتها وفجرت بها آلاماً كانت تحاول نسيانها وطيها منذ زمن طويل ..

-إن اقتربتي منه مرة أخرى أيتها الهمجية فسأقتلك .

وكأن الزمان يعيد نفسه ....هي تلك الجملة التي قالتها لها سهير منذ سنوات تعيدها لها هذه الفرنسية الآن وبكل حقد .بادلتها نظرات صادمة شعرت باختناق مفاجئ وخلعت يدها منها بقوة وهي تصرخ (فالتذهبوا إلى الجحيم جميعكم)تركتها وغادرت بسرعة وكان لويس قد حضر إلى الدرس برفقة بعض المتدربات وتلاقت عيناه بعيني يارا الباكية....نظر لماريا التي كانت تشتمها ولحق بجميلته يحاول أن يفهم ما الذي جرى لكنها صرخت فيه هو الآخر وركضت ....

عرف أن ماريا قد أغضبتها لتلك الدرجة فتوجه إليها

أمسك معصمها وضغط عليه فتأوهت لشدة ألمها وحاولت التملص منه إلا أنه شد قبضته أكثر مهدداً...

إن اقتربت منها مجدداً أيتها اللعينة فسأقتلك ...ترك يدها منه فأردف بحنق. (ولم اعد راغباً باستقبالك بدرسي مفهوم. أنت مطرودة)"

دفعته ماريا ودوى صوته بأرجاء الحديقة

-كل ذلك لأجل تلك الهمجية !

تغافل عن وجودها واستدار باتجاه الفتيات الاتي حضرن هذه المعركة من أولها وصرخ بهن ....هيا الآن قد انتهت المسرحية ، ونظر مرة اخرى لماريا بغضب وغادر المكان

كانت يارا تسير بغير هدىً وصدى تلك الكلمة يتردد بمخيلتها في أزقة المبنى وقد تركت لدموعها العنان فكيف للتاريخ أن يعيد نفسه بهذه الطريقة القاسية معها ، مشت تفكر برواد ، تبحث عنه بين الوجوه المارة حولها ولم تكن تفقه سببا لذلك، كانت تريد أن تراه فقط ..تريده أن يحميها بكلماته ، باهتمامه وعطفه. حتى مرت بالصدفة من قاعة رواد ورأته.من الباب العريض المفتوح على مصراعيه رأته وكان يدرب الراقصين يساعد احداهن وهي تتمسك فيه بطريقةٍ فجة. وقفت و..تفاجأت للأمر وجمدت مكانها مطولا تحدق ببلاهة لمستواه العالي. وهاهو يدرب تلك الشابة يساعدها ...يلمس جسدها ليصحح وقفتها .

ثم تدرو تلك الحمقاء وتضحك ..

جفلت مكانها بصدمة وكأن سكيناً طعن قلبها !!

لم تستوعب بادئ الأمر حتى تذكرت كلام لويس....

(اذهبي للقاعة التي يدرب بها)...وأدركت لما دروسة مطابقة لمواقيت دروسها ...ببساطة كيلا تراه مدرباً هنا .

كالتمثال تحدق به وتراقبه بعينيها حتى تنبه لوجودها بعد مدة ورآى دموعها وصدمتها الواضحة منه فتوترت ملامحه فوراً أما هي ركضت خارجة من المعهد وتوغلت في الحديقة .. كانت تسير أمام الشجرة الكبيرة بجانب البحيرة لحق بها مسرعاً حتى عثر عليها و جذبها من يدها.

-يارا توقفي .

التفتت إليه بحنق وصاحت ...

-مالذي تريده أيها الكاذب المخادع الخائن !

توقف لبرهة قائلاً بتسائل : خائن !

فأردفت صراخها بوجهه: أنا إلى الآن لم افهم سبباً لمجيئك معي... كنت تخدعني كل تلك المدة بأنك مجرد متدرب ؟

أأنت مدرب هنا وكنت كل تلك المدة تجعلني أدربك على رقصتي .و...يالهي كم أنا غبية.. كيف لم الحظ ذلك "

تلعثمت واختنق صوتها و لم تستطع أن تكمل كلامها حين رأت نفسها ساذجة جداً وبدأت دموعها بالانهمار. صدمة ثانية اليوم كانت كفيلة بانهيارها كلياً

قال لها بهدوء: ارجوكِ يارا أنا ...صدقاً لم .

صرخت به مجدداً وهي تلوح له : وتلك اللعينة تتمسك بك بواقحة ....انت...انتَ فعلاً ،

تلعثمت بكلماتها ولم يعلم هو بما يجيبها فعقد لسانه بارتباك وما كان منها إلا أن تتركه وتغادر .

للمرة الثانية يشعر بأنه خذلها وسبب ألماً لها ولكن بما كان سيجيبها.. جلس على كرسي الحديقة دافناً وجهه بيديه وهو متردد...كيف سيخبرها بالأمر...وطبعا لن تبقى لحظة واحدة لمجرد أن تعرف أنه هو من أقنع مدير المعهد باستقبالها هنا بعد أن أقفل باب القبول وكل ذلك كان مجرد تمثيلية أتقنها معه فقط لتستطيع ان تلتحق بالمعهد وتدرس فيه ....

****

((الفصل السابع عشر))

منذ بضعة أشهر قبل العرض...

دخل رواد إلى مكتبه وألقى عليه التحية ..

-كيف حالك مسيو فرانسوا ..

-أهلا رواد تفضل بالجلوس بما أستطيع مساعدتك.

تقدم رواد وجلس قبالته على الكرسي الجلدي الأسود ثم حدثه : -بالحقيقة أريد أن أطلب منك طلباً خاصاً سيدي .

-طبعاً إن كان بإمكاني مساعدتك فلن أتردد.

-شكرا لك ...بالنسبة لمسابقة القبول ..هناك شابة من بلدي أريدها أن تشارك .

تنحنح فرانسوا قليلا قبل أن يقول :ولكن باب التسجيل قد أقفل و....ولا أظن أن بإمكاننا إضافة متشاركة جديدة

-أرجوك سيدي إنه أمر مهم جدا بالنسبة لي ...إنها فتاة موهوبة لا أريد إضاعة فرصة التحاقها .

-سأحاول وضع اسمها ضمن الائحة ولكن من سيكون شريكا لها .

-أنا سأدربها وأكون شريكاً لها وها هي الإستمارة قد ملأتها مسبقا بكل المعلومات المطلوبة تفضل سيدي .

ضحك فرانسوا على هذا الشاب العنيد وتناول الإستمارة من يده وقال بمكر:

-يبدو أنك قد خططت لكل شيء أيها الشاب وماعلي سوى التنفيذ ..حسنا رواد أنت تعرف كم أنك غال على قلبي بسبب ما قدمته لنا في هذا المعهد ولكني أريدها أن تكون جاهزة في الموعد المحدد وإلا لن أستطيع إجبار اللجنة على قبولها .

اتسعت ابتسامته وهو يحدثه بسعادة :

-أؤكد لك أنها ستكون على المستوى المطلوب.وشكراً لتفهمك ....

****

خيم عليه الليل ومايزال جالساً كما تركته وأفكاره تتنازع بعقله.. ثم هب واقفاً وقد حسم أمر هلن اخبرها بشيء...سيبقى الأمر على ماهو عليه .

وبالأصل هي فازت بسبب موهبتها لا بسببي فلا داع لأن اطيل هذا الخلاف .أما هي فكانت طوال الوقت تمسح الغرفة جيئة وذهاباً بتوتر..

إن كان مدرباً ويبدو أنه من فترة طويلة يدرب هناك وبدا ذلك جليا من حركاته ومهارته العالية بالأداء.. لما تدرب معي كل تلك الشهور وحصل على البعثة ؟

لما ساعدني على أداء العرض أمام اللجنة وأقام بغرفة مواجهة لي في الفندق ...وأنا موقنة الآن أن له منزل هنا أم يكون هو منزله وقام باستئجار المنزل المقابل لي !!

يااالهي أكاد أجن ... لم أعد أفهم شيئاً...لما يصر على ملاحقتي أينما اذهب ..ما الذي يريده مني بعد كل تلك السنوات...! ظهر فجأة لقلب حياتي.

وسط خطواتها السريعة في الغرفة توقفت فجأة وصرخت

ولكن مهلًا .. ليفعل مايحلو له لا شأن لي به المهم أن اكمل دراستي وألا يعترض طريقي واليذهب إلى الجحيم فلا يهمني" ثم ارتمت على الأريكة خلفها وقالت بخفوت وبطئ وتردد : لا تكذبي على نفسك ...إنه ...يهمك.. كثيراً...جداً.

أنقذها من أفكارها المتلاطمة صوت طرقات خفيفة على الباب ، عدلت هندامها قليلًا و نهضت لتفتح وتفاجأت ب لويس يقف أمام الباب يحمل باقة أزهار بيديه.

-مرحباً جميلتي...

تلعثمت قليلا ثم أجابته:

-أهلاً مسيو .

ووقفت بارتباك أمام نظراته وهو يتأملها ثم ابتسم متسائلاً: -أسنبقى واقفين طويلًا هنا لقد تعبت بالمناسبة .

تلكأت ولم تعرف كيف ستتخلص منه بحين قدم لها باقة الزهور وببده الأخرى وردة حمراء.

ضحك قائلًا...هذه الوردة رأيتها هنا امام الباب يبدو أن لك معجبا سرياً "

ولكنه عندما لم يتلق جوابا أردف بلطفٍ بالغ.

-إذا مازلت غاضبة من ماريا ...عزيزتي لا تعط لها بالًا إنها مجنونة حقا فالتسامحيني على ذنب لم أقترفه .

كانت تنظر له ولا تستطيع دعوته إلى الدخول، تناولت الباقة والزهرة من يده ولم تر إلى الآن الطريقة المناسبة لرفض تطفله هذا وكأن عقلها قد توقف فجأة عن العمل ولم تستطع اختلاق حجة لكي تعتذر عن استضافته.

ولكنها ما إن لمحت رواد يصعد على السلم ليدخل إلى شقته... تلاقت أعينهما للحظة واكتسى الجمود نظراتها ثم استدارت ناحية لويس بابتسامة جعلتها عريضة وقالت له:

تفضل بالدخول مسيو لويس لنتكلم بكل أريحية"

لم ينتبه لويس لرواد الواقف خلفه على درجات السلم يعتصر بيده علبة شوكولا كان قد جلبها لصغيرته ليعتذر لها، دخل لويس شقتها وصفقت الباب بقوة من خلفهما بعد أن أهدته نظرة أخرى مميتة .لم تعرف كيف اتتها الجرأة لفعل هذا العمل ...وكأنها تريد إغاظته وقد نجحت بهذا فعلياً والدليل على ذلك ان لحظات مرت على رواد متسمراً أمام الباب غير مصدق لما اقدمت على فعله للتو

كان يفكر الآن لو يقتحم شقتها ويفجرها بمن فيها..وهو يتمتم بحنق بالغ-أنا إلى الآن لم اتجرأ على دخول شقتك يابلهاء وهذا الفرنسي القذر ببساطة أدخلته !!!

بقي يحدق بالباب أمامه وهو يغلي من شدة غضبه..

مسح جبهته بتوتر ودخل شقته بعدها واستند على الكرسي..نفس الإحساس الذي انتابه منذ أن قرأ رسالة غزل ذلك المدعو وائل لحبيبته حينما كانت مراهقة....لا بل هذا الإحساس الآن أقوى واشد من أن يتحمله .

كانت أنامله ترتجف وبقلبه انقباضة كادت تقتله

خلع سترته الجلدية وألقاها أرضاً ... زفر بقوة وهو يجوب الرواق الصغير لن أسكت أكثر يجب أن أنهي هذه المسألة اللعينة فوراً ...

خرج من شقته وطرق بابها بعنف ...وبدأ غضبه يتصاعد وهو يحدث نفسه :

-لقد تأخرت...تأخرت لما لم تفتح حتى الان .

اللعنة عليك يا لويس.....تأخرت كثيراً" حتى أخيرا اطلت بوجهها وتقابلت أعينهما .. كان الوقت كله منذ أن طرق الباب لا يتجاوز الدقيقتين ولكنه شعر أنها دهراً لشدة غيظة.أدركت الشرر يتطاير من عينيه ولكنها تجاهلت ذلك وقالت بكل برود: هل من شيءٍ رواد؟.

ضرب بقبضته على الباب وصرخ بها :

-ماالذي يفعله ذلك الأحمق هنا بمنزلك بهذا الوقت من الليل !

-ألا تظن انك تتدخل فيما لا يعنيك .

-مالذي تتفوهين به ايتها الغبية...إنه....أن .

-مابك تتلعثم ...إن لم تكن تريد شيئاً مهما سأغلق الباب فأنا مشغولة الآن .

وكادت أن تهم بإغلاقه لولا دفعه رواد بقبضته وهتف بها وهي تتراجع بذعر : حسابك لاحقاً سيكون عسيراً.

وأبعدها من أمامه ليقتحم الشقة وسط ذهولها..

كان لويس جالسا أمام شاشة التلفاز بكل أريحية ومعطفه ملقى بجابنه على الأريكة وما إن رآه حتى ابتسم له بمكر

-آوه رواد جيد أنك اتيت ...كنت أقنع هذه الجميلة أن نذهب غداً في نزهة لبرج ايفل ،نظر لها مليا ثم قال وهو يجلس مقابلًا له مبادلا ابتسامة لويس بأعرض منها ..

-طبعاً سأذهب معكما لن اترككما تتسليان بمفردكما ياصديقي العزيز. .

كتفت يديها أمامهما ووقفت تتمتم ..

-كنت بمصيبة اصبحت باثنتين كيف سأتخلص منهما الان؟.

ذهبت إلى المطبخ لتعد الشاي بعد أن رأت إصرارهما السخيف كالأطفال على المكوث بمنزلها.

كان رواد يجلس منتظرًا ذلك اللويس ليغادر منزلها ليصب جام غضبه عليها متوعداً إياها بحفلة صراخ لا مثيل لها ولويس الآخر كان يشتم هذا الأحمق الذي نسف جميع مخططاته لهذه الليلة وبقي الاثنان يشربان الشاي بصمت أحياناً و يزاوران بعضهما ويتصنعان أحاديث مملة وساذجة أحيانا أخرى وتارةً يمسك لويس جهاز التلفاز ليقلب فيه المحطات متجاهلًا هذا العربي المتطفل ..

طال الوقت ولم يغادر أي منهما وكأنهما قد احتلا شقتها وزاد الأمر عن حده المقبول نظرت إلى ساعتها التي قد تجاوزت الحادية عشر ليلًا ولم ترى خيارا آخر لإنهاء قلة الذوق تلك ف تسللت بهدوء وخرجت من المنزل ... حتى لو لم يكن هذا التصرف لائقا ولكنها الطريقة الوحيدة لكي تتخلص منهما واليقتلا بعضهما الآن فلن تبالي يكفيها الضيق الذي شعرت به اليوم .

******

الرقص مع الخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الثامن عشر))

خرجت من منزلها بهدوء كيلا يشعران ثم هبطت درجات السلم وتوقفت أمام مدخل العمارة تستنشق هواء الليل البارد المنعش قبل أن تلتفت يمينًا و تتجول قليلا بشوارع باريس المضائة ليلًا و المليئة بالحيوية والنشاط

- يبدو أنها مدينة لاتنام "

قالت ذلك لنفسها ونسيت أمر الأحمقين الذين بدآ فعلاً يوترانها وشردت بواجهات المحال التجارية ، اشترت لنفسها القليل من الفستق تأكله أثناء مشيها حتى انحرفت عن الشارع الرئيسي و توغلت أكثر بين الازقة والطرقات التي ازدادت عتمتها .

قادتها قدماها لمكان خالٍ تقريبًا من الناس

الجو أصبح معتماً جداً إلا من ضوء مصباح هذا الزقاق الضيق والطويل .. تلفتت حولها علها تتذكر من أين أتت ولكن عبثا ...لقد ضلت الطريق فعليًا .

خرجت من زقاق لآخر ولكن الوضع لم يتغير ؛ بل بات أسوء مما كان من بعيد لمحت أضواء خافته تخرج من أحد الأبنية ..اقتربت منه بشكل تلقائي وقرأت الافتة لتفاجئ بأنه ملهى ليلي .

-اووه هذا ماكان ينقصني...سحقاً لكما من أحمقين لتضعاني بهذا الموقف ،ماالذي سأفعله الان ؟

انشغل رواد بثرثرته مع لويس حتى نسيا أمر تلك الفتاة التي احتلا منزلها ثم ما لبث لويس أن تسائل وهو يجول ببصره أرجاء الحجرة

-ولكن أين يارا ..لم ألحظها منذ فترة .

دارت عينا رواد كذلك في الأرجاء وهب واقفاً

-فعلاً...أين هي تلك المجنونة؟

تفرقا يبحثان عنها فتوجه رواد أولا إلى الحمام طرق بابه عدة مرات ولكن ما من مجيب.

توجه لويس بدوره إلى المطبخ يناديها وبعدها على الحجرة الأخرى مباشرة وهو يصيح باسمها ولكنه توقف عندما أمسك به رواد مبعدًا إياه وقال:

لا ترهق نفسك أنا سأبحث، وفعلًا دخل رواد ولكن لاأثر لها باي مكان، خرج حانقا مغتاظا وقال...

-يالهذه البلهاء أين تظن نفسها هاربة بهذا الوقت المتأخر من الليل !!

وقف لويس مشدوهاً وصار يضحك بقوة ويصفق بيديه على هذا الموقف الذي وضعتهما فيه وقال بخبث:

-لقد هربت الأميرة التي نتنازع عليها ياصديقي .

حدق رواد فيه بغضب وكاد أن يزين وجهه بلكمة لولا تمالك نفسه، فلا وقت الآن لشجارهما...و خرج ليبحث عنها...لحق به لويس وهو يحاول أن يتصل بها ولكن عبثاً ... فالهاتف كان خارج نطاق التغطية .

سأذهب للجهة الشرقية واذهب أنت الناحية الاخرى لعلها ضلت الطريق" قالها لويس قبل أن يستقل سيارته وينطلق باحثا عنها

****

...يا إلهي ماذا سأفعل الان ؟!!

حاولت يارا الإبتعاد عن الملهى قدر مااستطاعت وقد اضطربت فعلياًوشعرت بنبضات قلبها تتراقص بداخل قفصها الصدري؛ وخاصة بعد ان رأت بعض السكارى يترنحون في هذا الزقاق المعتم الضيق .

ارتجف جسدها بالكامل وهي تحتضن نفسها بيديها و تقاوم دموعها من أن تنزل ...ابتعدت مسافة لا بأس بها عن اولائك الرجال ثم أخرجت هاتفها ولم يبقى أمامها الآن إلّا أن تتصل برواد فهو من سيخلصها من مشكلتها هذه....وضعت كبريائها وغضبها منه جانباً وحاولت الإتصال ولكن لا شبكة هنا ... ظلت تسير وتحاول مطولا متنقلة من مكان لآخر حتى نجحت ورن هاتفه .

غضبه وخوفه عليها الآن قد بلغ أشدّه ،كان يقطع الشارع جيئة وذهابًا ولايعرف أي طريق سلكت، يتصل بلويس لعله عثر عليها ثم يحاول إعادة الاتصال بها لكن دون فائدة، حتى رن هاتفه أخيراً قرأ اسمها وأجابها صارخاً :

-أين أنتِ بحق الجحيم ؟

توقف بمكانه فجأة وهو يستمع لصوتها المرتجف المذعور المتهدج..

-رواد ...أرجوك أنا خائفة جداً...لقد ضللت الطريق، هنالك رجال ..ملهى، ساعدني .

بالكاد استطاع فك طلاسم حروفها المرتبكة فقال يحاول تهدئتها:-اهدئي حبيبتي...اهدئي وأخبريني أي اتجاه سلكت..اعلميني و اقرأي الافتات أو اسماء المحال القريبة منك ...أي شيء قوليه لأستدل مكانك .

-أخذت نفسًا عميقا تحاول تهدئة اضطرابها ثم ردت ".لقد سلكت الطريق الشرقي للعمارة وبعدها تهت بداخل الأزقة و لا أعلم كم مشيت ، الطريق مظلم طويل

سمع صوت لهاثها وهي تركض بحثًا عن أي معلم تستدل به لتلقيه له حتى وجدت ملهى آخر تتصاعد منه موسيقى صاخبة وأملته اسمه ؛ تنهد بضيق وهتف بها:

-إبقي مكانك سآتي فوراً "

تجاهل لويس الذي اتصل به مراراً للإطمئنان و

استقل أول سيارة صادفها وقال للسائق عن اسم الملهى ولكن السائق لم يعرفه..ظل يدور بالمكان وهو يشرح له انه بداخل أزقة معتمة متشابكة عل السائق يتذكر ولكن عبثاً ...وبدأ بسؤال المارة ولكن لافائدة فلم يعرفه أحد حتى اجاب على مكالمة لويس فلا بد وأنه سيعرف بهذه الأماكن. وفعلًا ذلك الشاب حياته قضاها بتلك الأماكن فعرف الملهى بكل بساطة وأملى العنوان للسائق حتى استدل على مكانه أخيراً.

****

كانت ضربات قلبها الآن تصرخ بعنف وهي تدور أمام الملهى لاتستطيع الإبتعاد عنه لحين وصول رواد.

خرج شاب من أمامها ممسكاً زجاجة بيده وبدأ بالاقتراب ؛ فتحت عيناها على اتساعهما ودب الرعب بأوصاله والتصقت بالحائط باكية ..بلكنة فرنسية ثقيلة بسبب ثمله صاح بها...

أيتها الليدي الجميلة ...تعالي معي مشروبك على حسابي

لخوفها صرخت به بالعربية....ابتعد ...أيها الجرذ الوضيع .أقسم إن اقتربت سأقتلك "

وقف الشاب ببلاهة أمامها وحك رأسه الأقرع مفكرا...وأجاب بتثاقل: يبدو أنك من قرية نائية بفرنسا فلكنتك غريبة لا أفهمها "وعاود يقهقه من جديد كالمخابيل

بقيت على هذه الحال حتى اقترب منها كثيراً مقرباً الزجاجة من شفاهها...

-اشربي ...انه لذيذ..هياا جميلتي بطعم العنب .

صرخت به و ركلته بكل ما أوتيت من قوة وهربت من أمامه فأمسك ذراعها بعنف وشدها إليه،حاولت التملص حتى تفاجئ الاثنان بتلك السيارة التي كادت أن تدهسهما صرخت بأعلى صوتها بخوف فخرج رواد مسرعا من السيارة ... توجه مباشرة إلى ذلك السكير وبدأ بركله بعنف ولم يتبقى موضع بجسده إلا تلقى ركلة مميتة من قدم رواد حتى استوى على الأرض لا يقوى على الحراك، بصق عليه و تقدم نحوها بغضب ممزوج بالخوف أمسكها من ذراعها بقوة والقاها بداخل السيارة لتعيدهم إلى المنزل.

قضت الطريق تبكي وترتجف هلعاً وهي تحتض حقيبتها حتى توقفت السيارة ، فتحت الباب وركضت مباشرة إلى العمارة لتدخل منزلها مغلقةً الباب أما رواد فلحق بها مسرعاً، فالحفلة بالنسبة له لم تنتهي عند هذا الحد ، ركل الباب بعنفٍ عدة مراتٍ حتى انفتح لتجمد مكانها وتنكمش على الأريكة وجلجل صوته عنيفًا:

-أيتها المجنونة الغبية .. مالذي كنت تفكرين فيه لخروجك بهذا الوقت المتأخر ،أوتعرفين كم وغدا يتسكع بهذه الطرقات اللعينة الآن "

دفنت رأسها بيديها وأجهشت ببكاءٌ مرير .

تقدم ناحيتها ورفع وجهها بخشونة بيديه وأكمل صياحه:

-لم فعلت ذلك أجيبي ولا تفقديني صوابي، ما مشكلتك يارا، ماهذا التصرفات الغبية؟!

تلاقت أعينهما وما زال الخوف مسيطراً على تقاسيمها ؛ لان قليلا قلبه رأفة بحالها واقترب منها ...

-يارا..لقد اقلقتني عليكِ كثيراً...رفع رأسها بيديه وقال معاتبًا :

ماكان عليك الخروج بهذا الوقت من الليل .

-نظرت له بغضب ومسحت دمعها الذي تلاحق بعنف

-لو لم تقتحما منزلي أنت وذلك المعتوه الفرنسي لما كنت لأهرب منكما"

جلس بجانبها يمسح على شعرها قائلاً بحنو .

-انا حقا آسف ...ولكني فقدت عقلي كلياً لأنك أدخلته وكأن ناراً استعرت بداخلي ...لا تفعليها مجدداً ارجوكِ..لن اتحمل خسارتك مرة اخرى .

نظرت له هذه المرة ولكن بغضب، كانت تفكر كيف له أن يكون وقحاً لهذه الدرجة...أي خسارة يتحدث عنها وهو من تركها وتخلى عنها بإرادته ! افلتت نفسها من بين ذراعيه ودفعته بقوة صارخة.

-أيها الكاذب المخادع .. الآن قلقت علي من ذلك السكير ... .وفي ذلك اليوم.... .لم تدافع عني ..صدقتهم...ظلمتني وطعنت بأخلاقي و.... وعندما حاول الرجل أن ....أن..

تلكأت بكلماتها وامسكت حنجرتها عن نطق باقي الحروف واكتفت ببكاء مكتوم فنظر لها بصدمة وقد تذكر ذلك اليوم المشؤوم الذي دفع بأمها للهرب بعيدًا بها .. ولكنه أغلق فمها بقوة صارخاً وقد عاوده ذلك الشعور المميت مجدداً:

-اخرسي .. اخرسي يارا ولا تتفوهي بهذه الحماقات مجدداً.لا تذكري ذلك اليوم...انسيه ...امحيه من ذاكرتك وعقلك .

قطع شجارهما رنين هاتفها نظرت له فرأت اسم لويس شتمته هو الآخر وقذفت هاتفها ليرتطم على الحائط ويتكسر إلى قطع صغيرة...واردفت تقول له بصوت متهدج:

-اخرج رواد لا أريد رؤيتك مجدداً افهمتني ...ارحل واتركني وشأني.

بقي واقفاً كالصنم مواجها لها وحل سكون ثقيل بينهما لا يقطعه سوى صوت أنفاسه المتسارعة وبكاؤها المكتوم، لا يريدها الآن تحديداً أن تتذكر تلك الحادثة.

تركته وحيداًفي صالتها وتوجهت ناحية حجرة منامتها اغلقت الباب بعنف ورائها لترتمي من بعدها على السرير مجهشةً بالبكاء .

أما رواد توقف للحظات يتابع خيالها الأسود المتواري خلف الباب الزجاجي اعتصر قبضة يديه بقوة كادت أن تنفجر عروقه منها ثم انزلق على الأرض مسندا ظهره للحائط يحاول أيضا أن يطرد ذكرى ذلك اليوم لكن عبثا فلعنة عائلته تلاحقه كيفما هرب .

****

الرواية الخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل التاسع عشر))

شهقته اكتسحت سكون هذه الغرفة المظلمة ...فتح داني عيناه بفزع ثم مالبث أن اعتدل بجلسته وهو يتلمس أثر الجرح على جبهته ... غارق بعرقه صار يرتجف كما العادة .

-هذا الحلم مجدداً؟؟..تسائلت ميرا بقلق وهي تعتدل بجلستها بعد أن أيقظتها صرخته المكتومة؛ فنظر لها بإنهاك وأومئ برأسه..

كادت أن تتلمس كتفه لمواساته لولا أنه قام بإلقاء الغطاء ونهض بتثاقل متوجها إلى غرفة المعيشة ..جلس على الأريكة ،أشعل سيجاراً وبدأ بنفث دخانه بهدوء حتى أقبلت عليه وجلست مواجهة له على الأريكة المقابلة :

-لم اعهدك تدخن مسبقا !!!

نظر لها وقال متهكما" والان أدخن هل لديك مانع ؟ "

-لا أنا آسفة "

عضت على شفتها بأسى وقد اطرقت رأسها أرضاً واعتصرت ثوبها بألم من كلامه الجارح في كل مرة فأكمل قوله :

-إذن فاصمتي واخلدي إلى النوم الآن فوجودك لا داع له .

نظرت له وغرقت بتفاصيل زرقاوتيه الباردتين الميتتين ، نهضت بكل هدوء مقاومة رغبتها بالبكاء ،دخلت غرفتها واستلقت على السرير متكورة على نفسها بألم فلم تكن هذه هي الحياة التي نسجت عليها أحلاماً جميلةتها

دقائق معدودة جلس فيها داني بهذه العتمة يفكر بتلك الأيام القليلة التي عاشها معها .. إنها نقية وروحها عذبة وشفافة هو لم يؤذها او يضربها فعلياً ولكن كلامه الجارح بكل مرة هذا ماكان يقتلها ...ويقتله كذلك ...

يريد الانتقام وبدأ يخاف فعلا من أن يحبها أو بدأ يحبها بالفعل ولكن هذه الفكرة ترعبه...لا يريد أن يتسبب بجرحها وبنفس الوقت يريد أن يحطم عاصم وسهير وهي الوسيلة الوحيدة لتحطيمهما .

كيف سيوازن المسألة لم يعرف ، تارةً يكون مع ميرا لطيفاً هادئاً عاشقًا وأحياناً اخرى حقيرًا قاسياً بكلماته

وتصرفاته ...متقلب بطريقة غريبة وهي طيبة إلى أبعد الحدود ،فكيف له ألا يعشق هذه الصغيرة التي تتحمل كلامه القاسي وتصمت بدل أن تجابه وتصرخ تستسلم لكلماته بسهولة فائقة ولا يشعر بألمها إلا من وسادتها المبللة بالدموع كل ليلة..

تحبه بجنون ومتعلقة به كصغيرة يتيمة لم تصدق أن أحدهم قام برعايتها والاهتمام بها ... فتمسكت به وسلمته نفسها ،تريد الشعور بالأمان والاستقرار لتعوض عن نفسها سنوات حرمان الأمان الذي لم تره من أمها أو أبيها ...حياتها الماضية قضتها بمدارس داخلية للبنات وحتى عند زيارتها لهم بعطلة نهاية الأسبوع ، تشعر بأنها غريبة عماضي

حتى رواد أخاها كان أنانيًا عند ابتعاده ...فماذنبها هي لتحرم من أخاها الوحيد بسبب تصرف عائلتها .

منذ وقت طويل لم يعد يكالمها أو يجيب على اتصالاتها وكأنه انسلخ عنهم وعنها وهذا ما كان يمزق قلبها.

لم تكن تعرف الحقيقة كاملة لأنها لم تكن موجودة حينها وكل الذي فهمته أنهم أبعدوا عنه حبيبته ولهذا هو غاضب من الجميع ...

نهض من مكانه واتجه إلى الغرفة ليراها نائمة أو تتظاهر بذلك، استلقى على السرير ومسح بيده على شعرها بهدوء ولطف وحنو اعتذر لها بصوت خافت قبل أن يستدير ويحاول النوم هو الآخر ، أما هي ففتحت عيناها بعدما استدار ومسحت باقي الدموع التي أكملت انهمارها من مقلتيها...لا أفهمك داني ...أقسم بالله العظيم أني لا أفهمك فكرت بذلك قبل أن تغلق عيناها محاولة النوم من جديد.

أشرقت شمس الصباح بدفئها الذي يغمر القلوب والدروب وكعادة ميرا الجميلة تناست كل ما حصل في الليلة الماضية وكأنه لم يكن ...نهضت بكل حيوية شطفت

وجهها وتبسمت أمام المرآة وهي تصفف شعرها ثم شرعت بتحضير طعام الإفطار ...

شعرت بحركته خلفها فاستدارت ورسمت ابتسامة على شفاهها عندما رأته يستند على باب المطبخ عاقداً ذراعيه أمام صدره يتأملها ..قالت بكل مرح -صباح النور "

اختلج قلبه و ضحك على برائتها تلك وقلبها الكبير ...

-صباح الخير ... دائماً ما تقلبين الأدوار..

-لأنك نادراً ما تلقي علي تحية الصباح .

تقدم نحوها ثم همس بكل رقة :

-إذا مر يوم ولم أتذكر به أن أقول صباحك سكر ...

فلا تضجري من ذهولي وصمتي

ولا تحسبي أن شيئا تغير

فحين أنا لا اقول أحبك .

فمعناه أني احبك أكثر

تبسمت له بدلال ثم عبست قائلة :

-معناه أنك تحبني كثيراً جداً جداً جداً .. فتلك المرات نادرة جداً التي تلق علي فيها تحية الصباح ...

بادلها ابتسامة حانية وتلمس وجهها الرقيق بيديه هامساً:

-اقسم بأني احبك "

فرفعت نظرها إليه وقالت بأسى :

-ولكنك تتفوه بها وكأنك خائف ...وكأن حبك لي جريمة لا تريد أن ترتكبها

ابقى عيناه معلقتان عليها ونيران العذاب تتآكلهما وقال بخفوت: انه جريمة كبيرة جداً ..لن تفهمي"

-إذن أفهمني وسام " طباعك تلك ...وانقلاب مزاجك بين حين وآخر ..وما سر ذلك الحلم الذي يراودك كل ليلة .

ولكنه آثر الصمت ...وبما كان سيجيبها وهي تضعفه بكل لحظة ..وكل يوم وتقتله ،اكتفى بأن قال أنه حلم بشع جدا بسبب ماضٍ بشع جدًا "

ولم يزدها قوله إلا تساؤلا ،حتى رن هاتفه فذهب ليجيب وتركها حائرة في أمرها من كلامه

****

استيقظت يارا مع بزوغ الفجر وخرجت من غرفتها وفي الصالةرأت رواد ملقياً برأسه على الاريكة وجسده على الارض، غافياً تنهدت بعمق واتجهت الى غرفتها وعادت لتدثره بغطاءٍ سميك فالجو بارد، رن هاتفه الملقى بجانبه فانتشلته بهدوءوادركت اسم لويس ، اتجهت الى المطبخ لتجيبه ،نهرها بشدة على تصرفها ليلة الامس وبثها قلقه الذي تعاظم في قلبه، اخبرته ان هاتفها قد تحطم فما كان منها الآن إلاّ أن تعتذر منه...

استيقظ رواد عند سماعها تتحدث ازاح الغطاء والالم يجتاح جسده وتقدم الى المطبخ، فأجفلت من ظهوره المفاجئ، سلمته الهاتف وهي تقول(اتصل لويس يريد الاطمئنان فقط).

تناول الهاتف منها وأجابها ببرود - لم أسألكِ.، سأستدعي من يصلح هذا الباب واغادر فوراً،لربما ترغبين برؤيته خارجاً لا اربد تأخيرك.

ثم اجرى اتصالاً سريعاً وسط نظراتها المتعلقة به.

انتهى بعد ساعةٍ تقريباً وانقد الرجل نقوده لينصرف وهم رواد كذلك بالانصراف فاستوقفته يارا:

- رواد .

كادت ان تنطق لولا ظهر لويس صاعداً السلم ناحيتها،

تجاهلهما رواد سويا ودخل شقته مغلقاً بابه بعنف.

-صباح الخير، كيف حالك اليوم يارا.،

اهلا مسيو،اجابته وعينيها معلقتين بباب رواد المغلق.

تبسم بلطفٍ قائلاً:

- لن اتطفل هذه المرة بالدخول، تفضلي هذا هاتفٌ محمولٌ بدلاً عن هاتفك الذي تحطم،

-ولكن مسيو" قالتها بارتباكٍ فاستوقفها مردفاً:

-لن اصبر حتى تبتاعي جهازاً جديداً ،اريد الاطمئنان عنك بكل لحظة يارا، صدقاً لن تعرفي مقدار الخوف الذي تملك قلبي وانتِ تائهة، رجاءاً, انت ببلدٍ غريبة عنكِ حاولي قدر المستطاع ان لا تغادري بمفردك، الاوغاد يملؤون الطرقات خاصةً ليلاً.

تناولته منه شاكرة ، اهداها ابتسامة امتنانٍ وحب مودعاً ثم تقافز درجات السلم مغادراً واطلق رواد زفرة حنقٍ خرجت من صدره ،وابتعد عن الباب

عدة أيام بعدها مرت ،ولم تلتقي برواد، كلاهما يهرب من الاخر، بعد شعوره أن الحواجز بينهما بدأت بالذوبان شيئاً فشيئاً وانها بدأت بتقبله مرة أخرى فجرت تلك الليلة كل آلامهما من جديد ليعاود ذلك الحاجز الظهور .

ففي ذلك اليوم المشؤوم الذي يحاول الجميع نسيانه..كان الكل منشغلون بحفلة انتهاء فرع الشركة الجديد لعاصم بحديقة المنزل وكان المكان يعج بالشخصيات المهمة والوجوه الإقتصادية الكبيرة للبلاد .

يارا مع خادمة أخرى كانت سهير قد عينتها تعملان لإعداد الضيافة لتقديمها للمدعوين ...اختلس محامي عاصم الشاب، لحظةً من الزمن دخل فيها إلى المنزل وتوجه مباشرة إلى احدى الغرف مرت دقائق قليلة حتى نادى على دينيز...اخفت ارتباكها وخوفها منه ولكنه ابتسم لها مطمئناً .

-تقدمي ولا تخافي أريد أن أكلمك بموضوع مهم جداً.

كان يتكلم بلطف بالغ وباحترامٍ شديدين،انصاعت لمطلبه بتوجس واحست ان شيئاً لن يكون على مايرام إن اقتربت ....ولكنها بعد قليل طمأنت نفسها ... سأعرف مطلبه وسأغادر بعدها ...تشجعي يارا ..فلن يقدم على فعل شيء والمكان مليء بكبار الشخصيات "

تقدمت إليه بخطى ثابته ووقفت أمام المكتب لمعت عيناه بمكرٍ خفي، ارخى بضع ازرار من قميصه وكانه يشعر باختناق وقال لها متصنعاً الأسى :

- هنالك نبأٌ سيءٌ جداً ، أرجو ألا تحزني فهذا قضاء الله وقدره"

شعرت برجفة قوية تجتاح صدرها وقالت بصوت متهدج -مالأمر سيدي ؟

دار بجسده حول المكتب ليصير قبالتها مباشرة وتنهد قائلاً : تعلمين ان عاصم بك. وكلني بالدفاع عن والدك

هزت رأيها بإيجاب فأردف وهو يقترب، حاولت جاهداً وليشهد الله على ما اقول، لكن مع الاسف، فقدناه بالأمس .

اتسعت عيناها بذهول وصرخت ....

-ماذا ....ماذا تعني هل ..هل .. لا مستحيل لا تكذب !

تلعثمت بذعر وصدمة ، ولكنه أمسك يدها فجأة مستطرداً : اهدئي أنستي رجاءاً ، المسكين فقد حياته إثر سكته دماغية أودته صريعاً .... تلقيت هذا الخبر المؤسف اليوم صباحاً ...نقلوه إلى المستشفى ولكنهم لم يستطيعوا مساعدته ليرحم الله روحه .

للحظة شعرت بدوارٍ شديد ...للحظة تناست يده التي بدأت بالالتفاف حول جسدها الهش وشعرت بأنها تتهاوى فها قد فقدت اباها ... جابر الحنون والعطوف غادر هذه الدنيا ليتركها وسط ذئابٍ لا ترحم.

الجمت الصدمة لسانها ووقفت تنظر له بذهول ... بادلها نظرتها تلك للحظة قبل ان يستدير مستضرداً ((لم يكن على لسانه سوى اسمك... اوصاني بك، قالها حرفياً لي: يارا امانتك، في كل مرةٍ قابلته فيها كان يرددها))

تعالى بكاء يارا فاستدار بغتةً وضمها إلى صدره بقوة يمسح على شعرها هامسًا بصوته الناعس :

(اهدئي لا تبكِ رجاءاً انت بمثابة اختي الصغيرة...والامانة التي تركها جابر على عاتقي) استكانت قليلاً بين يديه فالصدمة كانت اشد من أن تعارض أو تشعر بما حولها .

كان رواد يرتدي بذلة سوداء انيقة مصففاً شعره الاسود، ومع ذقنه الخفيفة بدا جذابا لأبعد الحدود ، انتهزت سهير فرصة تواجده بالحفلة لتعرفه على لارا، ابنة المسؤول التي قررت أن تزوجه إياها بعد تخلصها من يارا ..كانت الفتاة جميلة عيناها خضراوان فاتنتان شعرها أشقر طويل ولكنها ساذجة بافكارها متكبرة ومتعالية بأخلاقها لكنها تليق بعائلتهم من وجهة نظر سهير وكأنه يريد شراء لوحة ليعلقها في منزله ليس زوجة تشاركه الحياة والمسؤولية ..

نادته والدته واستأذنت منهما بالانصراف وتركتهما بمفردهما ليتحاوران قليلا وذهبت للاختلاط بالضيوف ....لكن رواد عيناه كانتا تبحثان عن يارا فقد تأخرت عن آخر مرة رآها فيها تقدم الشراب للضيوف ... تلك الفتاة تتكلم وتثرثر أمامه بأحدث صيحات الموضى والازياء وهو مشغول بمكان بحبيبته الصغيرة ويشعر بداخله بأنها ليست على مايرام ..

بعد فترة قصيرة اقتربت سهير مع أحد رجال الأعمال من رواد وبعد بضع كلمات ومجاملات قالت لابنها...إذهب لتستدعي ممدوح ذهب لاحضار اوراقٍ من المكتب لكنه تأخر بالداخل عزيزي إن اباك يريده .

انصاع لمطلب والدته ودخل إلى المنزل ولم يلمح تلك الخادمة التي اخرجت هاتفها واجرت اتصالًا سريعا رن على اثره هاتف المحامي ممدوح ...ليعلم أن الاوان قد حان لتنفيذ ما خطط له .

شعر باهتزاز هاتفه بجيب بنطاله ابعدها قليلاً عنه ثم مسح دمعها بيديه ،همس لها بمكرٍ شديد: ستشهدين الان اروع قنبلةٍ على الاطلاق)) لم تكن لتستوعب عما يتحدث وبلحظةٍ شرع بتقبيلها ثم همس (اشتقت فعلاً لكِ) .وبطريقةٍ جعلها عفوية حدق ناحية الباب ليرى رواد متسمرا فاتحاً عيناه على اتساعهما ...ومن خلفه يقف عاصم يحدثه

-ممدوح ماذا تفعل؟

****

((الفصل العشرون))

قال عاصم كلمات غير مترابطة يعبر بها عن صدمته الكاذبة بهما .

تنحنح ممدوح بارتباكٍ مصطنع ورتب هندامه متأسفاً لعاصم،في حينها لم تستطع يارا تمييز كل شيء قد جرى معها للتو ؛ فبقت ذاهلة تدير بصرها إلى عاصم ثم إلى ممدوح ثم الى رواد وتهز رأسها نفياً على فعلٍ هي بريئة منه وكأنها بكابوسٍ بشعً جداً ...

قد عمد ممدوح لأن يخبرها عن موت والدها تحديداً قبل قليل لكي يستكمل لعبة عاصم تلك على الرغم من أنه من قام بتصفية جابر كي يضمن عدم فتح قضية مقتل شريكه الذي قضى جابر عقوبة قتله ، وهاهو قد نجح بمسعاه والدليل نظرات رواد الميتة تجاهها .

اقتربت سهير بعد قليل لتقول : لما صوتك مرتفع عزيزي هل كل شيء على ما....

بترت باقي حروفها حين رأت يارا بحالة بصدمة ...وممدوح يقف بهيئته المزرية أمامها.

-مالذي جرى ...مالأمر؟!

قال عاصم وهو يلهث انفعالاً:

-تلك القذرة... ..قلت لكي مراراً لا أريدها بمنزلي...رحماك يارب....

زمجرت سهير بغضب وبصقت عليها

في حين نطق ممدوح...سيد عاصم اعلم ان المكان غير مناسب اتمنى ان تغفر ذلك الخطأ.

رواد يحدق فيها بصدمة اعجزته عن ابداء اي رد فعل، تحجر الدمع في مقلتيه وارتجفت شفتاه.

تقدمت الخادمة التي كانت تنتظر اداء دورها خلف الباب.

-رولا... نادي مروان و تعاليا إلى هنا لإلقائها خارجاً حالاً.، قالها عاصم يصرخ وبعد برهة تقدمت الخادمة مع الحارس فبدأت الأم باستجوابها عن تلك الامور

المريبة التي كانت تلاحظها تجاهها منذ فترة، وبدأت تلك الخادمة تبوح بأسرار وحكايا عن رؤيتهما معاً أكثر من مرة

وبدأ مروان كذلك باختلاق الأكاذيب عنها لمحاولة اتفاقها معه على السرقة والهروب سوياً وما إلى ذلك ..

كان مروان صديقا لداني ....وبالتالي فهو لا يكذب...لن يكذب ويدعي على أخت صديقه كلاماً باطلاً..

هذا ماكان يفكر به رواد الآن وثبت بنظره جريمتها البشعة

بصق عليها عاصم وصرخ فيها مجدداً ..

لا نريدك بهذا المنزل أيتها الرخيصة ...حمداً لله أننا عرفناها على حقيقتها قبل أن تتورط معها أكثر ياروا د اخبرتك مراراً ان الهمج لا يؤتمن لهم..

واجتازه مغادراً فما كان من سهير إلّا أن تلحق بزوجها وشبح ابتسامة ارتسم على شفاههما.

وقف رواد بمكانه ليرى هذه الحقيقة أمام عينيه ..

كانت سهير تبخ سمها كالأفعى بين حين وآخر وتحاول اختلاق احاديث عن عفتها وشرفها قبل هذه الحادثة ...لتتزحزح ثقته قليلاً بها، لم يكن ليصدقها سابقًا لكن الحقيقة تجلت الآن أمام عينيه ..رآى كيف كانت

بين يديه باستسلامٍ وخضوع..

لا مجال للشك بعد الآن...لا مجال لأن يكذب مارآه بأم عينيه..وخاصة أنها اكتفت بالصمت لا تدافع عن نفسها..غادر ممدوح وهو يغلق ازرار قميصه في حين

تقدم رواد نحوها بخطى بطيئة وجسده يرتجف وكأن سكاكين الدنيا كلها بدأت بطعن قلبه وظهره، حبيبته الصغيرة.، صديقة الطفولة ورفيقة المراهقة ،مجرد خائنة تتلاعب به وبمشاعره ، علمها الرقص فرقصت بكل وحشية على قلبه بعد أن مزقته.

كانت تنظر له ولم تستطع حتى الدفاع عن نفسها فتلك الأحداث التي عاشتها اليوم بشكل متسارع أخرست حروفها وبقت كمن ينتظر الجلاد لحظة إعدامه باستسلام..

تهز رأسها نفيًا بصمت ودموعها تنهمر من وجنتيها.. تقف بصعوبةٍ منهارة ولم تصدق أن رواد قد استمع لادعائاتهم...صدقهم وصدق كذبهم وافترائاتهم عليها. ضبضبت ملابسها بيدٍ ترتجف وهي تنظر بعيونه تستجديه العطف.تقدم حتى أصبح أمامها مباشرة ودموعه متحجرة بمقلتيه و أمسك شعرها بكل قوة وشده بعنف وبدأ يهزها صارخاً:

-لقد احببتك أيتها الحقيرة ...عشقتك بجنون ...مالذي فعلته بي ...لما ... لما كل تلك القذارة لأجل ماذا!؟!

قطعت القلادة التي كانت حول عنقها ووقعت على الأرض وهو متمسك بشعرها بكل قوة ويشعر بأن نيراناً تحرق قلبه، صفعهاً مراراً باكياً صارخاً ثم أفلتها وصرخ :

تريدين نقوداً !!!...تريدين نقوداً ؟؟

ركض إلى الخزنة فتحها بارتجافةٍ وأخرج رزم النقود وهو يفكها بعصبية وصار يلقيها عليها بهستيرها وكأن التي أمامه لا تتعدى كونها راقصة ليلية رخيصة ...

-خذي نقوداً ...تريدنها كلها .. خذيها يا عديمة الأخلاق ، هل اكتفيتي ام لا ...

وقف يلهث بقوة وقد تقطعت أنفاسه من الصراخ

أمسك بقميصه ومزقه صارخاً وهو يضرب على صدره بقوة (كنتِ هنا....وضعتك فيه أحببتك بكل إخلاص وحاربتهم لأجلك ...كرهتهم لأجلك وانت تتلاعبين بي كل تلك المدة...تنظرين بعيني وتقولين أحبك، بكل وضاعة تقولين أنا ملكك..ولم تكوني سوى خائنة ، تدعين العفة والخجل مني وها أنت بكل قذارةٍ تقبلينه! .)

وقف لاهثاً بعد أن اختفى صوته من شدة صراخه :

ولكنك رخيصة كتلك النقود امامك اشبعي بهم وتمتعي)

قال آخر كلماته بصوت مهزوز بالكاد استطاع إظهار حروفه ؛ونادى على الحارس مروان (ارمها خارجاً)

بصق عليها وتركها على الأرض حولها الوريقات النقدية مغادرا المكتب ..بقيت مكانها منكبة على الأرض تشهق بقوة ولا قدرة لها على البكاء... مكسورة لفقدان

أبيها وممزقة على ادعاءات باطلة سحقت حبها الوحيد .تقدم حارسا المنزل واجتراها خارجًا والقيًا بها على قارعة الطريق.

نظرت نظرة أخيرة بعيني مروان ،الذين كانا يتألمان بطريقة ما على كذبه ...ترجته من خلال نظراتها أن

يقول الحقيقة ...أن يصحح ادعائاته الباطلة ،لكنه رمى لها بمعطفه لتقي جسدها الذي يرتجف برداً والماً و غادر تاركاً إياها،.الظلام يلتهم الشارع التهاماً والحفل داخل قصرهم الملعون لم ينته بعد ..فقد عاد عاصم وزوجته للاختلاط بضيوفهما وكأن شيئاً لم يكن...الموسيقى الصاخبة خارجاً كانت كفيلة بتغطية كل الأحداث التي مرت بالداخل

همس لها :

-ألم أخبركِ أني سأنهي المسألة الليلة .

ردت عليه سهير وقد شدت على قبضته أكثر .

-أحبك لانك دائماًتفي بوعودك عزيزي . .

-من بعض ما عندكم غاليتي .

وصارا يضحكان عالياً.

خرج رواد وكل ما حوله مشوشاً ، وجوه المعازيم أصبحت وجوه شيطانية قبيحة ...كلهم يشير إليه ضاحكاً ، كلهم يرقص بجنون على غبائه وحماقته وسذاجته، والدته محقة دون أدنى شك ؛ فالهمج لا يعرفون معنى الحب ،

رأته سهير ...كادت أن تقترب لمواساته لولا أمسكها عاصم وهمس (أتركيه الآن سنرسل له شخصا يحتاجه أكثر منكِ) لم تفهم سهير ما يرمي إليه زوجها فكل شيء بنظرها قد انتهى لكن بالنسبة لعاصم لم ينته شيء بعد ، ف نادى على لارا ابنة صديقه وأمر السائق بأن يتبع بها رواد الذي انطلق مستقلاً سيارته وقادها بسرعة جنونية ليطفئ نيران قلبه المتأججة ولا يعلم إلى أين سيهرب .

كان يسير بسيارته مسرعاً غاضباً حانقاً من كل شيء حوله حتى وجد نفسه أمام البحر الهائج ...

خرج من سيارته ، خلع سترته رماها أرضاً وصار يعدو على الرمال... ركض كثيراً حتى أنهكه الألم ، ولارا تتابعه بعيناها بصمت والسائق ينتظر أوامرها ، جلس رواد لتتبين له تلك الدموع الساخنة التي كانت تسيل من عينيه دون توقف.

وقال: بصوت مسموع....

تحملين كل صفات البحر ...حتى الخيانة والغدر .

****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الواحد والعشرون))

لملمت جراح نفسها وجرت قدميها جراً لتعود إلى المنزل ... و ما إن استقبلتاها والدتها حتى ارتمت بين أحضانها وبدأت تبكي بحرقة وتصرخ بها دون وعي ...أبي مات ، لقد مات ابي في السجن .

كانت هذه صدمة أخرى ل رزان التي صعقت لهذه الحقيقة الجديدة .

-أي سجن تتكلمين عنه...

واتضح لها لما لم يكلمها زوجها كل تلك المدة على الهاتف....وفهمت مالذي جرى...ومن أين حصلت ابنتها على نقود العملية وتكاليف العلاج ... كل ذلك جرى بعقلها بعمليه بسيطة جدًا ...لأنها تعرف قذارة عاصم وجبروته.

وايقنت أنه لا يعط شيئاً بدون مقابل ولكن هذا الثمن كان غالياً جداً... هذا الثمن سرق منها زوجها ودمر قلب طفلتها الحبيبة ..

دخل داني مساءاً منهك القوة من عمله ليرى عائلته الصغيره بهذه الحال...

عرف بموت والده منهما ولكنه لم يعرف بما جرى لأخته بعد، فظن أن حزنها وألمها سببه فقط موت والدها..لم يعرف أنها خسرت أباها ، حبيبها وروحها بيوم واحد

في اللحظة التي احتاجت بها لرواد....خذلها وطعن قلبها لتصديقه هؤلاء الشياطين الذين اجتمعو ضدها...وذنبها فقط أنها أحبت رجلًا ثريا...أن آمالها تعلقت بذلك الانسان ولكنه الآن بنظرها شيطان مثلهم ..لحظة واحدة فقط جعلته ينسى سنوات طفولتهم معاً..مجرد تمثيلية سخيفة أتقنوها عليه صدقها بكل بساطة هل أبكيك يا أبتِ أم أبكي حالي.!!

*****

وطبعاً لعبة عاصم لم تقف عند هذا الحد ..فهو يعرف رواد جيدا بعد أن يستيقظ من صدمته سيبحث بهذا الموضوع ليعرف الحقيقة كاملة ..سيكتشف أي ثغرة لكي يبدأ منها لذا قرر ان يبعدهم عن هذه المدينة ..وفصل تلك الخادمة عن عملها بعد أن أعطاها تعويضا مناسباً لكي لا تخطئ بيوم ما أمامه .

*****

ترجلت الفتاة من سيارتها في اليوم الثالث من رؤيته على هذا الحال، خلعت حذائها رمته بعيدا ً ومشت تجاهه بخطى بطيئة على الرمال الناعمة حتى صارت أمامه مباشرة، وجلست دون سابق إنذار ، مسح رواد دموعه بسرعة ورفع وجهه تجاهها متعجباً .

-هذه ...الحياة لا تستحق صدقني رواد ،

تجاهل كلماتها وأدار وجهه لكنها لم تتركه وشأنه بل اقتربت أكثر (منذ ثلاثة أيام وأنت على هذا الحال ،تهرب إلى هنا قاضياً ساعاتٍ طوال لما تعذب نفسك لما تبعثر حياتك وتشتاق لمن لم يهتم لمشاعرك)

-أتركيني لارا.

قالها بحروف صارمة لكنها لم تستسلم بل رفعت وجهه بيديها وتلمسته بنعومة:

-ستنساها رواد ...معي ستنساها .

****

بعد انتهاء أيام العزاء تلقت رزان اتصالاً تعرف صوت صاحبه جيدًا ....المحامي ممدوح

قال كلمات قليلة كانت كفيلة بزلزلة كيانها كله ..

-ستصلك بعد قليل تكاليف تكفيكم لترحلوا عن هذه المدينة..إن لم تسافري سألحق ابنتك بزوجك....هل فهمتي تعرفينني وتعلمين اني لاامزح .

اغلق الخط مباشرة حتى دون ان يعطيها فرصة للكلام او الاعتراض، وفعلا وصلتها الأمانة على يد الحارس مروان فغادرت الام المنزل بعدها ولم تعد إلا مساءاً وبيدها بطاقات تلك الطائرة المنكوبة ،فقد قررت أن تهرب بولديها

إلى أبعد مكان ممكن ...فهي لا تريد أن تخسرهما كذلك .

لم تخبرهما أن عاصم وعن طريق محاميه هددها .فقط اكتفت بقولها أنها تشعر بالاختناق هنا وكل شيء يذكرها بجابر فقررت الهرب ، أجبرت الاثنين على الموافقة وحملوا أمتعتهم وركبوا بتلك الطائرة التي أعلنت عن موت الأم وتشتت هذه العائلة حتى قبل أن تجتاز الحملوا

أيام العزاء التي مرت لم يتجرأ فيها مروان على الإقتراب من داني أو حتى الاتصال به لتعزيته فقد كان اضعف من أن يجابه صديقه بعدما فعله به وبأخته حاول قدر المستطاع أن يظل متماسكا قوياً مع عاصم لكي يبقى بعمله ولا يطرد كالخادمة رولا....

إتصالات متكررة جائته من داني الذي استهجن عمل صديقه فقد كان يريد من يواسيه ويخرجه من حزنه ولكن مروان لم يستطع الرد، لم يفهم داني سبباً لجفائه المفاجئ ...وبعدها استسلم وسافر مع أمه تاركاً وراءه كل شيء.

****

بعد تلك الساعات التي قاها برفقة لارا أمام البحر قرر أن يسافر بضعة أيام ليريح أعصابه وبعدها سيعلن خطوبتهما رسميا كما يريد أهله ، وافق ببساطة فالنساء بعد حبيبته سواسية ولا فارق عنده بينهن....فبنظره تلك الصغيرة قد قتلته...دمرت روحه وسحقتها دون رحمة فاستسلم لشيطانته الشقراء الساذجة التي أصرت أمه على تزويجه إياها .

مروان كان يعلم بكل صغيرة وكبيرة اقترفها عاصم وبكل التجاوزات التي كان يعمل بها ...

كان ذراعه اليمنى بكل شيء كما يقولون وهاهو قد بدأ بدفع ماقترفته يداه ...

كانت شاشة التلفاز تعرض صوراً للطائرة المنكوبة وتعداد ضحاياها التي جاوزت الخمسين قتيلاً ولم ينج منها إلا قلة قليلة ومعظمهم بحالة خطرة... توزعت فرق الإنقاذ من كلا البلدين الذين سقطت الطائرة بينهما .

انتفض جسده بقوة عندما كان واقفاً على الأرض بغرفته المتواضعة أمام بوابة فيلا عاصم ، يمسك إريق شاي بيده ولكنه لم يتحمل الصدمة فجلس أرضاً بخوف وكأن قدماه لم تعدا قادرتين على حمله...وقع الابريق لينسكب الشاي الساخن على الأرض وهو يصرخ صائحاً

-انها رحلتهم ...طائرتهم " و صار يردد بجزع

-كل هذا بسببي...أنا من ساعدت ذلك الوغد وخنتكم

أنا السبب بكل شيء ،لقد قتلتكم بيدي هاتين !!!

صحى ضميره فجأة بعد تلك المدة التي كان فيها بسبات عميق ...فتوجه مباشرة إلى المستشفى التي يرقد فيها داني بعدأن استدل عليها ..عرف أن والدته لقت مصرعها بالبحر مباشرة ولكن يارا لم يعرف عنها شيئاً ...يبدو أنها بأحد مشافي البلد المجاور.

و داني بسبب ذلك الجرح الغائر في جبينه اصيب بارتجاح في الدماغ وكان بغيبوبة استمرت لبضعة اسابيع .... لم يفارقه بها لحظة واحدة كان عذاب ضميره الآن يقتله ويمزق قلبه فقرر أخيرا أن يصحح

اخطائه .على الأقل أخطائه مع صديواحدة

****

بعد عودة رواد من السفر كان كل شيء قد تغير ..

فقد قرر مروان أن يصرح لرواد عن تلك الكذبة التي افتراها على يارا ، استشعر ألمه وعذابه بغياب حبيبته وخاصه أنه يعرف مالذي تعنيه يارا له؛ بكل تلك السنوات التي قضاها يراهما سوياً .

كان رواد يومها جالساً بحديقة المنزل تحت الشجرة التي اعتادت صغيرته الخائنة الجلوس تحتها وبدى شارداً ضعيفا مكسوراً لأبعد الحدود.

اقترب منه مروان بكل هدوء وجلس مواجهاً له ..

-سيدي أريد أن احدثك بموضوع .

-ليس الآن مروان .

لكن الحارس كان مصراً على إخباره الليلة والآن.

-بشأن يارا ..

انتفض رواد وصرخ :

لا أريد سماع اسمها هل فهمت ،هيا اغرب عن وجهي انت الاخر.

ولكن الحارس بقي متسمراً مكانه وقال بحدة:

-انها بخطر

زمجر رواد صارخا به...فالتذهب إلى الجحيم لا يه..

ولكنه قطع سيل صراخه وضيق عينيه لمجرد سماعه هذه الكلمة ...

-أعد ماقلت:

زفر مروان بقوة وأجابه : انها بالمستشفى ...كانوا بتلك الطائرة التي... التي سقطت بالبحر منذ عدة أسابيع .

صمت رواد وحدق به يحاول أن يفهم كلمات مروان القاتلة ، ضرب بقبضته على الشجرة بقوة ثم تمسك به وكأنه يستنجد: هل ...هل حالتها خطيرة بأي مستشفى هي .

ربت الحارس على كتف رواد وقال له :

-لا اعرف مكانها سيدي ولكنني موقن أنها لم تمت فلم يذكروا اسمها بتعداد الضحايا ، ولكن الخالة رزان لقت مصرعها فورا.

نظر إليه بعدم فهم وجلس على الأرض تمزق قلبه حزناً وألماً على رزان فهي كانت بمثابة أم حقيقية له اعتنت به وربته كابن لها ..أحبته ، أكثر من أمه الحقيقية ..

أردف مروان وهو يشيح ببصره عنه.

-سيدي ..أنا أسف لكل ما جرى معكم ولكني لن أستطيع تحمل المزيد من عذاب الضمير ...سأقول لك كل ماحصل

كان ينظر اليه وتعابير وجهه المتجهم تترجم مايعتمر بقلبه من حزن وغضب ، كان يستمع لاعترافاته ويود لو أن الزمان يعود إلى الوراء ليصحح أخطاءاً ارتكبها مجبرا بحق نفسه وبحقها .

قال مروان :

-لقد استدعاني عاصم بك إلى مكتبه وكان برفقته المحامي خالد واعطاني رزمة نقود كنت أحتاجها واشترط علي أن أدّعي أن الانسة يارا كانت تحاول استمالتي بهدف أن اساعدها لسرقته.للحظة ضعفت عندما رأيت النقود أمامي على المنضدة ، والذي يفصلني عن اخذها مجرد كذبة بسيطة عليك ولكن ..

هنا لم يستطع رواد السيطرة على أعصابه أكثر أمسك مروان من ياقة قميص وبدأ يهزه بعنف قبل أن يصرخ فيه :

-كذبة بسيطة أيها الوغد دمرتني ،.كذبة بسيطة قتلت الخالة رزان وأضاعت حبيبتي ..كذبة بسيطة قلبت حياتنا أيها النذل .

لكمه بقوة على فكه لكن مراون صاح فيه :

-انا اسف ،ولكنك لا تعرف مالذي تعنيه النقود لرجل يحتاجها .

-لا أريد سماع المزيد أيها القذر سحقاً لك وللنقود .

******

ومساءاً عندما دخل عاصم إلى المنزل لحق به رواد عيناه تشتعلان نارا وحقدا ..وحينها قابل أباه ليصب جام غضبه عليه ...وببساطة لم ينكر الأب لظنه ان يارا قد لقت مصرعها كذلك.

بل قال كلمات زادت من احتقار رواد له فالآن هو موقن أنها لن تعود لابنه...

-بعد كل الذي جرى أيعقل أن ترضى بفتاة لمسها غيرك يافتى .

تراجع رواد خطوتين إلى الوراء ملتاعاً من مقولة والده ...

-ايعقل أن تكون اباً ! أنت. .أنت شيطان بجسد انسان"

قال كلماته تلك ودخل غرفته ليملم أغراضه بسرعة ... وبأثناء خروجه كانت ميرا قد عادت إلى المنزل من مدرستها الداخلية ...فها هي عطلة نهاية الاسبوع قد حلت .ابتسمت و كادت ان ترتمي بأحضان أخاها الذي اشتاقت له ولكن النار التي بقلبه كانت مستعدة لإحراق كل فرد من أفراد عائلة عاصم ...فأشاح ببصره عنها وحمل حقيبته مغادراً ..

وقبل أن يغادر صاح والده ...

ان خرجت من هذا المنزل فسأستبرئ منك .

ضحك رواد عالياً قبل أن يجيبه ...ومن قال أني أتشرف بك وبعائلتك !!!

صفق الباب خلفه ومضى في طريقه .

((الفصل الثاني والعشرون))

أما داني بعد الحادث فتح عيناه بتثاقل وأطلق آهة ألم ممسكاً جبينه كان يشعر بأن رأسه سينفجر من شدة أوجاعه نظر حوله قليلاً حتى عرف مكان تواجده ، حاول النهوض لكن يدا ربتت على كتفه وقال رجل له:

-لا يصح أن تتحرك الآن ،ارتح قليلاً يا أخي .

رفع عيناه إلى هذا الشاب الذي أمامه فابتسم له مطمئناً ، كان قسم من كتفه مع صدره ملفوفة بضمادات وذراعه مكسورة ؛هذا مابدى له، وأكمل الرجل يحدثه بعدما عاد يجلس على سريره.

-حمدا لله على سلامتك .

حاول إخراج الحروف من فيه فخرجت ثقيلة خشنة بسبب حلقه الجاف الذي لم يروى مند مدة طويلة على ما يبدو .

-اين أنا ....مالذي جرى لي.

قهقه الرجل بسخرية مريرة ثم أجابه:

-انت في جهنم ياحبيبي.

نظر له داني بتفاجئ ثم ارتسم شبح ابتسامه على ثغره قبل ان ينتشله ذلك الرجل مجددًا من شروده ويجيب عن تساؤله بجدية .

-لقد نجوت من تحطم الطائرة كذلك .

فهز داني رأسه يحاول استذكار ما حدث قبل أن يعتدل ذاك الرجل بجلسته ليقول :

-اسمي عماد ..ضابط في الأمن الجنائي .

-تشرفت بمعرفتك ...أنا داني .

-أعرف بالمناسبة .

نظر له باستهجان ثم قال : وهل أجريت بحثا عني سيادة الضابط ؟

قهقه عماد قائلًا بسخرية واضحة :

لا طبعًا ولكن هنالك ممرضة بلهاء لاتكف عن ذكر اسمك أمام صديقاتها " وغمز له بطرف عينه قبل أن يعاود الاستلقاء على سريره...وصار يدندن لحن اغنية عير مبال بكل شيء ، ثم قال له : بالمناسبة كنت بحالة غيبوبة وبعدها قررت أن تركل الموت وتفتح عيناك "

-حقاً !!!! نظر بتفاجئ له ،كان ذلك الرجل غريب حقا...على الرغم من إصابته وحالته المزرية إلا أنه يأخذ المسألة ببساطة كبيرة وكأن عظام الكتف الممزقة واليد المكسورة لا تخصه بتاتاً !!!

-هنالك شخص كان يسأل عليك باستمرار .

-من تراه يكون ؟

عقد حاجبيه مفكراً ولكنه فجأة تذكر اخته وأمه فصرخ فيه: يارا ...هل يارا بخير وأمي ...أخبرني أرجوك"

نظر عماد بأسى تجاهه لكنه قال بهدوء:

-صدقاً لا أعلم ، ولكن نصيحة مني أن تتوقع أسوأ الأمور كي لاتصدم بعدها؛ فعدد الناجين قليلٌ جداً .

أغمض عيناه بقوة واعتصر ملائة السرير وكأنه يريد تمزيقها كما تمزقت روحه خوفا علهيم

طوال فترة مكوثه بالمستشفى كان هذا الضابط بمثابة جرعة تقوية لأعصابه ،بساطته في معالجة الأمور هي ماجعلته يتعلق به ويثق فيه لأبعد الحدود ،حتى جاء اليوم الذي تخرج به عماد من المستشفى بعد شفاء جراحه ، ولكنه لم يقطع زياراته لداني فكان كل يوم تقريبا يجلس عنده ليتبادلا الأحاديث.

عندما علم مروان أن داني قد صحى من غيبوبته عاوده ذلك الشعور العميق بالندم وبمدى حقارة فعلته فخاف من فكرة مواجهة صديقه، ولم يعد يقوى على المجيء إليه؛ قرر أن يكتب رسالة يخبره بها على كل شيء ويسافر بعدها فلن يستطيع أن يجابه ثورة عاصم خاصة بعد ان علم بشان إفشاءه السر لرواد..

*****

الثانية صباحًا...

أنهى كتابة رسالته وتوجه مباشرة إلى المستشفى سلمها للممرضة المناوبة وأصر على تسليمها لداني فوراً وغادر بعدها مسرعاً، وصل إلى منزله العتيق فتح باب شقته ودلف إلى الداخل ،كان الجو يعبق بظلامٍ مخيف وكأن رائحة الموت تلوح بالأفق ، برودة سرت بأوصاله عندما سمع صوت عاصم يأتيه بهذا الظلام قبل أن تشعل أضواء الشقة فوراً ليرى رجلا ضخم الجثة وعاصم يجلس على الكرسي بكل أريحية

قام هذا الأخير بنفث دخان سيجاره العريض وهو يقول بكل هدوء:

-أرى أنك عدت أخيراً مروان .

-عاصم بك !

تفاجئ من تواجده بمنزله وخاصة أنه برفقة مرافق جديد ، وشعر بأن النهاية التي يرسمها عاصم له قد حانت ولا شك في الموضوع ، هو يعرفه جيداً ومتأكد مما هو مقدم عليه ولكنه رسم الشجاعة وتقدم بخطى بطيئة وجلس مواجها له متحاشياً نظرات ذلك الضخم الذي يحدق فيه بصرامة .

-أتعرف يا فتى ...تعجبني شجاعتك جداً؛ فقد صنعتك بيدي هاتين "بقي مروان صامتاً يحدق بوجه هذا الشيطان الذي تنعكس عليه خيالات القمر من النافذة الشبه مفتوحة وكأن آلاف الشياطين تتراقص داخل عينيه الغليظتين المحاطتين بتجاعيد السنين ، بحين اردف ذلك الأخير

-ولكني صدقاً ....صدقاً لا أحب الخيانة"

-أنا لم أخنك بشيء....إنه اعتراف بسيط للسيد رواد لأني أعلم مدى حبه لها

-حقاً..ولكن لا تنسى ...أن اول الغيث قطرة ...والقطرة تلك التي ألقيتها لرواد انا موقن أنك ستلقي غيرها لغيره ، أم ألقيت دون أن أدري !!؟

فكر منطقياً ...هل من الممكن أن استأمن على نفسي وأعمالي من الآن وصاعداً معك .

-سيدي ...لا اظن أن...

قطع كلماته تلك عندما سحب عاصم مسدسه مبتسماً ابتسامته الشيطانية

-لاأظن ذلك عزيزي...فحياتك الآن صارت مشكلة بالنسبة لي .بل ومشكلة أريد أن أتخلص منها وبنفسي والآن ...جملتي الشهيرة التي شهدتها بنفسك مرات كثيرة ...أتتذكرها .

وضحك أكثر قائلًا وهو يلوح بيديه :

. ليرحم الله روحك .....النجسة يا مروان .

****

دخلت تلك الممرضة الشابة إلى غرفة داني مبتسمة بهدوء عندما وجدته صاحياً

-مرحبا كيف ترى نفسك الآن سيد داني ؟ .

-بخير آنستي شكراً لكِ .

--لا تشكرني على شيء إنه واجبي ..

ابتسمت له تلك الممرضة مخرجة حبة الدواء لإعطائه إياها وقلبها مضطرب بطريقة جميلة كعادتها كلما رأته، كان يشعر باضطرابها ونظراتها اللطيفة تجاهه، ولكنه لايقوى على التفكير بأي شيء حالياً ..يكفي أنه علم بموت والدته وانتقال يارا إلى مستشفى بمدينة أخرى ..يكفي عجزه عن الوصول لملاقاة اخته..

شكر الممرضة بطريقة لبقة وعلمت هذه الاخيرة أن وقت ذهابها قد حان..إلا أنها تذكرت أمر تلك الرسال وضعت المظروف على الطاولة أمامه وقالت بهدوء :

-هنالك شخص ترك لك هذا المظروف سيدي .

غادرت بعدها ليمسك هو تلك الرسالة بيديه ولكنه مرهق بشدة حالياً وخاصة أن الدواء بدأ مفعوله بالظهور وهاهو ذا يشعر بتثاقل في جفنيه،

أعاد وضعها بحانبه على المنضدة واستلقى لينام وغدا قرر أن يقرأها ليعرف مامحتواها .

****

صباحاً جهز عماد نفسه للذهاب عند صديقه الجديد كعادته كل يوم ..فهو الآن بفترة نقاهة بسبب إصابته بصدره وكتفه وبما أنه وحيد يعيش بمنزله فكان لا بد له من إشغال نفسه بأي عمل، ووجد أن داني وخاصة لوحدته بالمشفى هو الأنسب لتمضية اليوم برفقته...

دلف حجرة داني ليرى أنه ممسك بورقة ووجهه متجهم بطريقة مخيفة...عيناه متحجرتان على تلك الكلمات .

ألقى عليه التحية ولكنه لم يجبه ...بقي منشغلًا بقرائته معتصراً بقبضته على تلك الأوراق التي بين يديه ، أعاد كلامه مجدداً .

قلت لك ستتخرج اليوم ..الآن أعلمني الطبيب .

هل كل شي بخير داني ؟

نظر إليه اخيراً بعد مدة من الزمن واعتصر الاوراق بيديه رامياً إياهم على الأرض وضرب جبهته بيديه مردداً ...أنا غبي أحمق .

نظر إليه بتردد قبل أن يلملم الأوراق من الأرض حاول ترتيبها وبدأ بالقراءة ...ليكتشف سراً جديدًا عن حياة صديقه المليئة بالمتاعب ، لمجرد قرائته لإسم عاصم جلال...حتى تبين له مدى سوء الوضع ...

اشهر رجل اعمال في البلاد ،كان موقن أنه جمع أمواله بطرق غير مشروعة ولكنه يحتاج دليلًا ...دليلًا واحداً فقط وأصبح الآن يمسك بطرف الخيط ليبدأ بالبحث منه ...

وضع الأوراق جانباً وتقدم نحو داني الذي كان مغيبًا الآن بعالم آخر تماماً...بسبب ذلك القذر ومافعله بأسرته، بدءا من قتل عاصم لأباه في السجن ، تلك اللعبة الوضيعة التي حاكها تجاه اخته ، وتهديده لوالدته كي تهرب .

حاول عماد أن يخفف عنه ألمه وأصر عليه بأن يحدثه عن كل شيء يعرفه عن عاصم فهو سيكون كورقة إدانه ضده...وفعلا بدأ داني بإخبار صديقه عن كلما يعلمه عنه.

انتقل داني بعد تخرجه من المستشفى للمكوث بمنزل صديقه عماد وخاصة بعدما ارتسمت بذهن عماد خطة للفتك بهذا المدعو عاصم ، لكن قبل كل شيء سيذهب

إلى منزل مروان ليعرف منه الحقيقة كاملة ...فمجرد أوراق لن تكفيه بهذه البساطة بعد كل شيء قد جرى .

طرقا بابه مطولاً إلّا انه لم يستجب لهما وتكرر الامر لعدة أيام ظناً أنه قد هرب ، حتى اشتم عماد رائحة غريبة تنبعث من الداخل فكان لابد له من أن يقتحم الشقة وحدسه الجنائي أخبره بأن هنالك مصيبة تنتظره في الداخل ، وفعلاً لم يخطئ حدسه .فدخلا ليفاجئا بتلك الجثة الممدة على الارض.

ليفهما أن مروان يعرف أكثر من الازم ...الأمر أكبر من كونه اعتراف بسيط لصديق.

إنه أمر قتل بسببه وهذا كان بداية الطريق ليباشر داني بانتقامه وعماد بخوض قضية جديدة أصر على أن يخرج منها منتصراً ...

******

اطمأن داني على اخته وعرف مكان إقامتها وعملها الحالي ولكن دون أن يجعلها تراه قبل الانتقام ، يعرف أنها تحتاجه بشدة لكن رؤيتها له قد تدمر كل ما خطط لذلك قرر أن يتطوع بالأمن و يخوض فترة تجريبية بضع سنوات ليعود بعدها بإسم وهوية جديدة مختلفة كلياً عما كان سابقاً ..

تعلّم داني أن يصبح قوياً ...قادراً على مواجهة مشاكله ..والتصرف بحكمة أكبر ويعود ذلك كله بفضل صديقه عماد الذي مهد له الطريق ليبدأ انتقامه ولكن بحكمة وعقلانية تحت جناح الدولة ، لا يريد أن يقابل جريمة بجريمة .

******

((الفصل الثالث والعشرون))

عودة إلى الحاضر

بعد آخر لقاءٍ بين يارا ورواد لم يعد يساعدها بالتدرب واكتفت هي بدراستها المقررة بصفها وتعمدت كذلك تجاهله بالمعهد ماإن تراه وكان ذلك من حسن حظ لويس الذي تقرب منها بعد هذه الحادثة كثيرا ،وخاصة بعد أن أصبح لديه فضول على استكشاف هذه الفتاة العربية الغريبة التي تخفي حزن وغموض كبيرين بعينيها.

اختص بتدريبها الرقص لتتقنه دون غيرها واهتم بها اثناء التدريب بطريقة جعلت الكل ينادونها بجميلته المدللة.وسط احتراق قلب رواد الواضح،

خرج لويس معها مساء ليلة هادئة ليوصلها إلى شقتها بعد يوم تدريب وكان يثرثر كعادته ..برفقتها يشعر براحة كبيرة وكأنه يعرفها منذ زمن ....إنه عاشق متيم بها لن يستطيع أن يخفي هذا الأمر عن أحد.

عرجا على الحديقة القريبة من المبنى الذي تقطن فيه وجلسا بها سوياً ...كانت السماء صافية ونسيم الربيع يعبث بخصلاتها الكستنائية .الحديقة صغيرة لسكان الحي ولكنها جميلة وهادئة تبعث الراحة بالنفوس وخاصة بتلك الزهور المتموزرعة بالأرجاء والأشجار التي تحتضن المقاعد الخشبية وكأنها روح واحدة .

جلس بجانبها يأبى أن يشيح ببصره عن هذا الجمال الأخاذ الذي سرق قلبه وعقله .. أنيقة بملبسها رغم بساطته ،كلماتها هادئة ذات أفكار جميلة ونفسها نظيفة ..هذه هي الأنثى التي سيمضي عمره معها ولا شك ...كان يريد التغيير وها هوذا التغيير أمامه على طبقٍ من ذهب...جرب كل أصناف النساء ولكنها فريدة من نوعها ..هي زهرة بديعة وسط أصناف الزهور التي اعتاد على رؤيتها ،لا بل هي الآن بنظره زهرة نادرة لن يحظى بمثلها أبدا ، ظل ينظر إليها ويفكر بالمستقبل ..لأول مرة يفكر بأمر المستقبل بهذه الجدية بل ويفكر بتكوين عائلة!

وبالمقابل هي كانت تنظر إلى كل شيء عداه ..تتحاشى نظراته التي أربكتها وزادت من احمرار وجنتيها مما زادها جمالا وتألقا هذا المساء ...،سمح لنفسه ان يمد يده إلى وجهها ويديره تجاهه وهو يهمس :

-انظري إلي يارا ..أتمنى صدقاً أن أرى نفسي من خلال عينيكِ .

رفعت نظرها تجاهه وحاولت أن ترسم ابتسامة لتزيح هذا القلق والتوتر الذي اجتاحها حينها وهي قريبة منه إلى هذه الدرجة، ولكنه أردف بهدوء :

-أتعلمين....أنت مختلفة عن أي فتاة عرفتها .

ثم أخذ نفساً عميقا قبل أن يستطرد : أظن أنني ...

أو لا...لا اظن أنا متأكد من ذلك ، أنا أحبك .

كان يحدثها بصدق ، عاصفة اعترافات تجتاح أجواء تفكيره فتعيثه دماراً ، تناول راحة يدها واحتضنها بين أصابعه ، شعرت بارتعاشة خفيفة وهي تدير بصرها بين كفها التي يقبض عليها وعيناه اللتين تنطقان أكثر من شفاهه.

- رافقت قبلا كثيراً من النساء .. ولكني الآن موقن بأن شعوري ذلك كان ساذجاً ، سطحيا بالنسبة لما أشعر به الآن وأنا معك ،صعب علي أن أتخيل حياتي بدونك ...أفكر بك دائماً وعيناك لاتفارقان مخيلتي ...أخلاقك ...عاداتك ومحافظتك على نفسك، كل تلك الأمور عشقتها فيكِ

كانت نظراتها جامدة لا تنم عن أي تعبير وهذا ماأربكه حينها لأنه لم يفهم أو لم يستطع قرائة وجهها وكان يود أن يقول المزيد ولكنها نهضت من مكانها إحتضنت حقيبتها وهمست له بتوتر:

-أنا أسفة مسيو لويس لا استطيع ، عن إذنك ..

وركضت بسرعة من أمامه .

-يارا توقفي "

فاجئته ردة فعلها تلك ولحق بها عله يفهم سبب هروبها بهذه الطريقة تمسك بساعدها محاولاً تهدئتها لكنها تمتمت له: لا أصلح لك سيدي، لا استطيع) افلتت نفسها منه ودخلت إلى المبنى وصعدت إلى شقتها وضربات قلبها الآن قد اعلنت حالة استنفار.

أغلقت الباب وخطت بهدوء داخل الشقة ، حملت ميمو وجلست على الأريكة وصارت تمسح على شعره ومازالت تلك الكلمة تتردد بعقلها.

إنها ليست أول مرة تسمع بها هذه الكلمة ولكنها لا تعلم ماانتابها الآن ...متوترة خائفة وضائعة ..

بعد رواد لا أحد سيحتل قلبها ...قد حطمه دون رحمة ولا تظن أنها قادرة على الحب بعد الآن ..تعلمت درساً كبيرا جدا وهو ألا تثق بأحد .وبشكل لا إرادي عادت تفكر برواد .. و بأيامها الماضية معه بلحظاتهما الجميلة ، وبالنهاية كيف كانت بالنسبة لكليهما.

كان رواد عائداً للتو الى البناء عندما لمح يارا تركض هرباً من لويس إلى المبنى ،شعر بأنها على غير مايرام

شعر باضطراب صغيرته ولكنه لا يتجرأ على الاقتراب منها الآن ...فهو يعرف النتيجة مسبقاً

تقدم من لويس بوجه متجهم وحادثه :

-إصعد أريد أن أتحدث معك...

تلكئ لويس وهو مضطربٌ كذلك من ردة فعلها وأجابه:

-لن أستطيع ان اعذرني " وهم بالمغادرة لولا أمسكه بطرف سترته وقرب وجهه منه بغضب بالغ .

-ستصعد معي الآن لويس...

وفعلاً انصاع لويس لمطلبه و صعد معه إلى شقته..

أشعل أنوار الصالة بينما كان لويس مايزال واقفا أمامه و بدون أية مقدمات سأله :

-مالذي فعلته او قلته لها ؟

نظر لويس باستهجان إليه عقد حاجبيه وقال بهدوء :

-وكأنك تتدخل فيما لايعنيك رواد ؟

لم يتحمل كلامه ...أعصابه كانت مشدودة جدا لدرجة انه قام من مكانه ممسكاً بلويس من ياقة قميص وصرخ فيه بحدة:

-ابتعد عنها ...إنها لاتناسبك هل فهمتني..ليست كباقي النساء لتتسلى بها كعادتك.

ولكنه ابعد يديه عنه وقال له بهدوء شديد وهو ينظر إلى عينيه باستفزاز:

-تحبها أنت أيضاً أليس كذلك ؟؟ أم هذه هي الفتاة التي كنت تحبها مذ كنت ببلدك ولهذا جلبتها إلى هنا لتبقى أمامك طوال الوقت ؟.

استدار رواد وضرب الحائط بكف يده صائحاً:

-إسمعني لويس ...علاقتي معك كانت سابقا أكثر من مجرد زميل ، أنت تعرف ذلك ، و الآن صدقاً مستعد أن أحرقك،على استعداد تام أن أقتلع ضلوعك إن فكرت أن تسلبها مني هل فهمت ...لا تستغل الموقف بهذه القذارة معي .

كان لويس الآن يدير ظهره ويتأمل النافذة أمامه واضعا يده بجيب بنطاله، تنهد قائلا بأسى :

-أنا لا أستغل شيئاً ولا أريد سرقتها منك ...ببساطة أحببتها...لا الومك على مشاعرك تلك فهذه الفتاة أرق والطف من شاهدتها عيناي ...حاولت مرارا أن اتخلص من حبها لكن عبثا .

إستدار اليه ليواجهه ثم أردف بثبات :

هي ستختار ...دعها تقرر مع من ستكون او دع المسألة للأيام .

ولكن رواد هبّ واقفاً وقال بحنقٍ وهو يدفعه من صدره :

-إنها لي أنا ...لا سبيل للمفاوضة بهذا الأمر ، هل فهمت؟ منذ سنواتٍ طويلة وهي لي، ملكي...حبيبتي أنا وستبقى كذلك .

تعاظم الغضب في صدر لويس من كلمات رواد ولم يترجمه سوى بلكمةٍ قويةٍ أهداها لوجهه، ارتد على إثرها رواد ليسقط على الأريكة وصرخ به لن أتخلى عن حبي الحقيقي بعد ان عثرت عليه أخيراً أيها الوغد.

واشتعل الشجار بينهما عنيفاً جعل كل من في العمارة يهرعون على صوتيهما....

ضربات قويةٍ ضربها الجيران على باب رواد و يارا تبكي وتناديه وتستنجد بالجيران حتى ابعدها جارهم الفرنسي الذي لكم رواد ذات مرة، حطم الباب ليخلصاهما ، كانت الدماء تغرق جسديهما والصالة قد استحالت خراباً صرخت

يارا بصوتٍ عالٍ بأن يتوقفا حتى انصاعا لمطلبها بإنهاك.

صرخ الجار بأنه سيستدعي الشرطة وسيقف بجانب لويس لكن هذا الأخير منعه وطلب من الجميع الخروج لأنها مسألة عائلية .

حدقت يارا فيهما بقهرٍ وألم ثم صاحت : لست ملكاً لأحد، لست لعبة لتتقاذفاني أيها السيدان، وغادرت وسط نظراتهما الكسيرة ،

****

-ميرا أنا ذاهب لمقابلة صديقي خارجاً لن أتأخر .

قالها داني وهو يرتدي قميصه فعقدت حاجبيها استنكاراً

-ولكن اليوم عطلتك ...إبقى معي وسام أشعر بالملل

احتضن كفها بحنان وأجابها : لن أتأخر حبيبتي اتفقنا "وتركها مغادراً ليتجه إلى المقهى الذي واعد به عماد ...

كان الأخير جالس كعادته يدخن شارداً وكأنه يفكر باختراع المصباح ...لولا ان أديسون قد سبقه بذلك !!!

-أكلمك منذ ساعة ياخي !

رفع نظره تجاه صديقه الذي ابعد الكرسي ليجلس عليه .

-اهلا داني...،هاه أخبرني ماالجديد.

-أولا اطلب لي شيئاً أشربه أيها البخيل .

نظر إليه ببرود ثم طلب له كأس شاي وقال بعدها :

-تفضل الآن وإلا أفرغت الكأس فوق دماغك .

أخرج رواد من حقيبته ملفاً ووضعه أمام عماد ثم قال بهدوء:

-حسام كمال...يتردد باستمرار إلى الشركة وما إن يراه عاصم حتى ينقلب حاله تمامًا ويدخله مباشرة حتى ولو كان عنده اجتماع مهم...إجمع معلومات عنه بطريقتك لأني لم أعرف عنه شيئاً سوى أنه وكيل شركة ضخمة لمساحيق التجميل ولكني متأكد بأن علاقتهم تتعدى هذا الموضوع لشيء أكبر وأخطر ، صورته موجودة عندك بهذا الملف.

ويوجد رجل آخر أشك فيه ..اسمه محمود أعرف عنه معلومات بسيطة من خلال سجله بالشركة ..سجين سابق .

وأخيرا.هنالك مبالغ ضخمة استودعت بحسابه مؤخراً .

هنا تحفزت كل خلايا عماد ليستفهم أكثر.

-لديه تجارة من نوع أخر يقوم بها ...أكثر قذارة وغموضاً من التهريب، لقد بدأ عاصم يتكلم معي عن نشاطاته الخفية ولكنه لم يتعمق كثيراً ...بما أني زوج ابنته فبالتالي انا الشريك والوريث لكل تلك الاعمال أمهلني بعضا من الوقت لأعرف أكثر من ذلك.

-حسناً ولكن تريث لا تتلهف وتستجوبه أكثر من اللازم وإلا شك بأمرك، إبقى على هذه الوتيرة بالعمل وسأبحث أنا عن هذين الاثنين .

- وهو كذلك .

****

((الفصل الرابع والعشرون))

كان رواد ما يزال مستلقياً على السرير دون أن ينام حتى بدأت اولى خيوط الشمس تتسلل من خلال النافذة وهو ممسك بيده تلك القلادة يتأملها...كانت على شكل فتاة ترقص الباليه صممها خصيصاً ليارا وأهداها إليها في عيد ميلادها العاشر ومنذ ذلك الحين وهي لاتخلعها ...

حتى سقطت من حول رقبتها في ذلك اليوم المشؤوم ولكنه لم يستطع منع نفسه من أخذها عندما عاد ليلًا إلى المنزل . فقد كانت بوقتها الذكرى الوحيدة المتبقية من حبيبته حتى ولو كانت خائنة !

نهض رواد من مكانه وقرر أن يأخذ حماماً ساخناً عله يطرد آثار الإرهاق البادية على وجهه.

لم تفارق عقله وقلبه كل تلك السنوات وكان موقن أنها له بالنهاية ، خاصة بعد أن كان يراقبها من بعيد ويطمأن عليها من خلال خالد مدير المعهد الذي كانت تدرس فيه الباليه للصغيرات المبتدئات .. كانت أخبارها تصله يوميا ولكن الآن وهي معه وأمامه مباشرة شعوره أنه سيفقدها يتعاظم بقلبه.

بعد أن أنهى حمامه دخل إلى المطبخ ليتناول شيئاً فقد شعر بجوع شديد وخاصة بعد تلك الليلة الطويلة التي قضاها ساهراً بعد مشاجرته مع لويس...ومان وضع أول لقمة بفمه حتى سمع صرخة عالية انبعثت من شقتها ...انتفض جسده على اثرها وركض مباشرة إليها ، كاد أن يطرق الباب لولا خرجت مسرعة واصتدمت به بشعر مبعثر وثوب منامتها وهي تمسك مكنسة بيدها، نظر لها بادئ اللامر بتفاجئ ،أبعدها قليلا ليطمأن على أنها بخير ثم ضحك بقوة على شكلها ممسكا قلبه .

فهتفت حانقة :

-ايها المعتوه ظهرت أمامي لتضحك بهذا الشكل!!.

تمالك نفسه اخيراً وقال بصعوبة :

-لا انتظري انا اسف ... ولكن ...انظري إلى شكلك ماالامر اخفتني !!؟ " وعاود الضحك من جديد.

-كف عن الاستهزاء بي الآن هنالك صرصار كبير

بالشقة ..

ابتسم لها وسحب المكنسة من يدها ودخل قائلًا

سأتولى أمره عزيزتي ..ولكن ذلك البليد ميمو ماعمله إن لم يمسك صرصارا ؟!.

ومإن خطا إلى الداخل نظر حوله فاتحاً فمه ببلاهة عندما رآى ذلك الدمار الذي سببته تلك الفتاة بالشقة

-بحق الجحيم ماالذي جرى هنا أيتها المجنونة!!"

-هل رأيته ....قتلته....رواد؟؟

طوال فترة مكوثه بمنزلها وهي أمام الباب تسأله دون أن تصمت ...وهو يجيب ببساطة(لا)ويتأمل شقتها...على الرغم من أنه من جهز هذه الشقة ويعرف محتوياتها إلا أن وجودها ولمساتها بها هي ما سيطرت على تفكيره ..نسي أمر الصرصار تماماً وهو بصالتها وعلى الطاولة أمامه تموضع عطرها المفضل الذي مازالت تستخدمه منذ سنوات...كانت زجاجة عطر قال لها ذات يوم ((أحببتها)) ومن وقتها أبت ان تغير نوعية العطر ..

امسك زجاجة العطر وجلس على الاريكة يستنشقه وقد سرح في الايام الماضية، عادت به ذاكرته لأيام جميلة جمعتهما سوياً .. ولكن صراخها من جديد هذه المرة أفزعه وانتشله من عالمه الوردي.

-أيها الغبي....أنت هنا تعبث بأغراضي بينما ذلك الصرصار يسرح ويمرح بمنزلي...هيا اخرج .

سحبت زجاجة العطر من يده وقد بلغ غضبها أشده.

ولكنه شد على قبضتها وأبى أن يفلت الزجاجة..

-لاتتغيرين أبدا يارا ...كل تلك السنوات ومازلتي تستخدمينه!؟

-نعم هل لديك مانع ؟

رن هاتفه فأخرجه من جيب بنطاله ليجيب...متجاهلاً نظراتها المتعجبة اليه و هو ما يزال يقبض على الزجاجة .

-أهلا مسيو فرانسوا "

-حسناً إذن سنأتي فورًا إلى اللقاء.

أغلق الخط وقال لها : لم تتناولي طعام الإفطار أليس كذلك ؟؟غيري ملابسك وانا سأنتظرك خارجًا "

عقدت يديها أمام صدرها و هتفت به:

-وهل ستظن اني سأقبل دعوتك تلك ..

كز على اسنانه غيظا ثم أجابها :

-كفي عن تذمرك ..يحتاجوننا في المعهد سنأكل أي شيء في طريقنا فأنا لم آكل بعد بسبب صراخك الهستيري " .

ولم يضف كلمه أخرى أخذ الزجاجة معه وغادر إلى شقته

-ماهذا المعتوه الذي تورطت معه الآن! إلى أين أخذت عطري أيها المغفل!!.

قالتها له بصوت عال ولكنه تجاهلها كلياً. ف نظرت حولها بتوجس خوفًا من أن يظهر لها ذلك الكائن المقزز مجددا ، ودخلت غرفتها وارتدت فستانًا صيفيا رقيقا عقدت شعرها بطريقة بسيطة وقالت لميمو: .أيها القط المخبول تولى أنت أمره ،ومإن خرجت من باب شقتها حتى رأته أمامها مباشرة يقف بالإنتظار " جميلة كالعادة "

ضيقت عينيها عليه لثوان ثم قالت :

-مامشكلتك اليوم معي؟

اقترب منها بهدوء ليهمس "مشكلتي ...انك مشكلتي

شعوري نحوك يتخطى صوتي...يتخطى حنجرتي "

نظرت إلى عينيه واعتصر قلبها فجأة ...تذكرت ذلك اتفاق بينهما على أن يسمعها كل يوم مقطع قصيدة لنزار قباني ...والآن تلك الكلمات البسيطة فجرت كل تلك المشاعر التي حاولت دفنها بأعماقها منذ زمن..

ثم قال وهو يبتسم بعد أن التمس وقع كلماته على قلب محبوبته : لوح الشوكولاه سأجلبه إليك لاحقا اتفقنا "

اختلج قلبها بين ضلوعها وهو يحاصرها بنظراته تلك فهربت من أمامه مباشرة لتخفي ارتباكها ونزلت تتقافز على السلم ..أما هو فتمتم لنفسه قبل أن يتبعها : مالذي تفعلينه بي ايتها المجنونة "

تناوالا الكروسان و كانت تسير بجانبه بصمت حتى وصلا إلى المعهد وكان بضع راقصين لا يتجاوز عددهم الثلاثين ممن يدرسون في المعهد بينهم لويس .اجتعوا هنالك لسبب لم تعرفه حتى الان .كان الجميع يحدق برواد ولويس فلكمات العراك باديةٌ على وجهيهما .

وقف فرانسوا يخاطبهما قائلاًة: هل انتسبتما لنادي الكرتيه مؤخراً؟، قهقه اعضاء الفرقة بما بينهم يارا ثم اردف فراسوا كلماته البسيطة عن مجهود الفرفة ومهاراتهم الفائقة وإعجابه الشديد بهم ثم اطلق نبأه الهام بهدوء:

سنقدم عرضاً بدار الاوبرا يا رفاق " صدمة وفرحة علت الوجوه ثم تعالت صيحاتهم فرحًا بهذا الخبر الجميل الذي انتَظروه طويلاً..

أما يارا فابتسمت بسعادة ونظرت للويس الذي أومئ لها وكأنه يذكرها بتلك الكلمة التي قالها عندما حضرا ذلك العرض (سأراك العام المقبل وسترقصين على ذلك المسرح فأول الغيث قطرة)

احتضن رواد كفها بيديه وهمس بجانبها : ستكونين نجمة هذا العرض أعدك بهذا .

للحظة شعرت بالتشتت بينهما ...هذان الاثنان بدآ يتنافسان فعليا بدون خجل وعلى مرآى من الجميع عليها ... لاحظت نظراتهما النارية لبعضهما ،أفلتت يدها من قبضة رواد و تناستهما وانشغلت بحديث فرانسوا الذي أردف يقول :

سننتقي عرضًا كلاسيكيا بداية وستتدربون عليه طبعًا كل منكم يحب أن يصفي طابعه الخاص وروحه بهذا العرض فهو سيكون نقطة مهمة في مسيرتكم الفنية

المدربون الرئيسيون وطريقة توزيع الأدوار ناقشتها سابقاً معهم وهي مدونة على الورقة أمامكم .

أتمنى لكم التوفيق.

****

دخلت سهير كعادتها تنظر حولها باشمئزاز إلى اثاث المنزل ثم قالت لميرا : - أريد فقط أن أعرف كيف استطعت التأقلم بهذا المكان الرخيص !

تنهدت ميرا مجيبةً بهدوء :

-امي قلت لك مئة مرة أن منزلي يعجبني ...وبدل أن تسأليني عن أوضاعي وصحتي في كل مرة تكررين نفس الكلام ألا تملين أبدا ؟

-أن قلقة عليكِ يابلهاء ....إن منزلك هذا كله أصغر من الطابق الأرضي لنا .. على آخر الزمن إبنة عاصم جلال بك تستوطن مكانا كهذا ! ياللقرف سأقول لوالدك أن يشتري لكما منزلاً مناسباً.

قالتها وتقدمت تجلس على الأريكة ومازالت نظراتها تلك تثير غضب ميرا.

-أمي .....سبق وتحدثنا بهذا الموضع ، سأعد فنجان قهوة عن إذنك "

تركت أمها المتذمرة ودخلت إلى المطبخ (.في كل زيارة نفس الكلام والانتقاد بكل شيء....وكأنها تأتي لتغضبني فقط)أعدت القهوة وجلست مع أمها تجاهد قدر المستطاع أن تسيطر على انفعالها حتى دخل أخيرًا داني ..

امتقع وجهه ولكنه جاهد لرسم ابتسامة على محياه وهو يلقي التحية على سهير وكعادتها البغيضة لا بد من إلقاء بضع كلمات كالسم تجاهه.ولكنه تجاهلها وذهب لتغيير ملابسه فلحقت به ميرا .

-وسام أنا اسفة حقًا على كلام أمي ..

ولكنه ربت على كتفها قائلا:لا عليك حبيبتي..لا تعتذري عن شيء لقد اعتدت عليها ...كما أن وجهك متلون بالوان الطيف السبعة كذلك يبدو أن حفلتها تجاهك إنتهت للتو حتى استلمتني.

ضحكت على كلامه ، ثم زفرت بقوة وعادت لوالدتها مجدداً وبعد مدة قصيرة قررت سهير الانصراف طبعًا بعد ان انتقدت كل شيء تقريباً من حولها..

كانت بكل مرة تخجل من تصرف والدتها ولكنها هذه المرة تألمت أكثر ...جلست شاردة في الصالة بينما هو يتابع التلفاز ..لاحظ حزنها وشرودها ..اطفأه واقترب ليجلس أمامها وابتسم لتهدئتها.

-مالذي يزعجك حبيبيتي" لتجيبه وهي تتحاشى النظر اليه

-اتعلم وسام ... أنا لا اذكر مرة واحدة قبلتني فيها أمي ككل الفتيات..أوسألت عني...أو اطمأنت على مايزعجني ،كنت طوال عمري بعيدة عنها وعن أبي..عشت أغلب سنواتي بمدارس داخلية ..وعندما أعود للمنزل لا يستقبلني بلهفة سوى رواد ..

أنت لا تعرفه إنه طيب جدًا حنون وعطوف .

مسحت دمعتها ولكنه لم يستطع للحظة أن يواسيها...يريد أن يعرف أكثر عن مدى معلوماتها عن عائلته فسألها :

لما تركككم ماهي تلك المشكلة التي أبعدته عنكم!

رفعت نظرها تجاهه ثم قالت:

ذنبه الوحيد أنه أحب ابنة خادمتنا ولكنهما أبعدوها عنه.

-آه حقا ...وهل ..تزوجها مالذي جرى كيف أبعدوهما ؟

ادعى الغباء معها وهو بداخله يحترق فعليًا ...كلما تذكر ماجرى لاخته كلما تصاعد غضبه أكثر ،واكنه استمع لما ستقوله .

-في يومها كنت عائدة من المدرسة لتقضية عطلة نهاية الإسبوع ...لمحته وهو يخرج من أمامي ولم يكلمني ،كان غاضبا جداً وخلفه يبتسم أبي بطريقة مخيفة ... ليس من عادة رواد ألا يستقبلني ..ولكنه تجاهلني ومضى...كان حاملاً حقيبة كبيرة.

حملها ورحل وسط ذهولي..ولم أعد أراه من يومها .

عندما سألتهم مالذي جرى ..قالوا ببساطة..غبي أرعن كان سيلوث اسم عائلتنا بزواجه من الهمج.

اسند داني رأسه على الأريكة كاتماً غليان قلبه وهي تلقي كلماتها المختلطة بالدموع...تبكي اخاها وهو يختنق لأجل اخته ،والغريب بكل هذا الموضوع أنها الوحيدة التي لا تعرف الكثير عن ذلك الأمر وعانت منه .أردفت بعدها...

من يومها لم يكلمني...عرفنا أنه سافر ليستكمل دراسة الباليه وتعليمه هناك ...ولم اعد أعرف عنه شيئا ...محوه من حياتهم وحرقوني معهم ..

كل منهم عاش حياته الا انا ...بقيت بهذا الجحيم الذي...الذي ...

ولكنه قاطعها... عندما عادت للبكاء بقوة..

ضمها إلى صدره مخفياً دمعه الذي ترقرق بعينيه ..

(سامحيني) همس لها باشفاق،

نظرت إليه بعدم فهم ولكنه بلحظة ضعف سحبها إلى المكتب .. فتح خزنته وأخرج منها ملفاً ووضعه أمامها على الطاولة ، ترددت لحظة تنظر فيها إليه قبل أن تفتح الملف ، قرأت صفحات ما بداخله وشهقت .

****

((الفصل الخامس والعشرون))

شهقت بقوة تستند بكفها على مسند المقعد الجلدي وبيدها المرتعشة الأخرى تحاول جاهدة عدم إسقاط تلك الصور 'وسام ماهذا ! ...من أين تعرفه ....إنك".تمتمت بتلعثم كلمات تائهة مشتتة وهي تحدق بهم وتقلبهم فاقترب منها بهدوء وجلس قبالتها على الأرض رفع وجهها تجاهه وحدثها بصوت خفيض

-أعرف رواد وأعلم مكانه حبيبتي ، وقريباً جدا سآخذك إليه..لكن اصبري قليلا "هائمة ببحور أفكار ودهشة تحدق فيه تارة ، وبالصور تارة أخرى حتى استجمعت كلمات لتسأله :

-ولكن كيف ...أنا نفسي لا أعرف مكانه بالضبط..آخر مرة أخيرونا أنه غادر باريس و اختفى "

فأكمل هو عنها ما كانت تتوق لسماعه : كان هنا بالمدينة ، شارك باختبار عرض للباليه وعاد إلى باريس منذ سنة تقريبا ليستكمل تدريبه لطلابه ، وبالمناسبة:

صمت قليلاً يهدئ من ثقل أنفاسه كلما أتى على ذكرها ثم استطرد : تلك الخادمة التي تتكلمين عنها ..إنها هناك كذلك، لقد التحقت بذلك المعهد ايضا "

بين سعادة تجتاح كيانها واستغراب يسيطر على تلك المعلومات أجابته : حقا !!! ...يالهي أمي سيجن جنونها إن علمت بتواجدها معه !!

هنا انتفض أمامها قائلاً بحدة:

-لا ميرا ...اسمعيني جيداً. ،لا ينبغي أن تخبري أحدًا عن مكانهما وإلاسيهربان ثانية ولن نراهما ... تريثي قليلا وعندما يحين الوقت ستذهبين لملاقاته ...سآخذك إلى هناك اتفقنا ،

إبتسمت له ابتسامة عريضة وهزت رأسها موافقة ثم نهصت من فورها وقبلته بفرح شديد، فهاهي أخيرا ستلتقي أخاها الذي حرمت منه لسنوات طويلة ، إبتعدت عنه قليلا ثم عادت لسؤاله :

-لكن كيف عرفت مكانه ولماذا بحثت عنه.؟

نلمس وجهها بيديه وقال لها بحنان :

-طبعا لأني لا أريد أن أرى دموع حبيبتي كل مساء ، وموضوع بحثي عنه طويل جدا لا داع لأن تعرفيه لأني تعبت كثيراً لحين وجدته ...المهم فقط أني استهديت مكانه،عديني الآن أنك لن تخبري أحدا. .

-طبعا أعدك...

بعد برهة نظر إلى ساعة يده قائلا لها : بعد قليل سيحضر عماد "

-ولكن الوقت متأخر ...هل هنالك من شيء؟

-لا زيارة عادية ...بإمكانك تجهيز الشاي والنوم بعدها إن أحببت "

-حسنا كما تشاء .

قالتها وطبعت قبلة على خده قبل أن تركض إلى المطبخ تغني طربا ، وهي تتخيل كيف ستلقى أخاها بعد هذه السنوات ...صار لها حلماً أن تراه وها هوذا سيتحقق أخيراً..هنالك الكثير لتقوله له ...ستلومه ..ستضربه على تركه لها وابتعاده ، ولكنه ستحتضنه بقوة وستبكي على صدره ...كل تلك الأمور فكرت بها وهي تعد الشاي والضيافة وتضعهم بمكتب داني وتتجه إلى غرفتها حينما قرع الجرس .

اندست تحت الغطاء ولكنها مازالت تفكر ... ستلقاه قريباً ،وحينها ستكون بين أكثر اثنين تحبهما في الوجود...وسام و رواد.

كانت الساعة الآن تشير إلى الثانية عشرة ليلاً عندما دلف عماد إلى الشقة وجلس معه بغرفة المكتب مغلقاً الباب خلفه بعد أن اطمأن من أنها بغرفتها...

-والآن مالاخبار سأله داني بلهفة وجلس مواجها له حتى بدأ عماد بالقول:

-اهدأ يا أخي لألتقط أنفاسي إن سلم عمارتكم أشغال شاقة

تذمر داني : لا تلعب بأعصابي أيها المخبول هيا تكلم كنت متلهفا لمعلوماتك .

-حسنا حسناً.

ارتشف من كوب الشاي أمامه ثم بدأ يقول :

-بالنسبة للمدعو محمود مسعود لا شيء مهم ...سجن منذ عشر سنوات تقريبًا بتهمة محاولة القتل الغير العمد طبعاً ولكن من يومها لا يوجد له أي نشاط ممنوع

.. حياته وعلاقاته ومعارفه عادية جداً ..لا يوجد ما نجعلنا نشك فيه " فقاطعه داني مستنكراً وهو يلوح بيده: دخوله السجن وتعامله الآن مع عاصم وتقول لي لا نشك فيه !!!

-أنا معك بهذا الموضوع ولكني منذ ان عطيني اسمه وضعته تحت المراقبة ...لم يفعل شيئا إلى الآن..طبعا أنا لم أقل لك سأستبعده ولكن احتمالية تورطه مجددا ضعيفة وخاصة أنه متزوج الآن ولديه طفل صغير ، هو رجل بسيط .وكأنه قد بدأ حياة جديدة نظيفة أما بالنسبة لعمله مع عاصم ..كان يعمل معه منذ زمن طويل وبشكل تلقائي بعد خروجه من السجن عاد إليه ولربما عاصم من ورطه بهذا الموضوع كما ورط أباك سابقا بتهمة القتل وأعطاه التعويض المناسب .ستكون تلك النظرية إن صحت لمصلحتنا .

-جيد جداً وبالنسبة لحسام " هنا تجهم وجه عماد وقال بجدية كبيرة : حسام هو المشكلة الفعلية ...فإن لم تعرف عدوك هنا الكارثة..

-لم افهم ؟

تسائل ليزفر عماد بقوة قبل أن يتابع : معه الجنسية الأميركية .. طبعا أخذها من والدته ، دخل البلاد منذ بضع سنوات فقط ، ظاهرياً هو وكيل شركة لمساحيق التجميل وتعامله مع عاصم طبيعي للغاية وخاصة أن عاصم يمتلك شركة للاستيراد والتصدير .. ومتجرًا ضخما للمستلزمات النسائية .

-ولكني متأكد أن مابينهما ليس هذه الشراكة فقط هنالك شيء أكبر " قالها داني بحنق ليؤيده عماد بدوره ويتابع:أنا معك وموقن كذلك من تورطه بمسألة كبيرة وهذه الوكالة ماهي إلا واجهة لموضوع أكبر ولكنني إلى الآن أفتقر إلى الدليل الملموس ... . وهنا عملك ياصديقي.. أنت اقرب شخص لعاصم وعليك تقع مسؤولية أن تعطيني هذا الدليل لأباشر العمل فعلياً ضده

توقف قليلًا قبل أن يتابع : بالمناسبة .. إنه يتردد على منزل امرأة إسمها نوال حمدان. تعمل بائعة بالمتجر صباحا ، هل تعرفها.

وسلمه صورة لنوال فضيق داني عينيه مفكرا ثم قال له: لا أعرفها

-على كل حال وضعتها هي الأخرى تحت المراقبة علها تقودنا إلى شيء، بالمناسبة كيف هو الحال مع زوجتك ..بإمكانك الحصول منها على شيء أو معلومة تفيدنا .

هنا شعر داني بغصة كبيرة...شعر بأنه خائن نذل وخاصة بعد أن ذّكره عماد بسبب زواجه الحقيقي منها فقال له بعصبية لم تخفى على عماد :

-انها لاتعرف شيئاً البتة...لا تقحمها في الموضوع بعد الآن ....إشرب الشاي سيبرد .

أدار رأسه الناحية الأخرى بغضب مكتوم فابتسم عماد بمكر وقال وهو يرتشف الشاي: يبدو أن الأسد وقع بحب النعجة "

-عمااااد!!!!.

قهقه عماد عالياً ثم أردف باستسلام: .حسنًا حسنا أنا أسف سيد عاشق"

نهض داني من مكانه واستند بيديه على المكتب محدقاً فيه بحدة : نعم صديقي أحببتها...ولا أريدها أن تتأذى بأي شكل من الأشكال ، تخيل أن يعيش ملاك وسط الشياطين كيف سيكون الوضع حينها، لا أريدها أن تدفع ثمن ما فعله عاصم لا أريدها أن تغرق في هذه الدوامة القذرة التي غرقت بها أنا مفهوم.

صمت قليلًا يحدق به. قبل ان يكمل : بالمناسبة لقد أطلعتها اليوم على مكان رواد.

هنا هب عماد صارخاً فيه : أأنت مجنون.. بسبب حماقتك تلك ستدمر خططنا ...

وضع يده على فم عماد ليغلقه قائلاً :

-اخفض صوتك أيها الغبي ستستيقظ ، لقد وعدتني أنها لن تخبر أحدًا لا تقلق ...أنا أعرفها "

أبعده بيده ثم عاود الحديث لكن بصوت خفيض هذه المرة : اه حقا تعرفها ....منذ متى !!!!..منذ بضعة اشهر فقط من وقت زواجك بها أيها الأبله .

هنا طرقات على الباب جعلتهما ينتفضان فجأة :

نظر له بحنق متوعداً إياه وذهب ليفتح الباب ويخرج إليها.

-مالامر وسام ؟؟ لما تصرخان .

هنا دفعها داني لتتنحى من وراء الباب وقال بغيظ :

-بربك ميرا ! أهذا رداء تنزلين فيه إفرضي أنه رآك من وراء الباب ؟

ارتبكت قليلاً وحاولت لملمة ردائها القصير ثم قالت :

- لقد خلتكما تتشاجران فأصواتكما كانت عالية فهرعت إليك من فوري أنا أسفة .

ضحك لها وقرصها من أنفها قائلاً :

-كنا نلعب الورق فانفعلنا قليلا آسف إن أزعجتك ..

فخرج صوت عماد من خلف الباب قائلاً :

آسف سيدتي ولكن زوجك يغش في اللعب ..إعذرينا على ارتفاع صوتينا.

حدقت ميرا بوسام مطولا ثم ابتسمت له وقالت:

-حسناسأذهب الآن ..أحببت ان اطمأن عليك ، تصبح على خير ، هنا أمسكها داني من معصمها وشدها اليه وهمس بمكر : لا تنامي....يبدو اني سأضطر إلى طرده حالاً .

اصطبغ وجهها بحمرة الخجل ثم افلتت نفسها من ذراعيه وهربت ،فاغلق الباب خلفه ونظر لعماد بغيظ قبل أن يضحكا بقوة على هذا الموقف الذي حصل للتو ، لحظات انقضت استجمع فيها عماد نفسه وقال بجدية:

اسمع داني ..بغض النظر على أنك تورطت بحبك لها ولكن أرجوك ألا تتهور بهذا الموضوع...مهما كانت علاقتها بأهلها سيئة ..ولكن واجبها تجاههما إن عرفت أن شيئاً خطرا سيلحق بهما أن تخبرهما بذلك. .حتى لو كانت تعشقك بجنون...قلبها لن يطاوعها على أذيتهما هل فهمت .

-أعرف هذا ...ولكن في كل مرة تحدثني فيها عن رواد يتمزق قلبي على حالها .. أحببت أن أعطيها أملا بأنها ستراه، وأيضا أنا أريدها أن تسافر عندما يحين وقت الانتقام من عاصم كي لا تشهد ما سيحدث "

ربت عماد على كتف صديقه وقال يحدثه : في حينها يا صديقي...لن أقحمك في الموضوع ..ستكون قضيته بأيدي الشرطة فقط ...أنت لا علاقة لك

((الفصل السادس والعشرون))

كان يوما شاقًا جداً ليارا ...فهاهي تتدرب مع فرقتها لتقديم عرض بدار الاوبرا، الأمر الذي لطالما حلمت به وطمحت للوصول إليه....

كان المدرب الرئيسي لهذا العرض رجل مثالي لأبعد الحدود لأنه من خلال عرض واحد فقط قدموه أمامه استطاع تمييز نقطة ضعفهم وقوتهم ،لذلك أعطى لكل راقص مكانه المناسب وفقرته التي تناسب مستواه بحيث يكملون بعضهم بعضاً .

والمخرج الفني كذلك كان متعاون لأبعد الحدود معهم..وها هي الآن تباشر التدريبات مع لويس وطلابه ،

كانت تشعر برهبة من هذا المكان .. حسدت تلك الراقصة التي رأتها منذ بضعة أشهر هنا، والآن هي تقف على نفس المسرح وبنفس الشموخ .

إنتهت تدريباتهم لهذا اليوم ،كانت تقف لتلتقط أنفاسها بعد أن أدت عرضها المنفرد ، بعض الراقصين يجلس على زاوية المسرح وآخرون متموزعون على المقاعد، منهم من يقوم بحركات منفردة ومنهم من استسلم فارتمى على الأرض بإنهاك ، أطفأت الموسيقى المصاحبة لرقصتها ، فاقترب لويس منها متجاهلاً رواد الذي يقف بمسافة قريبة نسبياً يتحدث مع أحد افراد الفرقة، مد يده متلمساً ساعدها ثم ابتسم قائلا بلطف : كنت مذهلةً اليوم

-اشكرك مسيو .

- ما رأيك عزيزتي أن نتنزه قليلاً ، وأدعوك لتناول طعام العشاء الليلة، فهنالك ما أود أن أحادثك به .

كادت أن تجيب لولا اقتراب رواد المفاجئ منهما ،

احتقن وجهه عندما لمحه يقف معها بهذا الشكل وترك ذلك الراقص الذي كان يتكلم معه واقتحم دائرتهما ليقول له بحنق بعد أن أسقط يده من ساعد يارا عنوة :

-الوقت متأخر الآن إن لاحظت لهذه الدعوة ، كما أنها تعبة اليوم ألا ترى الانهاك على وجهها!!

التفتت إليه بعد أن تجاوز حدوده فعلا :

-رواد !! مابك إنه يحدثني لا تتدخل .

فزجرها رواد بعنف : أصمتي أنت ، والتفت إلى غريمه ليستكمل هجومه فتجهم وجه لويس وقال مجاوباً:

-ومن طلب مشورتك أيها الحشري أكنت تتنصت علينا ؟...اقترب الاثنان من بعضهما وعينيهما تقدحان شررًا

فيبدو أنهما سيبدآن معركة جديدة من معاركهما التي لا تنتهي ،فما كان من يارا إلا أن تنسل من أمامهما بهدوء وتركض خارجة هرباً منهما كالعادة .

نظر رواد ليراها قد اختفت من أمامه فأطلق شتيمة بذيئة للويس وتركه مغادراً ، وذلك الآخر بدوره قال بحنق بالغ وهو يغلق أزرار معطفه :

-دائما ماينسف مخططاتي ذلك الغبي الأحمق، أقسم اني لن ادعك تظفر بها أيها العربي .سحقًا لك ولحبك الأبله"

اقتربت ماريا تلحق بلويس وأمسكت ساعده لتهمس له بمكر :قلت لك مراراً وسأقولها مجددا ..العرب همج لا تورط نفسك بالمتاعب معهم.

افلت نفسه منها وكز على أسنانه بغيظ : ابتعدي عني لا ينقصني إلا كلامك الاستفزاري...

ضحكت بميوعة على غضبه وأردفت وهي تجتازه..

إذذن احترق بنار حبك الغبي الذي سيودي بك إلى الجحيم " واحتضنت كف أحد الراقصين الذين باتت تواعدهم مؤخرا وخرجت معه ،فتسمر لويس بمكانه على كلامها وود لو يدق عنقها لشده غيظه ولكنه خرج مستقلاً سيارته وذهب إلى منزله خائب الأمل.

بصعوبة بالغة استطاع رواد أن يلحق بكتلة النار الغاضبة فقد كانت تسير بسرعة لتصل إلى الحافلة فاقترب منها صائحاً وهو يلهث بقوة :

-في كل مرة تهربين هكذا !!

استدارت إليه وصرخت :وانتما في كل مرة تتشاجران لتفضحاني أمام الجميع لقد سأمت منكما صدقاً، الجميع بات يتعالك قصتي معكما.

وأكملت مسيرها ليتابع هو سيره ورائها قائلاً :

-أتشاجر معه لأنك غبية دماغك فارغ...أقول لك الا تجعلينه يتمادى بتصرفاته لأنك بلطفك هذا تعطيه أملاً وانت لا تستمعين الي !

استدارت اليه فجأة وكان لا يفصل بينهما سوى بضع سنتيمترات و ضربته على صدره بقوة وصاحت:

-وما شأنك أيها الحشري بحياتي، ألا يحق لي التصرف بحرية كيفما اشاء....لا يحق لي ان اجد الحب بعد كل تلك السنوات اللعينة التي قضيتها، استظل كاللعنة في حياتي؟

لفحت انفاسه وجهها فاضطربت قليلاً لكنه اعتصر ساعديها بقوة بقبضته صائحاً وقد تصاعد غضبه من كلامها الاستفزازي: طبعاً لا يحق لك التصرف كما تشائين هل فهمت ..لايحق لك أن تحبيه ...لا يحق لك حتى التفكير برجلٍ آخر .

وقال اخر كلمة أشبه بالهمس فقالت له بارتباك بعد أن انعدمت المسافة بينهما تقريبا :

-ماذا تريد مني؟

أوتسألين !! صمت قليلاً بعدها ،تائه بكلمات يرغب بشدة أن يطلق لها العنان واستطاع أخيراً لنطق :

أحبك أيتها المجنونة..أنت ملكي،، ملك رواد فقط، كنت ولا تزالين لي، جوهرةً ثمينة لن أفرط بها ، لن أسمح لذلك الفرنسي أن يسلبك مني ببساطة .

انعقد لسانها وهي تنظر إلى عينيه المحتقنتان الصادقتان ، ارتجفت شفتاها علها تنطق وتنهره على كلامه ، أرادت أن تضربه بعنف و للحظة أخرى ودت لو ترتمي بين ذراعيه لتقول له انا أيضا أحبك ..أحبك رغم كل شيء فعلته بي ، ورغم ذلك الآذى الذي أصابني بسببك ، أحبك رغم النار التي أشعلتها بصدري واحبك رغم ظلمك لي .

ولكنها اكتفت بالبكاء...صارت تردد لنفسها..غبية،دائما تبكين وتظهرين له ضعفك ، انسابت يديه بتلقائية ليحتضن وجهها ويقول بهدوء:

-ألم يكفك ذلك العذاب الذي أذقتني إياه كل تلك السنوات...ألم يصفح قلبك عني ؟ يارا في كل لحظة وكل يوم منذ ذلك الحادث وأنا أفكر بك...ازداد حبي لك وألمي لغيابك ..أعرف كما تعرفين أنك تحبينني ، أتركي الحقد جانباً ودعي قلبك يتصرف على هواه...ذلك الحب كل تلك السنوات لن يمحى من قلبينا بسهولة.

من وسط دموعها قالت بضعف :

-أنا محيته من قلبي ..مسحت حبك ونسيتك .

صرخ بأعلى صوته :انت كاذبة .

-ما أدراك أني كاذبة!!!

رفع وجهها بيديه ماسحاً دمعها ثم أردف :

-هذه العيون التي أعشقها حد الجنون ، إن كذبت على الجميع لن تكذب على رواد، اعرفك كما اعرف روحي.

كان دمعها الآن يتدفق بغزارة بالكاد استطاعت أن تراه وسط تزاحم دموعها : رواد...انت دمرتني..قتلتني عندما طعنت بأخلاقي وشرفي وصدقتهم، كان أسوأ يوم في حياتي...احتجتك بجانبي سنداً وملجأً لكنك حطمتني .

ضمها بقوة إلى صدره وهو يردد: أنا غبي...أعترف لك أي كنت غبياً وقتها، سامحيني حبيبتي..أقسم أني تعذبت أضعاف عذابك حينها، ألا تدركين القهر والعجز الذي نهش لحمي عندما رأيته يقبلك أمام ناظريّ!

أبعدها عنه مستطردا : ...دائما ماكنت أتمنى أن أمسح تلك الدمعة التي ذرفتها بسببي ، دائما ماكنت ارجو الله أن يكون باستطاعتي إعادة الزمن إلى الوراء فقط لألغي تلك الذكرى اللعينة التي دمرت حياة الجميع

عضت على شفتها باكية وصرخت مجددًا :

-أنت ابنهما...كيف سأنسى.

-لقد انسلخت عنهما....منذ ذلك اليوم وأنا بعيد عن تلك العائلة ..محيتها من عقلي وذاكرتي وأرجو أن تمحيها أنت كذلك .

-هذا صعب .

-حاولي....أعلم كم هو صعب هذا الموضوع ولكنك قوية..ستجتازين الأمر ، لم أعد استطيع الابتعاد عنك اكثر ،لقد تعبت من لعب دور المراهق وملاحقتك أينما تذهبين، لم أعد صغيرا على هذه الأفعال يارا، ثم اردف ضاحكاً:

انظري الى وجهي... صرت مهرجاً مبهرجاً من كمية اللكمات والكدمات التي تلقيتها بسببك

ضحكت بأسى على كلامه وقالت :

أنت طائش من يوم ولدتك أمك ، ولكنك ابتعدت عني...منذ ذلك الحادث وبعد أن رأيتك بالمستشفى ، اختفيت لسنوات لحين ظهرت أمامي في المعهد فجأة"

فابتسم بدوره بعد ان رآى تجاوباً منها وقال يهمس :

-وهل أنا مجنون لأفعل هذا ؟

-لم افهم!

ولكنه قبّل راحة يدها قائلاً :كل شيء ستعرفينه في وقته ياحورية البحر المتوحشة .

شعرت الآن فقط أن عذاب تلك السنوات لم يكن إلا عشقاً لهذا الشاب المجنون الذي أبت أن تخرجه من قلبها وعقلها...هي لن تنسى مافعله بها أهله وبنفس الوقت تحبه، بل تعشقه ، لن تصفح عنهم ولكنها مستعدة أن تكمل بقية عمرها معه، تناقض غريب لكن أوليس الحب مبني على التناقض ! ، من وسط تلك الدموع التي غسلت وجهها كما غلست روحها وقلبها ابتسمت ، ابتسمت له لتزيل ذلك الغمام الأسود عن قلبيهما ،

ووسط الطريق الذي خلا من المارة تقريباً قالت له: أنت مجنون !

فأجابها: مجنونٌ فيكِ .

شد على قبضتها أكثر وسارا معاً..طوال الطريق تشيح ببصرها عنه وتحلق عالياً بسعادة لاتستطيع كل لغات العالم أن تترجمها وبنفس الوقت رواد كان قلبه يختلج بين ضلوعه يرغب في شدها الى صدره، وبالكاد سيطر على نفسه، فهاهي حبيبته قد عادت إليه ، طفلته المدللة الآن معه بل ! ..فجأة أصبحت الشوارع أكثر

جمالاً...أصوات أبواق السيارات التي لطالما كانت رمز للازعاج باتت أوركسترا بديعة لم يستطع حتى بيتهوفن الإتيان بمثلها...بمنتصف الطريق توقف فجأة أفلت يدها ونظر إليها مبتسماً ثم ركض إلى أحد الأزقة.. واختفى فيه ،صرخت تناديه:

-رواد إلى أين !!!

ولكنه كان قد اختفى من أمام ناظريها... بقيت تحدق مطولا إلى مكانه الخالي ولم تفهم مالذي جرى للتو..أفكار تلاطمت بعقلها كأمواج بحر مضطرب وعاصفة اجتاحت كيانها لثوان قبل أن يظهر من جديد ويعود إليها ...لم تفهم سببًا لرحيله وعودته.

كادت أن تتكلم وتستفهم عما فعل ولكنه أمسك قبضتها وصار يركض جارًا أياها ورائه ، بطريقة عفوية صارا يضحكان كما كانا يفعلان سابقاً وعادت سنوات الطفولة من جديد ،أخذها إلى حديقة جميلة جداً زهورها تفتحت بكل شقاوة لتعبق الجو بمنظر بديع هذا عدا عن رائحتها العطرة، و على مقعدٍ حجري جلسا ومازالا صامتين ..

ها هما الآن يبدآن حياة جديدة...بطريقة فريدة ابتدعها رواد ، أخرج من جيبه كيساً صغيرًا فتحه فإذا به يحوي حبات من الشوكولاه التي تحبها، تناول حبة بأصابعه ودسها بفمها ثم صار يهمس بشوق :

لو خرج المارد من قمقمه

وقال لي : لبيك

دقيقة واحدة لديك

تختار فيها كل ما تريده

من قطع الياقوت والزمرد

لاخترتُ عينَيْكِ .. بلا تردد "

انفرجت شفتاها عن ابتسامة واسعة وهو يعيد إليها تلك اللحظات التي لم تنساها أبدا بل ظلت محفورة في قلبها منذ وقتٍ طويل ،وبعد انتهائها من تناول الحبة الأولى أخرج واحدة اخرى ودسها بفمها.

-رواد أنت مجنون " قالت ذلك ولكنه تجاهلها وأكمل هامسا ً:

ذوبت في غرامك الأقلام

من أزرق .. وأحمر .. وأخضر

حتى انتهى الكلام

علقت حبي لك في أساور الحمام

ولم أكن أعرف يا حبيبتي

أن الهوى يطير كالحمام.

هذه المرة قهقهت عالياً على جنونه وبصعوبة بالغة ابتلعتها ليفاجئها بحبة اخرى، حاولت ابعاد يده لكنه أصر على إطعامها إياها ثم أردف :

عدي على أصابع اليدين ، ما يأتي

أمسك بأصابعها بين يديه ثم تابع،

فأولا : حبيبتي أنت

وثانيا : حبيبتي أنت

وثالثا : حبيبتي أنت

ورابعا وخامسا

وسادسا وسابعا

وثامنا وتاسعا

وعاشرا . . حبيبتي أنت

كانت عيناهما تتراقصان بفرح وعفوية ..أغدقها الآن بحب حرمت منه سنوات عدة ليعود أقوى وأعنف وأنضج ،تجربة مرا بها هزت كلاهما ...وعلمت كليهما معنى الحب الصادق الوفي، وضع حبة أخرى ليهمس مجدداً :

حبك يا عميقة العينين

تطرف

تصوف

عبادة

حبك مثل الموت والولادة

صعبٌ بأن يعاد مرتين "

ولكنها هذه المرة انتشلت الكيس من يده كيلا يطعمها مجددا وركضت خلف شجرة كبيرة استندت عليها فركض خلفها وحاصرها بيديه واقترب يهمس:

-لن اسمح لك بالهروب مجدداً .

طالت نظراتهما التي أذابت قلبها خجلاً فلو كان جليدا لانصهر بهذه اللحظة .

حاول رواد الاقتراب منها اكثر كي يترجم لها شوقه العميق بقبلةٍ طالما تمناها لكنها فاجئته بحبة شوكولاه دستها بفمه بارتباك وقالت له :

-احبك

ثم صمتت لثوان قبل أن تكمل :

أَنا أَحِبُكَ فَوقَ الماء أَنقُشُها .. و للعناقيدِ والأَقداحِ أَسقيها..

أَنا أَحِبُكَ يا سيفاً أَسالَ دَمي ياقصةً لستُ أَدري ما أُسَميها

أَنا أُحِبُكَ حَاول أَن تُساعِدَني ..فَإِن مَن بَدأَ المَأساةَ يُنهيها

و إِن مَن فَتَحَ الأَبوابَ يُغلِقها.. وإِن مَن أَشعلَ النيرانَ يُطفئها

احتضن كفها بين يديه قائلا:

-سأطفئها ...سأطفئها وسأحرق كل من سيقترب منك بعد الآن فأنت ملك رواد فقط .

أبعدته عنها ثم قالت وهي تسحبه من يده :

-هيا الآن تأخر الوقت ..فإن بقينا نأكل الشوكولا بهذه الطريقة لن ننتهي للغد .

((الفصل السابع والعشرون))

بعد هذه السنين الطويلة والشاقة لكليهما ...عاد الأمن يتسلل إلى قلبيهما وعادت تلك النبضات العاشقة تتدفق لتشعرهما بالهدوء والسكينة...

دخلت شقتها وأغلقت الباب ، تنهدت واستندت عليه وابتسمت دامعة العينين وهي تتلمس مكان قلبها لتهدئ من ضرباته المضطربة وشعرت بأنه سيخترق صدرها ليتمرد بأي لحظة ليطير عالياً، بكت ولكن هذه المرة دموعها كانت دموع فرح ..عكس كل تلك المرات التي بكت فيها سابقًا بسببه.

طرقات على بابها انتفض جسدها منها وفتحت لتراه واقفاً أمامها مستندا بيده على الحائط :

-أوتتركينني وحيداً بهذه الساعة خارجاً"

ضحكت على كلماته ثم مالبثت أن قالت له بتهكم :

- إن لم تدخل لشقتك الآن أيها السيد سأغير رأيي ولن أغفر لك ، هيا فلدينا غداً تدريبات شاقة "

رفع يديه باستسلام ثم انصاع لها :

-حسناً سأغادر ...ولكنك تظلمينني كثيراً صدقا "

-هيا هيا بدون أية كلمة أخرى .

قالتها و أغلقت الباب بوجهه..ثم خطت إلى الداخل ولم تجلس على الأريكة حتى عاود يطرق بابها مجددا:

ضكت بقوة وقد أيقنت أنها لن تنام اليوم بسبب جنونه وفتحت الباب له تود أن تصرخ فيه ولكنه وضع كيس الشوكولاه بوجهها قائلا:

-نسيتي الشوكولا خاصتك انستي الرقيقة.

حدجته بنظرة قوية وهي تنتشل الكيس من بين يديه وتغلق الباب متمتمة ((مجنون))

دخلت واستلقت على الأريكة تريح جسدها ثم حملت كيس الشوكولا وبدأت تأكل منه وهي تبتسم وتتذكر تلك الأبيات الشعرية التي قالها لها هذه الليلة.

دخل رواد بدوره إلى شقته رمى بجسده على السرير مغمضاً عينيه يتنفس بعمق ، ارتاح أخيراً..

حمل ثقيل انزاح عن كاهله عندما سامحته. .طال انتظاره لتغفر له وهاهي قد غفرت الليلة ..بل واصبحت ملكه الليلة عاد إليه نبض قلبه ...الليلة عاد لاحتساب الزمن الذي توقف عنده منذ ذلك الحادث ...الليلة فقط عاد لرواد القديم الحي...

كان يعرف انه لن يستطيع النوم لذلك نهض من مكانه إتجه إلى الشرفة وألقى نظرة لشرفتها...وابتسم

الانوار مازالت مشتعلة لم تنم بعد" قالها وقد قرر أن يذهب اليها مجددًا ...لم يعد يقوى على مفارقتها ولو بقي طوال الليل يثرثر أمام باب منزلها فلن يتردد..هناك الكثير بعد لم يخبرها به ...هناك مئات الابيات التي حفظها لنزار قباني ليلقيها على مسامعها فقط. .

فتح الباب ليخرج ولكنه تفاجأ بشخص ينحني أمام بابها. ركض باتجاهه وامسكه من ياقة قميصه ...

****

طرقات أخرى على بابها....

-الن ننتهي الليلة ايها المجنون !!! قالتها ونهضت لتفتح له مجددا ولكنها تفاجئت به يمسك صبياً من ياقته ويضحك..

-قلبت نظرها بينهما ...بينما الصبي قد تلون وجهه بألوان الطيف السبعة لشدة حرجه.

-رواد ما الأمر !

-أخيرا عثرنا على المعجب السري يانسة .

ماذا !

لاتصدقيه إنه يكذب...قالها الصبي وهو مطأطأ رأسه لأسفل....ثم مالبثت ان قالت له :

-ألست ابن البقال ليو؟

تلكئ الصبي قبل ان يجيبها ....بلى أنا هو "

ولكن رواد لم يتمالك نفسه أكثر من ذلك وضحك عالياً قائلا باستهزاء ((الحب من أول كيس بطاطا))

حدجته بنظرة قاسية ثم التفتت إلى الصبي قائلة :

-حسنا أيها الشاب لما تضع لي الورود يومياً ؟

-قولي له أن يتركني اول.

تركه رواد ليعتدل بوقفته مهندمًا ثيابه فقالت لهما :

-هيا ادخلا لا يجب أن نبقى أمام الباب طويلا"

ادخلتهما وجلس الاثنان ينتظران من الفتى أن يبوح بما عنده ...طال انتظارهما له بصمت ثم تنهد وبدأ يروي قصة الوردة الحمراء ...

-لأنك تشبهينها.

تبادلت النظرات مع رواد قبل أن تستفهم : أشبه من ؟

-أمي.

-!!!

قالت لي ذات مرة ..تستطيع التعبير عن حبك لأي شخص بطريقة بسيطة دون تكليف ...ولكنها تعني الكثير ...فكلمة واحدة كفيلة باسعاد القلب الذي يحبك.

قال رواد مستفهما ...

واين هي الآن أمك؟

أطرق رأسه أرضاً قبل أن يجيب:

-أصيبت بورم في الدماغ ...صرت طيلة أيام مكوثها في المستشفى أهدي اليها وردة حمراء لأرى ابتسامتها التي تكافح لأجل أن ترسمها على محياها بوجودي...

ثم اكمل بعد صمت ..

ولكنها ماتت قبل سنتين والآن عندما رأيتك شعرت أن الله قد أرسلها لي مجددا ...أنت تملكين نفس عيونها وشعرها.... لذلك صرت أكمل اهدائها تلك الورود لأرى ابتسامتك فيها ...

عضت يارا على شفتها بأسى ومسحت دمعة انسابت لتذكرها بأمها ...ثم لم تتمالك نفسها اكثر وبكت فرفع الصبي نظره اليها

ولم تبكين الآن؟...لقد وعدت أمي ألا ابكي فلا تضريني لذلك الآن؟

امسكت بيده وقالت له :

-أبكي لأن أمي توفيت كذلك ..

صمت مطبق من الثلاثة قبل أن يقول الفتى مجددًا ..

-هل لي أن أرسل لك الورود بعد الآن آنسة ؟

-نعم طبعاً بإمكانك ذلك وسأكون سعيدة .

****

-مرحبا سيد عاصم ،قالوا أنك طلبتني " قالها داني ودلف حجرة المكتب بخطى متثاقلة باتجاه عاصم الذي يجلس على كرسيه الجلدي الوثير يدخن سيجاره العريض .

-أهلا وسام ...نعم في الحقيقة أريدك بأمر ما .

تقدم داني ليصبح قبالة عاصم الذي نهض من خلف مكتبه ليجلس أمامه بحيث يقلل المسافة بينهما ..

أشعل عاصم سيجارا آخر لداني الذي تمنع قليلا قبل أن يستسلم ويدسها بين بشفاهه مطلقا سحابة دخان كثيفة مختلطة بسعال حاد أضحك عاصم بشدة لترتج تجاعيد وجهه ، يعجبني نقاؤك ياصهري العزيز "

قالها عاصم بسخرية ليميل داني فمه بابتسامة ساخرة وهو يسب ويلعن هذا العجوز المترهل المترجرج القوام أمامه .

تلمس داني جبينه بسبب ألم بصدغه لازمه منذ الصباح:

-هل أنت على ما يرام ؟

-صداع طفيف سيدي لا تشغل بالك "

أجابه داني قبل أن يخرج عاصم من درج مكتبه المقفول ظرف حبوب بيضاء لم يتبين داني ماهيتها لكن عاصم تناول حبة بيده وسلمها لداني : ستزيل جميع آلامك مفعولها سحري "

تشكره بلباقة ودسها بفمه متجرعاً بعدها رشفة ماء عندما بدأ عاصم يتحدث :

-أنت تعرف ...أن تجارتنا تلك واستيرادنا لبضع منتجات نسائية لن تعود علينا بهذه الأرباح الخيالية التي تراها أمامك.

هز داني رأسه موافقا وعيناه لا تفارقان عيني عاصم الحادتين : نعم عمي أعلم "

-يعجبني أنك ذكي ، لربما ذكي أكثر من اللازم .

قالها عاصم واقترب بجذعه أكثر من داني الذي بادله ابتسامة طفيفة وشعر بأنه يلمح إلى شيء ما فقرر مجاراته حتى النهاية .

-من بعض ماعندكم عاصم بك "

نهض عاصم من مكانه ومشى قليلاً قبل أن يتوقف أمام النافذة العريضة يتأمل السيارات المسرعة هنيهة قبل أن يستطرد :

أظن أنه حان الوقت لتطلع على الوجه الآخر لأعمالي ..فأنا لأكون معك صريحاً..أفكر بالتقاعد وأريد من يستلم عني كل شيء من بعدي فقد حان الوقت لأرتاح.

-مازلت شاباً سيدي...أقسم أن فيك من روح الشباب أكثر مني أنا شخصيًا .

ارتفعت ضحكة عاصم ثم نفخ دخانه عالياً قبل أن يردف بمكر : قلبك الآن يتراقص لتأخذ مكاني أيها المنافق ..لاتنكر

أخذ داني نفساً عميقًا هذه المرة من سيجاره وشعر بانتشاء يدغدغ قلبه ويتلاعب بتلافيف عقله ليحلها واحدة واحدة وابتسم يحييه :

-أنا ولأكن صريحًا، لم اقل لك أني لاأرغب باستلام الأعمال ...على العكس تماماً هذا حلمي إن كنت رجلاً عاقلاً، ولكني مازلت أريدك معي بكل خطوة لنقل...أريد خبرتك مع عنصر التجديد والحدس والذكاء الفائق الذي أملكه..

ضيق عاصم عينيه بعد أن لمح ارتخاء عضلات وجه داني وأجابه : كلام منطقي وسليم ...حسنًا إذن خذ باقي اليوم كإجازة وغدًا مساءًا بعد أن يذهب مفعوله ، ستأتي إلى منزلي لنتكلم بأريحية أكبر فهنا كما تعلم الحيطان تملك آذان "

وغمز له بطرف عينه باسمًا بمكر ثم أردف :

رحلة موفقة "

رفع بصره الذي بدأ يزيغ تجاه عاصم ولم يفهم ماهو الذي سيزول مفعوله لكنه لم يعط للأمر أهميه ونهض بتثاقل وهز راسه وقد ارتسمت على وجهه ملامح الخبال وضحك مودعاً : أراك غدا مساءًا.. أيها العجوز ، لاتمت قبل أن آتيك

وخرج داني يغني طرباً وسط ذهول جميع موظفي الشركة في حين كان عاصم يضحك بقوة وهو يتأمل صهره العزيز مسافراً لبلاد العجائب .

لحق به سائق عاصم الخاص بعد أن أمره سيده بمساعدة داني ،فقام هذا الأخير يكلم السائق ويضحك بهستيريا في المقعد الخلفي لسيارته ثم يسب عاصم ويشتمه بأفجر الصفات والكلمات ، يتبعها سباب على عماد وكلمات نانبية على سكرتيرته ذات الشعر الأحمر المرعب ،

أوصله السائق إلى المنزل وساعده على فتح الباب ثم غادر تاركاً إياه .

-حبي ...محبوبتي ... "

تعالى صوته يناديها فهرعت ميرا على طريقته الغريبة بالنداء وبقت تحدق فيه بصدمة وسط تحركاته المتثاقلة العشوائية ،

رآها أميرة جميلة جداً انتشلها على حين غرة محيطًا خصرها بذراعيه وبدأ يراقصها ويدندن لحن أغنية ما وسط ذهولها، ثم قلبت أمامه لساحرة شمطاء بشعر مبعثر ورداء أسود طويل ، فتح عيناه وأغلقها أكثر من مرة يهز رأسه بارتباك ثم تركها تقف وحيدة وجلس على الأريكة ، تخيل نفسه يحلق عالياً فقفز على الأريكة ورفرف بجناحيه فسقط على السجادة وتأوه ألما فجزعت ميرا على حاله المتدهور ، أخرجت هاتفها لتقوم بالإتصال بأي أحد يساعدها على تهدئة

جنونه ، فيقوم هاتفه بالرنين فجأة ويجيب على عماد بكلمات غريبة عن خيانة واقتراب الموعد وبضع كلمات مشوهة النطق فما كان منها إلا أن تسحب الهاتف من يده وتستغيث بعماد الذي لبى النداء على الفور وجاء يتراكض بعد الكارثة التي سمعها على الهاتف .

وصل عماد بسرعة قياسية، فتحت ميرا الباب و حكت له كل مافعله منذ مجيئه وصار يراقب بعينيه صديقه الملقى على الأريكة فتقدم منه صائحاً :

وسام !؟

-أنا داااني ...أنا دندن ... ...وسام من؟

رفع بصره تجاه عماد وعاود الصياح مجددا

أنا داااني .....دندن ....

جحظت عينا عماد وسد فمه بيديه وهو يصرخ به ليستفيق وسط ذعر ميرا .

-إنه ..يبدو أنه ثمل !!!

تسائلت بقلق على زوجها فقام عماد بتهدئتها موافقاً كلامها وطلب منها إعداد فنجان قهوة ثم سحب داني بقوة وجره إلى غرفة المكتب ليحاول إخراسه بأية طريقة قبل أن يتفوه بحماقة أخرى.

وليلة مرعبة قضاها عماد خوفاً من أن تكتشف ميرا الخائفة على زوجها ، شيئا ما يدمر خططهما ، وداني بعالم آخر تماما يتغنى بجمال حورياته الأسطورية !!

حتى حل صباح يوم جديد فتح فيهما داني عيناه ليرى أنه نائم على الأريكة بالصالة وعماد ينام على الأريكة المقابلة !!!هز رأسه بارتباك وحيرة من أمره ثم ما لبث أن تقدم من صديقه وبدأ يهزه بعنف :

-عماد ...إستيقظ .

فتح الأخير عيناه ببطئ واعتدل بجلسته وبقي صامتا يحدق بداني الذي عاود الجلوس على الأريكة يسأله :

-ما الأمر ؟؟؟ لما أنت هنا اين زوجتي؟!

مسح عماد آثار النوم من عينيه ثم هتف به :

-ما ماهية الهباب الذي تناولته البارحة يا غبي !!!

صدمة أعجزت لسان داني ،وهو لا يتذكر أي شيء مما فعله البارحة .

-أنا !!! لم أتناول شيئا لما ؟ ما الأمر عماد ؟

زفر عماد بقوة ثم نهض وحدثه بكل ما قام به البارحة وقاله أمام ميرا ، لتجحظ عينا داني رعباً وهب واقفا للإطمئنان على ميرا لكن عماد أوقفه بحدة :

-قل لي ما الذي تناولته ، حشيش ، مخدرات ،حبوب هلوسة؟

-لا شيء ، أقسم لك لا شيء سوى أن ....

وتذكر داني تلك الحبة البيضاء التي أعطاها عاصم له فجلس فارغا فاه ثم كز على أسنانه بغيظ :

-عاصم الزفت "

****

حل المساء وذهب داني برفقة ميرا ذات الوجه المكفهر منذ الصباح ولم تنفع أيمانه المغلظة وقسماته على برائته من فك طلاسم وجهها العابس ، وصلا لمنزل عائلتها وجلسا بالصالة لحين وصل عاصم مرحبًا بهما :

كيف حال صهري العزيز !! تسائل عاصم بمكر ليجيبه داني بسخرية : إسأل ابنتك عن أحوالي ، و رجاءا أخبرها أني بريء .

أطلق كلماته كالسهم لتخترق نظرات ميرا الحادة وابتسامة عاصم المستهزئة ، وعيني سهير التي لم تفهم شيئاً مما يقولانه ، فالتفت لابنته وربت على كتفها متأسفاً :

-أعذريني صغيرتي ، مشروب جديد أردت من صهرنا العزيز تجريبه ، ويبدو أن له مفعول سحري !! " ثم تعالت ضحكاته أكثر وهو يغمز لداني الذي أشاح بوجهه وحدق بميرا وكأنه يقول :

-أرأيت كم أنا بريء !!.

بعد تناول طعام العشاء دلفا إلى غرفة مكتب عاصم الذي بدأ يحدثه عن عدة أمور غير هامة كان يعرفها من قبل ولكن حواسه استنفرت كلها عندما ورد اسم حسام بالموضوع...

فقال عاصم تلك المعلومة التي ناضل داني لمعرفتها طويلا :

-أنا من يستورد البضاعة التي جربتها البارحة أنت بنفسك ، من تجار في الخارج وهو من يقوم بتصريفها ...لنقل أنه ساعدي الأيمن..

حك داني ذقنه مفكراً بكلمات ينتقيها لاتسيء لمن يجلس قبالته ثم اغتصب بضع حروف لينطقها :

-لي الشرف أن أكون ساعدك الأيسر سيدي ،

بادله عاصم ابتسامة ثم قال : ستكون الملك...لكن بعد أن تفهم كل شيء ، ...لا أريد لميرا أن تعرف هذا الأمر فهي غبية وستتكلم إن شعرت بخطر ما وخاصة عندما يتعلق الأمر بك.

كتم غيظه أمام عاصم وهو يفكر الآن كيف لأب أن يتكلم عن ابنته بهذه الطريقة الفظة ؟

أومئ له بتفهم : لا دخل لها بأعمالي ، هي لا تسأل وانا لا أجيب .

كان حسام هو طرف الخيط الذي تمسك به داني الآن ومنه سيكشف سلسلة هذه الخلية الكبيرة ..ولكن قبل أن يقوم بأي خطوة يجب أن يثبت ولائه لعاصم...وها هو الآن قد وجد نفسه متورطاً بعمليه تهريب للمخدرات بعد أن تذوقها في ذلك اليوم بالمكتب عند إيقاع عاصم به، وسخرية عماد الذي بات لا يضيع فرصة للإستهزاء ، ...ضحك على نفسه وهو يستلم البضاعة ويعاينها ليتأكد من جودتها قبل أن يسلمها لحسام الذي بدوره سيقوم بتوزيعها على التجار ، كان يخاف من أن يشارك بهذه القذارة وها هو ذا قد توغل فيها .....وبجدارة

لقائاته بعماد قد قلت نظراً لأنه موقن أن عاصم قد لا يتوانى عن جعله تحت المراقبة لإاثبات ولائه ...ولكته كان يرسل له الأخبار بعدة طرق ...عرف كل خطوة يخطيها وصار يوجهه لكي لا يقع بخطأ ما فاللحظة الحاسمة قد قاربت على الانتهاء.

((الفصل الثامن والعشرون))

أتعلم عزيزي الحب يجعل كل الموجودات من حولنا أروع.ويجعل من تلك الليلة السوداء المعتمة نهارا ساطعا تنير شمسه ماحولها وتضيء قلوبنا.

قالتها لقطها ميمو وصارت تقهقه بسعادة وهي تأكل من حبات الشوكولاه الشهية .

-أقسم أني مجنونة...أكلم قطاً عن الحب!!!

ثم ابتسمت وهي تحمله : ولما لا ...وأنت أيضا لابد وأن تعرف الحب يوماً أيها القط الكسول ..بل أنت تحب...تحب معدتك أيها الشره .

تركته وتجهزت لتذهب إلى التدريبات اليومية وكان رواد كعادته بنتظرها ليذهبا سوياً ما إن رآها حتى تبسم وهو يخرج القلادة من جيب بنطاله ويعقدها حول عنقها .

-رواد ، أكانت معك !ا

-لم تفارقني لحظة واحدة على أمل أن ألبسك إياها من جديد....هيا سنتأخر .

كان ذهولها كبيراً ولكنه لم يعطها مجالا للجدال بهذا الموضوع اكثر فما إن ألبسها إياها حتى احتضن كفها بين أصابعه وكأنه يخشى من أن تضيع ثانية ثم نزل درجات السلم .

حب أعادهما من جديد إلى ماكانا عليه منذ سنوات..

ولكن هذا العشق الكبير كان بالنسبة لأحدهم نارًا تتقد بقلبه ، هاقد حضرا سوية اليوم والضحكة لم تفارق وجهها الأبيض، حتى تدريباتها كانت متقنة أكثر من أي يوم مضى ...كان لويس متجهم الوجه يصرخ على أي راقص يخطئ بحركاته حتى يارا لم تسلم من توبيخه وبدا اضطرابه واضحًا بين الطلاب ف استسلم اخيرا وترك التدريبات واكتفى بالجلوس على إحدى مقاعد الصالة الكبيرة يتابعها بعينيه ... رواد شعر بما يعانيه فانسل هو الآخر لحين انتهاء فقرة الفتيات واقترب منه ،جلس بجواره عله يهدئ من انفعال لويس قليلا

فنفخ الآخر متأففا :

-مالذي تريده مني الآن...الشماتة! ؟

قالها باحتقار له وهو يود لو يدق عنقه بهذه اللحظة .

صمت رواد مطولا ثم نظر إليها واسترسل بالكلام ..

-أتعلم ..... هي حبيبتي مذ كانت طفلة صغيرة..علمتها الرقص و أحبته من خلالي ...كبرنا معا واجمل سنوات عمري قضيتها معها ، حتى صارت مشكلة دمرت قلبها الصغير ودمرت حياتي معها ...عشت أبشع الكوابيس منذ ابتعادها عني .سنوات طوال قضيتها على أمل أن تعود إلي مرة أخرى

أخذ نفسا عميقا ثم حدق بلويس مستطردا :

وقضتها هي تحترق على الكارثة التي حلت بها لتجد نفسها وحيدة بهذا العالم ...إفترقنا ولم يجمعنا مرة أخرى سوى الباليه ، فمن خلاله استطعت أن أعيدها إلي ..أن أعيد روحي التي فارقت جسدي ،صدقني لويس إن يارا بالنسبة لي أكثر من مجرد امرأة احببت جمالها أو شخصيتها...هي صديقة الطفولة ..هي عمر قضيته وسنوات عشتها معها ولها .

ثم ربت على كتف لويس مكملا :

-لا ألومك على حبك هذا فمشاعرنا لا قدرة لنا في التحكم بها ولكني أتمنى أن تشفى سريعاً منه...سواء وجودي معها أو عدمه..أنت لن تستطيع كسب قلبها فهنالك معوقات كثيرة وفوارق بينكما لن تفهمها أنت ولكنها كفيلة بابتعادها عنك .

أخذ لويس نفساً عميقاً وطرحه وكأنه يخرج كل الافكار السلبية من عقله وقلبه ونهض من مكانه دون أن يتفوه بحرف تاركاً رواد يحدق فيه بصمت على أمل أن يكون قد فهم ..

****

أجمل مافي الحياة هو الحب وأجمل مافي الحب أن يتكلل بالاهتمام فبدونه يكون الحب كوردة تذبل كل يوم حتى يختفي بريقها وتصبح مجرد أوراق قاتمة يابسة مجعدة .. كانت ميرا ترى انشغال زوجها على الدوام...تلاحظ تفكيره المتواصل بشيء ما ولكنها لاتعلم ما هو، شروده بأغلب الاوقات التي يتواجد بها في المنزل ..كان يحاول ألا يشعرها بشيء ولكن قلب الانثى العاشقة لايحتاج إلى مترجم

لقرائة أحاسيس شريكه..هي موقنه أن شيئا ما يشغله ولكنه لم يفصح عنه ...انتظرته طويلا ان يبوح لها ولكنه يكتفي بقول أن العمل يأخذ كل وقته

وأي عمل هذا قد يشغلك عن أحبائك...أي حجة واهية تلك يختلقها البشر لتبرير تصرفاتهم ، كانت الآن كالوردة تذبل يوما بعد آخر تحاول أن تتقرب منه لمعرفه مابه فيبتعد...مايزال محتفظا بهذا الحصن المنيع الذي يختبئ به .....حتى عثرت بالصدفة في مكتبه ماجعل جسدها ينتفض بقوة ولم تستطع أن تكبح سيل دموعها الجارفة ...انتظرت عودته مساءا..

وضعت طعام العشاء بصمت وجلست بشكل طبيعي لينهي طعامه وبعد مدة شعرت أن الوقت قد حان للإفصاح عما وجدته .حدقت فيه مطولا قبل أن تنطق :

-بت تتأخر يومياً !!!

ارتشف من كوب الشاي أمامه وقال دون مبالاة وهو يتابع التلفاز : نعم ضغوط عمل .

جلست بتوتر بجانبه وهتفت بحدة :

-هذه الكلمات تختلقها لأصدقائك أيها المحترم .

زفر بتململ فها هو موعد شجار كل يوم ، وضع الكأس على المنضدة أمامه ثم حدق فيها :

-تريدين افتعال مشكلة كالعادة !!!

كان يتكلم ببرود قاتل أطار ما تبقى لها من عقل فصرخت بغير وعي، هناك امرأة أخرى بحياتك اليس كذلك!!؟؟.

صدمه سؤالها المفاجئ ..حدق فيها لثوان قبل أن يفهم سؤالها ليجيب: من أين جائك هذا التفكير الان ؟

نهضت بغضب من أمامه وهي مستعدة لأن تكسر كل صمتها في الايام الماضية وتطلق العنان لأفكارها التي باتت تحرقها ، وهذا الشيء الذي تأكدت منه اليوم وهي تنظف مكتبه..

-بعد تجاهلك لي كل تلك المدة وانشغالك بحجة العمل ولا أعلم ماهية العمل الذي تقوم به وتأخرك ليلا واختفائك بأماكن لا اعرف أين تكون فيها وتقول لي من أين جائك هذا التفكير!!!.

تقدم منها وسط صياحها : ميرا اهدئي واخفضي صوتك لا داع للانفعال.

-ميرا...ميرا.... اهدئي واصمتي ...هذا كل مالديك تحرقني بأفعالك وتقول لي لا داع للانفعال ... أتعيش مع حجر !! ...أنسيت أني زوجتك لي الحق في أن أشاركك كل مشاكلك ..أنا حتى عملك مع ابي لم اعد افهمه. كل شيء حولكما غامض....تتحجج بالعمل ولكن الشركة تقفل أبوابها عند السادسة مساءا...أي عمل هذا الذي يجعلك تتأخر عن المنزل سوى أن تكون مع امرأة اخرى.

احتضن كفها بيده وبكفه الأخرى تلمس كتفها : حبيبتي ....لا امرأة في الموضوع أقسم لك ان ...

لكنها قاطعته و ابعدت يديه عنها وصرخت ....

-لا تقسم و تختلق الأكاذيب أيها الخائن ...لقد رأيت صورتها بحوزتك "

هنا تصاعد غضبه وجابه ثورتها: صورة من ايتها المجنونة!

نظرت باحتقار له وقالت: تلك الغبية .....صاحبة الشعر الاسود " ورمت له صورة الفتاة وعقدت ذراعيها أمام صدرها لينحني على الأرض ويلتقط الصورة .

-من !!!!

تفاجئ من قولها ذلك وقد تناسى تماما أن تلك الصورة التي جلبها عماد ليريه اياها لعله يتعرف عليها

(نوال حمدان) تلك الشريكة الخفية لحسام ...

نسي تماما أنه ترك الصورة بدرج مكتبه ولم يضعها في الخزنة أو يمزقها ...والآن عليه أن يخترع كذبة أخرى لتصدقه فيها...وهو يتأمل الكارثة .

أطلق ضحكة عالية تخالف هذا التوتر الذي اشتحنت به الصالة ثم قال بعد أن سيطر على نفسه :

-تريدين معرفة من هي نوال إذن ؟

-وبكل وقاحة تعترف أن اسمها نوال و تسأل!!

ضيق عينيه وهي ينظر اليها و اخرج هاتفه ليتصل بعماد أمامها وما إن فتح الأخير الخط حتى انفجر في وجهه.

-أيها الاحمق لقد نسيت صورة نوال في منزلي وتسببت لي بمشكلة كبيرة مع ميرا هيا تعال وبرر هذا الموقف اللعين الذي وضعتني فيه حالا أنا أنتظرك لا تتأخر...

لم يعطه مجالا للرد وقطع الاتصال معه....وبما أنه ضابط فوضع الكرة بملعبه هو وعليه اختيار كذبة مناسبة ليخبرها بها.

اصطنع الآن التجهم في وجهها وجلس مجدداً على

الأريكة وسط ذهولها ...فآخر ماقد تفكر به الآن عمله ذلك ..بقيت ذاهلة تحدق به وقد أمسك جهاز التلفاز ليرفع الصوت متجاهلا توترها ثم قال ببرود ودون ان ينظر لها:

-ستعرفين الآنمن نوال ...بما أني خائن كاذب فلن تصدقي أي شيء قد اقوله أنا لك ، احتشمي فعماد في طريقه إلينا "

ازدردت لعابها ووقفت كالصنم أمامه لا تقوى على مواساته أو الغضب منه أو تنفيذ ما أمرها به ...مازالت لم تتأكد بعد من برائته....لذلك قررت أن تنهي هذا الموقف وتذهب إلى غرفتها لحين قدوم صديقه لتقديم البراهين على برائته .

كان عماد الآن يلعن بسره داني الذي وضعه بوقف لا يحسد عليه وطول طريقه وهو يقود كان يفكر بكذبة مناسبة ليقولها لتلك الحشرية ،ضرب مقود سيارته وصرخ:

ينقصني أن أبرر موقفا لغيورة حمقاء قد تنسف جميع ما عملنا به كل تلك الفترة !!!.

ترجل من سيارته دخل عمارتهم وطرق الباب فاستنفرت خلايا ميرا وركضت من فورها لتفتح له كيلا يكون هنالك مجال لأن يتحادثا اويخططا لشيء لحين نزولها...صرخ فيها داني لتجمد بمكانها ذاهلة.

-انا سأفتح عودي إلى الصالة "

كزت على أسنانها غيظاً ودخلت الصالة لحين فتح له الباب وتبادلا النظرات لثوان قبل أن يقتاده إلى الصالة

القى السلام على ميرا التي اصطبغ لونها بالاحمر لشدة غضبها وانفعالها ولم يكن من داني إلا أن يهتف به فورًا:

-الآن أيها السيد قل لها من هي نوال وماذا تفعل صورتها بمنزلي وبدرج مكتبي المقفل بالمفتاح !!! .

نظر لصديقه قبل أن يجلس و يقول ببساطة :

أنا أسف إن سببت لكما مشكلة سيدتي ولكن نوال قريبة لي بحاجة إلى عمل، قد سلمت ملفها لوسام لعله يجد لها عملاً مناسبا في الشركة فطلب مني معلومات عنها...وصورة شخصية ....سلمته الملف ويبدو أن تلك الصورة سقطت بالخطأ.

كان داني الآن يحتقن وجهه على غباء هذا الضابط الذي أمامه وميرا نظرت له وعضت على شفتها على ظلمها له فاعتذرت بلباقة على سوء ظنها وتمتمت بضع كلمات ودخلت المطبخ لتعد لهما مشروباً ساخنًا وقد شعرت بانطفاء النار التي أحرقت صدرها منذ قليل .

أما هو فبعد ان غادرت همس بغل :

-أيها الاحمق...ألم تجد سوى هذه الكذبة البلهاء ...ببساطة ستتصل مع والدها لمعرفة ماان حصلت تلك النوال على العمل أم لا..واحتمال كبير أن تذهب غداً من فورها إلى الشركة لتتأكد الا تعرف كيد النساء .

كز عماد على أسنانه غيظًا وأجابه :

-لا تلمني أنا بسبب غبائك ما كان لك ترك الصورة هنا.

-هيا اصمت لقد عادت .

((الفصل التاسع والعشرون))

دلف داني الحجرة بعد مغادرة عماد ، و كانت جالسة على السرير تخفي وجهها خلف كتاب بحجة أنها تقرأ تقضم اظافرها بتوتر فها هي قد ظنت به السوء للمرة الثانية ، ولكنها عللت ذلك بحبها الشديد له ...الأنثى العاشقة يجب أن تغار على من تحب وهي لم تخطئ فأي امرأة أخرى كانت ستفعل مافعلته،

غطت وجهها بالكامل خلف الكتاب فاقترب منها وازاحه برفق، يحدق بعينيها بصمت ، رفعت نظرها تجاهه تحاول رسم ابتسامة على شفاهها الوردية وهي تتمتم له بارتباك : اه اتيت ...لم انتبه !!

لكنه عبس بوجهها وتصنع الغضب : صرت خفياً بالآونة الأخيرة أليس كذلك ؟...هل أضيفها إلى قائمة الصفات السلبية التي أملكها ؟

حكت جبينها بيدها كعادتها ما إن تكون مرتبكة وقالت بغنج عله يصفح عنها : وسام أنا حقا آسفة، ولكني فقدت أعصابي ....قليلاً.

وضع يديه بجيب بنطاله يستمع وزفر بقوة : هل لي أن أعيد على مسامعك كل تلك الالفاظ النابية التي نعتني بها قبل قليل ؟

نزلت من على السرير لتصبح قبالته ثم هتفت ببرائة :

-وهل لو كنت مكاني ورأيت بين اشيائي صورة مخبئة لشاب هل ستسألني بكل هدوء عمن يكون!!!

ابتسم بمكر وهو يتقدم منها ويلوح بوجهها مهدداً

وهي تنكمش على نفسها وتبتعد عن طريقه:

-حينها سأقتلك عزيزتي...ستكون ساعتك الأخيرة ..

-أرأيت ...إذن من حقي أن أصرخ بك .

-لما تعبثين بأغراضي ؟

-لم اعبث، كنت انظف.

-تركتي المكتب كله ولحقتي ذلك الدرج الصغير المقفل لتنظفيه!!!

تصاعد غضبها منه على هذه الإتهامات الباطلة ولم تستطع إلا أن تصرخ مجددًا..

-لم يكن مقفلا ، كما أنك إلى أين تريد أن تصل....تريد القول أني أتجسس عليك ...حسنا أنا أتجسس ، وإن يكن أليس من حقي الإطمئنان على زوجي !؟

شعر بفرح مفاجئ يدغدغ قلبه لغضبها وغيرتها عليه ، كتم ضحكته وقال باستسلام:

-من حقك أن تفعلي أي شيء حبيبتي ...لكن بدون اتهامات ....يا مجنونة أنا حبك أي تفكير ساذج هذا الذي فكرتي به قبل قليل...أأنا أحمق لأخون ملاكي !!.

اصطبغت وجنتاها بلون أحمر تلكأت قليلا قبل أن تغير مجرى الحديث:

-وسام عملك مطولاً حتى ساعات متأخرة من الليل لم أفهمه إلى الان واختفائك عن المنزل ، كلها أمور تدعو للقلق اليس كذلك ، لو انك تخبرني عن أعمالك لما كنت سأشك بك.

-ميرا تعلمين أني أحضر لمشروع كبير يستنزف طاقتي ووقتي ، وتعلمين كذلك أن أباك سلمني كل أعماله فالضغط بات مضاعفاً ، لكن حاضر...سأخبرك من الان وصاعدًا عن أي شيء أقوم به ، ارتحتي الان ...

ابتسمت وهي تجيبه "نعم .

-لحظةواحدة.. متأكدة من أنك قد صدقتني أن نوال موظفة أم تريدين أن أتصل بعاصم بك لتتأكدي منه بنفسك !

اخرج الهاتف ليتصل ولكنها اختطفته من يده ضاحكة..

-وسام كفى سخافة ..

ثم اردف بخبث: .ولكنك جعلتني أرى أنها جميلة شكر”

وسام أيهاا.....

تناولت الوسادة وقذفته بها وهي تصرخ به فالتقطها في الهواء ضاحكاً : أعشقك أيتها المجنونة..

****

ليلة السبت وعقارب الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلاً وها هو سيأتي بعد قليل جهزت نوال نفسها وتبرجت بطريقة صارخة كما اعتادت لحين سمعت طرقات خفيفة على الباب...نهضت لتفتح له، كان حسام ذا الأربعين عامًا أنيقا كعادته...جذاب ومغرور وقاتل ..كل صفة سلبية في العالم مجتمعة به ، ولكنها تحبه ...نعم علاقتهم مجرد علاقة عمل ،ويا له من عمل ، ولكنها لن تستطيع إخفاء إعجابها الشديد بشخصيته الغامضة المثيرة ..ولكنه يبقى حسام وكيل أضخم شركة لمساحيق التجميل بالمقارنة مع نوال مجرد بنت ليل ، استغلها كواجهة للترويج لتلك البضائع الملغومة مثلها كمثل غيرها ممن استغلهم ليبقى اسمه وسجله نظيفين....هي تدين له بأنه خلصها من ذلك المستنقع القذر الذي كانت تغوص فيه ... ولكنه اوقعها بمستنقع اخر لا يقل بشاعة عن سابقه ...

-مرحبا نوال كيف حالك .

ابتسمت ابتسامة خفيفة لكنها تحمل كل معاني اللهفة

-أهلا سيد حسام تفضل .

لحق بها إلى الداخل خلع سترته وجلس على الأريكة ثم رفع نظره تجاهها قائلاً بإعجاب :

-تبدين جميلة اليوم "

أزاحت خصلة من شعرها الأسود خلف أذنها وتبسمت بامتنان : شكرا هذه مجاملة لطيفة منك ...سأعد لك الشاي

لا وقت للشاي الآن تعالي أريدك "

تقدمت باستسلام لتجلس أمامه وتقول بضيق.

-مالأمر بضاعة جديدة ؟

ابتسم بسخرية مجيباً : يعجبني ذكائك ....إن لم أحضر بضاعة جديدة مالي والمجيء إليكِ ؟

-اوه ..معك حق اعذرني على سؤالي الغبي.

-لا تهتمي اعتدت على ذلك.

ببرود يقول تلك الكلمات غير آبه لما ستشعر به وكالعادة ابتلعت تلك الاهانة بصمت لتعرف ما ورائه هذه المرة ..

اعتدل بجلسته مخرجًا سيجارا قام بإشعاله لتزداد الرهبة من شخصه ثم قال بصوت عميق جاد وهو ينفث الدخان...

-175 كغ من حبوب (ال اس دي) ستصل في القريب العاجل أطلعي الزبائن كي أجمع نصيبك منهم وأسلمك إياهم .

فتحت فمها على اتساعه لهذا الرقم المخيف....! تقصد حبوب الهلوسة !!! ولكن ومن أن لي تصريفهم..انت تعرف زبائني وطلبهم ، أغلبهم يطلب الهروبين ، مهووسو الحقن وءءء

ولكنه قاطعها بحزم ....

-في المعاهد....الجامعات .... بالصيدليات التي تعمل تحت أمرتنا. ... اعطها لهؤلاء الحمقى الذين يتجولون في الطرقات ، بمتجر عاصم الضخم ، ألم تري اقبال الشباب على هذا النوع من المخدرات....انه بسيط جدا وسهل التناول بإمكانك تصريفه بسهولة كما أنه لا يشكل خطراً بالنسبة لنا فهي بكافة الاحوال مجرد نوع من الأدوية .

اعترضت قائلة:

-ولكن ...

-هيي أيتها السافلة ....نحن لا نناقش هنا....أنا اقول وانت تنفذين ، كلامي واضح .

اشاحت بوجهها غضباً منه...ولكنه محق ، طلب منها وما عليها سوى السمع والطاعة كالعادة .

-أنت رأيت بنفسك ماالذي جرى في المرة الماضية كنت سأكشف على يد طالب غبي.

-هذا خطأك عزيزتي ...خبيرة مثلك بهذه التجارة وتخطأ خطأ فادحا كهذا ....أين كان عقلك حينها بالخمارة أم أنك تركته في المنزل ؟

-حسناً ...لا يهم الآن متى موعد التسليم وأين؟

-سأخبرك حينما يحضرها عاصم "

****

بعد بضعة أيام كان واقفا أمام الواجهة الزجاجية للشرفة يتأمل اللون الارجواني للشمس قبل أن تتوارى خلف تلك الأبنية الشاهقة في هذه المدينة، يحدث نفسه أن الوقت قد حان...أكبر عملية تهريب ستحصل ، يجب أن يتصرف بسرعة ويبعد ميرا عن المدينة كيلا تصاب بأذى ..

انتشله من شروده صوت خطوات قادمة، التفت ليجد عاصم قد حضر .... قبيح بوجه شيطاني كثيرا ما كان يتسائل كيف استطاع أن يتحمله كل تلك السنوات دون يقتطع رأسه !!!

أحياناً كثيرة كان ينويها فعلياً ويهم بها إلا أنه يتمالك نفسه بآخر لحظة ...أصعب شعور هو أن تتعايش مع عدوك ...تضحك له وتأكل من طعامه وشرابه لا وبل تتزوج من ابنته! لما الدنيا دائما تريد أن تثبت أن باستطاعتها تدميرنا على هذا النحو !

-أهلا عاصم بك كيف حالك اليوم يبدو أنك ترهق نفسك كثيرا في الآونة الأخيرة.

-نعم يبدو أنني بدأت استسلم لواقع كوني عجوزاً..اطلق ضحكة قبل ان يجلس على كرسيه وقام بعقد يديه أمامه على الطاولة ثم نادى على داني :

-تعال وسام اجلس هنا "

انصاع لاوامره وجلس على مقربة منه ثم قال:

-تفضل عمي أنا استمع.

- كل ما مضى وجميع تلك الشحنات السابقة ...كانت مجرد (لعب عيال) كما يقولون ، تمشية أحوال ريثما تصل الشحنة الكبرى ، هنالك شحنة كبيرة قادمة يوم السبت القادم أنا لن استطيع لوحدي أن اقوم بهذه المهمة.

-تريد مني أن أقوم بذلك بدلا عنك ....ولكن ماهي هذه المرة ؟

-تعرف حبوب (ال اس دي..)

-ماذا

اطلق عاصم ضحكة اخرى قبل يتمالك نفسه اخيرا ويقول...

-كم انت ساذج يابني....

لكن داني أعاد سؤاله مرة اخرى

-ماهي تلك الحبوب سيدي وهل هي التي جعلتني أتعاطاها ؟ ..

أومئ له عاصم مؤيداً : حبوب الهلوسة...نوع من المخدرات يتناول عن طريق أقراص كالدواء هو أسهل من تعاطي الحشيش والماريجونا والهروبين وتهريبه أسهل أيضا .. تنتشر بسرعة بين الشباب ويستطيع أي كان شرائها .وببساطة بعد أن تدمن عليه ، حبة واحدة منه كفيلة بأخذك في رحلة إلى بلاد العجائب...

ثم صار يضحك بشدة قبل أن يردف ....تخيل أنه في فرنسا رجل القى بنفسه من شرفته لانه ظن نفسه طائرا ويريد أن يحلق عالياً.

أكمل ضحكته الشيطانية بينما استنفرت جميع خلايا داني بعصبية....كيف له أن يكون عديم الاخلاق لهذه الدرجة....سيدمر جيلاً من الشباب بأكمله عن طريق هذه الحبوب دون أن يهتز له جفن واحد.!!

أخذ نفسا عميقاً يحاول كبح نفسه من التصرف بطيش قبل أن يسأله :

ولما هي تحديدا ؟

-لانها أدوية يابني..... يستطيع أي كان شراءها من بعض الصيدليات بكل بساطة لأنها تحوي على مادة مخدرة وبدون أي وصفة طبية ببعض الأحيان ..... بعض الاطباء يستخدمونها كمسكن للآلام لمرضاهم ثم ببساطة تصبح وسيلة للإدمان ...ألا تعرف أناساً يدمنون على أدوية السعال !!! ثمنها رخيص تستطيع تناولها أينما كنت ولا يشك بك أحد .

- أدوية عاصم بك ؟ألن يكون ذلك مريباً إن كشفت!!

-آه منك....متى ستتعلم أصول العمل!!

-نحن نقوم بتهريبها بأي وسيلة ممكنه برا ، بحرا ، ولن تكتشف لأن لا رائحة لها ولا شكل مميز . هذا طبعا بعد أن نتعاقد مع مخابر سرية تقوم بتعديل مكونات تلك الحبوب لنزيد الجرعة المخدرة بها ثم توزع إلى باعة المخدرات في أوكارهم السرية ...

-مادوري انا لم افهم إلى الان .

-ستستلمها .

-اريدك ان تأتي معي لاستلامها...لن اعرف ان كانت جيدة ام لا فلم ارها في حياتي سوى تلك المرة .

مط شفتيه قليلاً ثم قال له :

-لا بأس هذه المرة فقط ستعرف كيف تفحصها وبالواردات القادمة سوف تذهب بمفردك ...

ابتسم داني وأومئ له بينما يتمتم لنفسه...

-هذا إن كانت هنالك مرة قادمة أيها الوغد ....

****

الفصل الثلاثون

الكلمات تموت أمام الرقص....

فهو أصدق تجربة يعيشها الإنسان أو يمر بها في حياته ، فمنذ أقدم العصور ارتبطت مفاهيم البشر بالرقص للتعبير عما قد يعتريهم من ألم ، فرح و حزن حتى أن بعض المعتقدات الوثنية قديما كانت تقوم على الرقص بحركاتها ...فمثلا أثناء تقديمهم القرابين للآلهة قديما كان البشر يقومون بحركات راقصة لكي تتقبل منهم هذا القربان..

وتطورت الحياة وتطور معها مفهوم الرقص للإنسان فنحن نرقص أحيانا بطريقة فطرية عندما نكون سعداء فنتمايل ، نقفز أو ندور ، ... حتى أثناء حزننا وجزعنا نقوم ببعض الحركات كضرب الرؤوس أو الإنحناء واللطم والتي تعتبر كذالك نوعا من أنواع الرقص التعبيرية فهي تترجم ماقد يشعر به الإنسان..

الأطفال ومنذ سنواتهم الأولى ماإن يسمعوا لحنا ، يتحرك جسدهم بتلقائية وكأنها فطرة قد فطر الإنسان عليها .

اختلفت الرقصات وتنوعت لدى الشعوب ، تطورت بتطوره لكن أصدقها وأجملها هو الباليه ...حركاته مبنية على الإحساس وضبط حركات الجسد مع الإيقاع ،تسمو فيه العواطف والأحاسيس لتصبح الروح شفافة نقية ويظهر ذالك جليًا إذا وصل الراقص لهذا اليقين والمستوى المتمكن.

كانت التدريبات تشتد يوماً بعد آخر لاقتراب موعد العرض وموعد انتهاء بعثة الدراسة المقررة لها .

تقنياتها تطورت واحساسها تضاعف والفضل يعود بذلك الى رواد أولاً ثم إلى لويس..

هذان الشابان اللذين أحباها بصدق فقدما لها كل مهارتهما وشغفهما لتدريبها ...خصاها باهتمام شديد لترى أنها الراقصة الأساسية لهذا العرض الذي قضت سنوات عمرها تحلم به ...أن ترقص بدارالاوبرا في فرنسا إنه لأمر عظيم على فتاة فقيرة تعلمت خطوات الباليه الأولى في مدرسة اشد ما يقال انها ذات درجة ثالثة !!

في ذلك اليوم الذي تحدث به رواد الى لويس قام بكل هدوء من مكانه وسط نظرات رواد إليه ..

خرج من القاعة ومشى طويلاً ...ساعتان ولربما ثلاث يمشي تحت ضوء القمر الذي لم يزد الليل إلا اسوداداً في عينيه ،نجوم السماء كانت تتلئلئ ولكن نورها لم يصل إلى قلبه المعتم ...لقد أحبها بصدق ، إنها أول حب حقيقي طاهر نقي يشعر به في أعماقه ...

فهذه المرة الأولى التي يحب بها دون أن يلمس حبيبته ..كلما ابتعدت عنه كلما تعلق بها أكثر ولكن هذه هي الحياة نحن لا نحصل على كل ما نتمناه .

كانت يارا بالنسبة له نجمة ساطعة صعب الوصول اليها ...مهما حلقت وارتفعت في السماء لتيقنك أنها قريبه تفاجئ بأنه عليك الارتفاع أكثر ظنا منك أنك ستظفر بها ولكن هيهات... حينما تعرف أنك وصلت ستفاجئ بأنك كنت تلحق سرابًا ليس إلا ، فتلك النجوم التي نراها في السماء ماهي لا ضوء قد كان مكانه نجمة منذ ملايين السنين .

شرب كثيراً في تلك الليلة كان يشرب ويمشي بلا هدف ....يفكر بها يستشعر وجودها وابتعادها عنه

مشى ومشى ولم يشعر بقدماه اللتين قادتاه بشكل تلقائي إلى عمارتها ...تلك العمار التي زينت الحي بضوء ساطع...أضائت ذلك الشارع المعتم وأضاءت باريس كلها ولكنها لم تزد قلبه إلا ظلمة

صعد درجات السلم بصعوبة وطرق بابها صارخاً:

-يارا افتحي الباب، أيتها النار التي احرقت فؤادي

يابحراً غرقت بحبه حتى الثمالة....أريد محادثتك .

يا وطناً ضعت بعيدا عنه اخرجي إلي .

لم يكن لها بضع دقائق فقط قد وصلت إلى المنزل وسمعت طرقاته . نظرت إليه من خلف الباب مترددة في أن تفتح لترى تلك الدراما التي يقوم بها أمام باب الشقة ...إنه ثمل دون أدنى شك " قالت لنفسها وحاولت تجاهله ولكنها لم تستطع حالته كانت بائسة جدًا ....

هل علم بشان علاقتي مع رواد ؟ هل أخبره أننا عدنا من جديد؟ أفاقت من تساؤلاتها مجددًا على صراخه : يارا ....افتحي الباب اللعين حالا "

فتحت له اخيرًا خوفا من ارتفاع صوته اكثر أمام جيرانها وكان متكئا عليه بجسده فوقع أرضا من فوره ..حاول النهوض مراراً لكنه لم يفلح فعاد بجسده الى الوراء وجلس على عتبة الباب ،سحبها من يدها وقال

اجلسي هنا ...أريدك بجانبي.

-لويس أرجوك أنت ثمل ...سأعد لك القهوة اتفقنا ..

افلت يدها قائلا : قهوة حلوة كوجهك احضريها وتعالي إلي

ذهبت لتعد له القهوة وهي تحاول أى تتصل برواد لكن خطه مقفل!!!أين عساه ان يكون إلى الآن.

جلبت فنجاناً كبيرًا وجلست أمامه على الأرض ناولته هياه وكان البخار المنبثق من كوبه يتصاعد أمام وجهها ....صار يضحك قائلاً لها بصعوبة :

-أنت الآن مارد خرج من كوب الفهوة خاصتي ...حققي لي أمنيتي وتزوجيني ....

-آوه ...يالهي ماهذا المجنون الذي تورطت معه الآن!

-احبك يارا ...أنت حبي الوحيد لما عدتي إليه وحطمتي فؤادي!!

-هيا اشرب القهوة الآن أرجوك لويس.

-هل ستحققين أمنيتي إن شربتها ؟

-نعم عزيزي سأحققها ان شربت الكوب كله"

نظر لها مبتسماً ورفع الكوب وافرغه بجوفه دفعة واحدة وسط صراخها ....

أيها الغبي ماذا فعلت فتوسعت عيناه صارخاً: إنه حارق لقد أحترقت حنجرتي ....

أمسك حنجرته بألم وصار يئن ..

-ياله السماوات ماذا سأفعل لك الان انتظر هنا"

وركضت الى المطبخ لتحضر له كأسا من الماء اسندت رأسه ببدها واشربته اياه.!!

-هل هذا افضل؟

-نعم ....لكن حنجرتي تؤلمني كقلبي. .

حض رواد أخيرًا ليراه على هذه الحال فصرخت به بأعلى صوت...أين كنت بحق الجحيم إلى الآن ، إتصلت بك مئة مرة لتخلصني من هذا الأحمق .

-مالأمر مالذي جرى ؟...لقد نفذ شحن هاتفي و..ولكن مابه هذا الفرنسي؟؟

كان لويس مايزال يئن من الألم ممسكاً رقبته ومستند بظهره على الباب الخشبي ، نظرت إليه بشفقة ثم قالت: إنه ثمل أعددت له كوب قهوة فأفرغه مباشرة في جوفه وأحرق نفسه ...خذه إلى الطبيب.

ضحك رواد وهو يحاول انتشاله ف ساعده على النهوض ودخل به إلى منزله وضعه على الاريكة ليتمدد ثم قال ليارا : لا عليك سيكون بخير ولكن لما فتحتي الباب له وهو بهذه الحال .

-ألم ترى حاله لم يكن يقوى على الوقوف وصار يصرخ بقوة خشيت أن يخرج أحد الجيران...لا ينقصني كلامهم الآن ، هيا تولاه انت ساذهب الى شقتي فقد تأخر الوقت

-حسناً عزيزتي تصبحين على خير .

****

أغلق داني جهاز التسجيل وابتسم ابتسامة واسعة لعماد الذي ضحك على سذاجته ثم قال :

يابني هذه وسيلة بدائية للإيقاع به لكن لا عليك مع امساكهم متلبسين ستفيدنا .انت المهم أن تعلمني عن مكان وموعد التسليم وأنا سأتكفل بالباقي..

-دائما ما تحبط اعمالي أيها المختل ... إسمعني قبل كل شيء أريد أن ارسل ميرا الى فرنسا لا أريدها أن تشهد هذه المصيبة التي ستحل بعاصم هنا.

-تقصد تريد إرسالها عند رواد؟

-نعم ومن غيره.

-لا عليك سأحجز لها تذكرة الى هناك وسأرسل من هناك من يرافقها ليوصلها إلى باب داره إن أردت .

-جيد جداً وأرجو أن يتم كل شيء كما خططنا له .

وبالنسبة لنوال هل عرفت شيئاً عنها أم أن شجاري مع ميرا كان بلا فائدة ..

صار يضحك بقوة ثم قال :

-لا لم يكن بلا فائدة تلك الغبية تساعدهم في ترويج المخدرات.

-كيف...ولما لم تلق القبض عليها اذا!!

عزيزي إن القينا القبض عليها ستحبط تلك العملية المقررة يوم السبت وحسام وعاصم ببساطة سينكران معرفتهما بها وستكون هي المسؤولة الرئيسية هل فهمت الآن

-فعلاً معك حق ..ولكن كيف عرفت انها تساعدهم؟

-طالب جامعي كان يتعاطى من تلك الحبوب التي انتشرت مؤخرا بين الشباب القينا القبض عليه لنعرف من خلاله الوسيط الذي يبيع اليه تلك الحبوب..

-وطبعا كانت نوال؟

-لا ...كان شاب آخر اعطانا اسمه وعنوانه ...راقبناه خلال الفترة الماضية وبالصدفة كان قد ذهب الى متجر لبيع مستحضرات التجميل تروج لمنتجات الشركة التي يديرها حسام بهذه المدينة وكانت نوال هي التي تبيع بداخل المتجر !!

هل يبدو الأمر مجرد مصادفة...لا أظن فذلك المشهد قد تكرر كثيرا به وبغيره.

تخيل متجراً لبيع مستحضرات التجميل ورواده اكثرهم من الشباب ...فهل قرر الرجال أن يضعوا مساحيق التجميل مؤخرا ! اتعرف داني ....نوال كغيرها من الفتيات الاتي يتم استغلالهن بهذه الطريقة للترويج لهذه المنكرات...هي بيدق يلعبون به كيفما يشاؤون وإن استشعروا بخطر ما سهل عليهم جدًا أن يتخلصوا منها ببساطة .

والأخطر من هذا كله أن تلك الحبوب أصبحت بمتناول الجميع بحكم انخفاض سعرها، ولربما تصل لسعر علبة مشروب غازي ببعض البلدان العربية أو أغلى قليلا...لكن السؤال المهم ...من هو المسؤول عن انخفاض سعرها؟ .

****

((الفصل الواحد والثلاثين))

وتخيل معي ....بسعرٍ زهيد ستحلق بسماء الاحلام...سيبدو كل شيء حولك لامعاً براقاً مبهجاً...بحبةٍ واحدة ستنسى همومك وما حولك

هذه الأعراض التي ترافق تعاطي حبوب الهلوسة

"إل إس دي" التي هي نوع من المخدرات تجعل الدماغ غير قادر على الاستيعاب والفهم وتظهر آثارها غالبا بعد تناولها بنصف ساعة كما حصل لك مع حماكَ العزيز.

ضحك عماد ثم اردف : ويستمر المفعول اثني عشر ساعة ، وبمجرد أن تبدأ رحلة التعاطي حتى يصبح التحكم فيها أو إيقافها أمرًا مستحيلاً، وقد يؤدي تناول هذه المخدرات إلى تكوُّن ارتباط نفسي باستعمالها ، حيث تختل معايير الوجود الحقيقية فيصبح الإنسان بأكثر من وجود وأكثر من إدراك ، و المسافات الزمنية متقلبة و المكانية مميّعة ، لن يعود هناك وجود أصلاً ، و الأشخاص الذين يعرفهم سيتذكر أسماءهم لكنها لن تتطابق مع وجوههم التي أصبح لها ملامح أخرى !

قال داني بحنق:

حبوب الهلوسة أصبحت ظاهرة خطيرة تهدد المجتمع،

المخدرات ، الحشيش ،إلى حد ما نستطيع ان نحد من انتشارها هي أصلا لا تباع إلا لفئة معينة من الناس وبظروفٍ معينة لايمكن لأي كان شرائها وتداولها ...أما بالنسبة لهذه الحبوب فالأمر أشد وأخطر ...القرص أصبح مباحا في بلادنا كمن يشتري علكة ليمضغها ولكنها تأخذه إلى عالم اسطوري يختلقه بمخيلته فقط ....

كان توقعك صحيحاً عندما قلت لي ذات مرة ان الموضوع أخطر من كونه تجارة مخدرات ....إنها تجارة الموت ... تجارة تبيع عقول الشباب وتسلبهم أخلاقهم وحياتهم وعفتهم ...تدمر مستقبلاً وجيلاً كامل والأغرب من هذا كله أن الحكومات لا تفعل شيئا يذكر حيال هذا الأمر !! .

بل لا تفعل شيئاً على الاطلاق. .

قاطعة عماد مؤيدا:

-المهم الآن أن نلقي القبض على عاصم وشركاه ولو اضطررت الى اقتلاع جميع الرؤوس المشاركة بهذا الدمار فلن أتردد.

-صدقاً أتمنى هذا ياصديقي..أريد إنهاء دوري بهذه القضية وأرتاح...كانت مجرد قضية ثأر لعائلتي فأصبحت قضية ثأر لجيل كامل من شبابنا المدمنين .

خذ هذا جواز سفرها احجز تذكرة الى باريس وسهل تصريح خروجها فالأوان قد حان .

-حسناً لا عليك داني سأتصرف بهذا الموضوع "

****

أنا آسف لاني سمحت لعواطفي أن تنجرف نحوك بهذا الشكل القاسي ، وآسف على مشاعر الحب الرقيقة التي حاوطتك بها دون أن آبه لرفضك لي وابتعادك رغم اقترابي .. تجرعت كؤوس الخمر حتى الثمالة لأنساك ولم تزدني تلك الكؤوس الا تفكيرًا وتعلقًا بك، سامحيني على ما اقترفته يداي من أنانية ناسيًا متجاهلاً حب رواد اليك ومشاعركما الجميلة تجاه بعضكما .

كانت تتمرن على أنغام مقطوعتها الموسيقية قبل أن يقتحم خلوتها ويحدثها بهذه الكلمات ..التفتت نحوه بصمت تحاول تهدئه أنفاسها الاهثة بسبب التدريب قبل أن يقترب أكثر ويردف :

كنت شجاعًا قويًا فيما مضى والآن أمام عينيك ذهبت قوتي أدراج الرياح ، مذ عرفتك عرفت معنى الحب الطاهر النقي... ، أعرف أنه لم يكن ذنبك أنك لم تبادليني هذا الشعور الجميل ، ولكنه لم يكن ذنبي كذلك "

اقترب لويس حتى صار أمامها مباشرة ، تلاحقت أنفاسها ، واضطربت نظراته وعيناه لا تحدقان إلا بها ، وكأن المسرح كله قد تلاشى من حولهما لتصير هي محور الكون, آنستي هل لي بهذه الرقصة " تسائل بلهفة

-لويس أنا " وضع إصبعه على شفاهها مترجياً : لتكن رقصتي الأخيرة هنا معك ....على هذا المسرح الذي تمنيت أن أراقصك على أخشابه ...لتكن هذه هي المرة الأخيرة التي سأسمع بها صوت ضربات قلبك قريبًا مني . لتكن خطواتي الاخيرة معك الآن، فغداً لن يكون لي وجود هنا ،قررت أن أسافر وأهرب بعيدا عنكِ ، وعن نفسي وعن الجميع ، سأبدأ حياة جديدة بمدينة جديدة ، صدقيني لن أتحمل

اقترابه منك وابتسامتك التي لم تهديها إلا إليه، لا أريد أذيتك بلحظة ضعف، فالغيرة ستعميني عن الصواب،

قالت بأسى : ولكن العرض سيدي ..!!

-لا يهمني .. كنت أدربكم وأديت واجبي نحوكم. والعرض سيكمل تدريبه لكم رواد بمساعدة المدربين الباقين كما أنه سيكون بعد بضعة أسابيع فقط وهاانتم قد حفظتم الحركات جيداً فلا داعٍ لوجودي الذي لن يزدني إلا عذاباً..

اخفضت رأسها تتمتم بخفوت: آسفة لأجلك.

مد يده ليحاوط خصرها بعد أن شغل الاسطوانة من جديد، ولكن على موسيقى بحيرة البجع ...عرف أنها تحبها وأراد ان يراقصها على أنغامها...كان ينظر إليها بصمت بعد هذه الكلمات، يريد أن يودعها على طريقته الخاصة وحتى لو كانت درامية، فالحب أكبر دراما !! كادت أن تتكلم أكثر من مرة لكنها ترجاها أن تصمت فلا يريد ان يعكر صفو دقائقه الأخيرة معها بكلمات لن تفيد في شيء سوى زيادة أحزانه اكثر

كانت الشمس تعلن حدادها لتلون الأفق بألوان الغروب ..غروب روحه التي خالطت أولى خطوط الليل ..

أخذ نفساً عميقاً مغمضاً عينيه ثم رفع كفها ولثمها قبلة طويلة، كان يريد أن يستشعرها..يريد أن يشتم عبيرها لأول وآخر مرة لكنه كبح جماح رغبته الدفينة ، فهاهي الآن ليست له، لم تكن ولن تكون، فتح عينيه اخيراً

وهمس لها (أحبك) ثم أبعدها عنه فجأة قبل أن يغرق أكثر ، ناظراً لعينيها البحريتان بجمود غريب قائلا:

- أتمنى لكما حياة سعيدة فأنتِ تستحقين السعادة .

ودعها مغادراً خشبة المسرح وإلى الابد .

صعد مدرجاته قبل أن يختفي خلف الباب تاركًا المكان يعبق بهدوء وسكينة ووقفت هناك وحيدة دامعة العينين على حب جميل صادق لم تستطع مبادلته اياه تمنت له التوفيق في حياته وفي مسيرته المهنية فهو يستحق النجاح ويستحق ان يعيش قصة حب جميلة مع إنسانة تحبه بصدق

((الفصل الثاني والثلاثين))

وسام من أنت!!!.

قالتها بصدمة كبيرة ، وهي تحدق بعينيه عند دخوله من باب الشقة ..مئات الأفكار تضاربت بعقلها وهي تنظر الآن له بارتباك كبير وخوف بعد الذي عرفته منذ برهة ، مسح شعره بتوتر على سؤالها المفاجئ الذي دمر كل مخططاته وقال بتلعثم مغتصباً ابتسامة من ثغره ليزيح الخوف الذي استعمر فؤاده:

-ما الأمر ميرا ؟؟أنا ....أنا لا أفهم قصدك حبيبتي"

لكنها قطعت كلامه وهتفت بحدة :وسام.. سأعيد هذا السؤال للمرة الاخيرة..من أنت "وشددت على اخر كلمتين دامعة العينين ،

كان عقله الآن يعمل بسرعة كبيرة ، هل عرفت كيف عرفت ومن أخبرها؟؟!! وقرر أنه سيواجه سؤالها بجواب مغاير ثم قال مخرجًا جواز السفر وبطاقة الطائرة: لقد حجزت لك لتذهبي إلى باريس كما وعدتك وستسافرين قريباً " فقاطعته مجددا بأن صرخت به ملئ حنجرتها هذه المرة: وسام من أنت ماهو عملك الحقيقي !!!

استدار ناحيتها وصرخ هو أيضًا راميا الأوراق على الأرض: وما الفارق عندك بمن أكون ....هاه....هل سيحدث فرقا إن قلت لك أيتها المغفلة ؟

منعت شهقة أخرى من الخروج ولكن دموعها بللت وجنتيها وصارت تردد: أنت...أنت اخاها ! كنت لعبة غبية بيديك أليس كذلك ايها المخادع، كنت مجرد جسر للإنتقام.

ضربته على صدره بقوة في حين أمسكها من كتفيها و صار يردد: ميرا اهدئي حبيبتي ارجوكِ ليس كما تظنين.

ضحكت باستخفاف وأجابته :ما أدراك مالذي أعرفه،او مالذي عرفته يا .... يا سيد داني !!!

ثم اردفت ببكاءٍ مرير: انا ....انا كنت مجرد جسر للانتقام من اهلي !كنت غبية وساذجة وظننت انك تحبني ؟ ولكنك دمرتني بكذبة كبيرة جدا .

جلس على الكرسي متنهداً ومسح وجهه بيديه وصار يقول:

- أريدك ان تعرفي شيئاً واحداً..إني أحبك ميرا..كنت خائفاً من حبك والآن أنا وقعت فيه، نار الحقد قتلت قلبي ولكنك أحييته من جديد، نعم كنت أريد الانتقام والفتك بكل من حولي دون أن أرحمهم ولكن لمجرد تواجدي معك اختلف كل شيء....إن اقتصصت من الجميع لن استطيع ايذائك ..احببتك ،بل عشقتك بجنون و ...."

قاطعته قائلة :اخرس أيها الكاذب "

-داني جمال قالتها باستحقار شديد ثم قذفت إليه ببطاقة هويته الحقيقية رآها على الأرض كتابوتٍ يرقد ، ابتلع غصة بحلقه ثم أومئ لها باستسلام :

-وهاقد عرفتي أني داني ..إبن السائق "

اجهشت بالبكاء وهي تصرخ به :أنت شخص حقير....كاذب استغللتني فقط لتنتقم من ابي ..صرت ضحية لعبتكما القذرة أنت.. أنت...

ولم تستطع هكمال كلماتها تلك ولم تعرف كيف لها أن تواجهه بعد أن حطم فؤادها ، بعد أن اكتشفنت أن زواجها لم يكن مبنياً على حب صادق كما رسمت بمخيلتها ، بل على غدرٍ وحقد ، تركته بالصالة وغادرت لولا استوقفها وشد على ساعدها بقوة.

- ميرا "

افلتت نفسها من بين يده وصرخت: اتركني وشأني .

ركضت إلى غرفتها واقفلت الباب بالمفتاح بيدين ترتجفان ولكنها لم تتحمل تلك الصدمة فانزلقت على الأرض لتستكين على الباب وهي تبكي ، تقدم نحو الباب تلمسه بيده وجلس على عتبته هو الأخر مستنداً برأسه عليه وحدثها :

-أنت لاتعرفين شيئًا أبداً ..لا تدرين مقدار الألم الذي سببه والدك .. لا تعرفين كيف آذاني ودمر حياتي ..الموضوع أكبر مما افهموكي إياه ..

خرج صوت بكائها من خلف الباب المغلق مما زاد من حرقة فؤاده...فأكمل يتكلم لها ...يخبرها عما جرى معه، صرخ فيها ان ممدوح كان سينتهك شرف اخته على مرأةً من عاصم والجريمة الكبرى هو حبها لرواد! واخبرها عن موت أبيه في السجن بسبب عاصم ..تحدث عن صديقه مروان الذي لقى مصرعه على يد عاصم، تحدث مطولاً وسط صمتها المطبق الذي كان جمرا بقلبها ، فها هي قد

سمعت شيئاً جديداً بشعاً عن والديها ...صفة أخرى عرفتها عنهما ،جميع من حولها أصبحوا مخادعين وهي الضحية الوحيدة ،كانت لتتوقع كل شيء إلا أن يكون أباها قاتلاً كتمت شهقاتها المتواصلة قرفاً وصدمة وانكساراً لكنها لن تضعف بعد الآن، لا يستغلها أحدٌ مجدداً ،

وبعد أن القى مافي صدره من هموم واعترافات خرجت حاملة حقيبة صغيرة بيدها ثم قالت له : .اعطني جواز السفر والبطاقة

حدق فبها مستجدياً...فهو لايريد خسارتها بهذه البساطة نهض من فوره مترجيا إياها ولكنها صرخت به .

-أريد جواز سفري وبطاقة الطائرة اللعينة حالاً والا لن تعرف مكاني ...أقسم أنك لن تعرف مكاني ، هيا هاتها.

ولكنه وقف بمكانه كالتمثال لا يتحرك تجاهلته ونظرت حولها تبحث حتى رأتهم على الأرض انحنت والتقطتهم وحدجته بنظرة أخيرة فضحت كل ما يعتريها من حزن وألم منه ومن لعبته ثم قالت بهدوء يختلف عن البركان الذي بداخلها : أنت لا تختلف عنهم بأي شيء .

وغادرت منزله وحياته ، فانهار بمكانه على الأرض وقد تبدد كل شيء قد خطط له تلك السنوات بلحظةٍ واحدة

بطاقة هوية غبية كان قد نسيها بخزنة مكتبه بين الاوراق كانت كفيلةً بتدمير حياته ، تعاظمت الشكوك من ناحيته اليه وكانت مصممة ان تعرف نوعية عمله مع والدها،انتشلت المفاتيح ونسخت عنهم لفتح الخزنة عندما لا يتواجد ونتيجة الفضول اكتشفت اعظم سرٍ احال الدنيا جحيماً لهما ،بضعة أوراق وملفات عن عاصم قد دمرت كل شيءٍ بثوان .أخرج هاتفه متصلا بعماد فهو المنقذ والمخلص له لم يبقى لديه أي أحد يستنجد به إلا عماد

- لقد رحلت

قالها وانهار باكياً على الهاتف ،ليجزع صديقه ويهرول اليه مستفهماً عما جرى .،

صار ضائعا خائفا مشوشا ليس لأجل فشل خطته في القضاء على عاصم وشركائه بل لأنه فقدها، آخر همه الآن عاصم ، لأن أعز إنسانة على قلبه بلحظة واحدة دمرت كل شيء .

صار عماد يدور كالمجانين في الصالة خائفًا من أن تتحدث لوالدها وتحكي له كل شيء فيأخذ احتياطاته قبل موعد التسليم ، أخرج هاتفه وأمر مساعديه بإيجادها فوراً واقفال خطها قبل أن ترتكب أية حماقة.

ثم صرخ انفعالاً به وشتمه على إهماله وشد بقبضته على قميص داني وهو يجلس أرضاً ضاحكًا على غبائه الذي جعل زوجته محط مراقبة الشرطة :

-كان لا يتكلم بشيء، وعماد لم يستطع كبح غيظه منه ولو أن تمنى بهذه اللحظة أن يفجر براكين غضبه عليه أكثر ويحطم رأسه، شعر أن كل تلك السنوات التي قضاها بتدريبه معهم قد ذهبت أدراج الرياح وتلاشت بسبب امرأة ! ...الحب غلطة كبيرة

الحب جريمة !

****

خرجت مكسورة مهزومة ضعيفة ...كل ذلك الحب الذي كان يغدقها فيه كان مجرد تمثيلية رخيصة ولعبة قذرة فقط لينتقم ! وأي انتقام هذا الذي يجعلك تتلاعب بعواطف من يحبك...من اعتبرك شريكه وكل شيء بحياته ..حلمت وتأملت ورسمت لنفسها مستقبلاً مزهراً مع أكبر كاذب على وجه الأرض والآن عادت وحيدة .

هربت من مستنقع عاصم لتقع بمستنقع أكثر قذارة وظلما .وفي النهاية لم تكن سوى لعبة بيديهما، قادت سيارتها ليلاً وصارت تبحث علها تجد مكانًا لتبات فيه فموعد الطائرة بعد يومين .حجزت في فندقٍ بسيط و دخلت من فورها إلى غرفتها ارتمت على السرير وقد شعرت بمدى غبائها كل تلك المدة التي عاشتها معه وتعلقها به ... حبه وعطفه وحنانه لم يكن سوى لسيتدرجها لتقع في شباكه ..

كل اسئلته لها عن أبيها وأمها وحياتهما لم تكن إلا استدراجاً ماكراً ليستكمل ألاعيبه .

****

اتصل بها عشرات المرات هذه الليلة ولكنها لم تجبه بقي هاتفها يرن ويعلن عن وصول رسائل منه حتى نفذ شحنه وانطفأ كما اطفأت روحهما ...كانت أضعف من أن تجيب فقد حطمها وآذاها كثيرا .لن تستطيع العودة إلى منزل أبيها القاتل ولن

تستطيع النظر بعينيه مجددًا ولم يكن لها إلا أن تسافر إلى رواد فلم يتبقى سواه تلتجئ اليه.

يومان قضتهما في هذا الفندق روحٌ هائمة فقط مع جسد ذابل وعينان متورمتان من شدة البكاء، مع أن عماد عرف مكان إقامتها إلا أنه لم يخبر داني فلا يريده أن يقوم مجددا بتصرفٍ أحمق قد يندم عليه ويقضي على ما خططا له .... فبالنسبة لعماد العمل والقضاء على تلك الخلية أكبر وأهم من قلب امرأةٍ محطم .

أعطاه حبة منومة واطمأن انه لن يستيقظ قبل مدة طويلة قبل أن ينطلق إلى مايرمي اليه .

اتجه الى الفندق وطرق بابها بهدوء قبل أن تتجهز لتلحق بالطائرة ،فتحت له وتسمرت بمكانها نظرت لعماد باحتقار شديد وكادت أن تغلق الباب بوجهه ولكنه وضع قدمه أمام الباب ودفعه بيده ليدخل الغرفة عنوة ، صرخت به

مالذي تفعله انت هنا!!! هل أرسلك ذلك المخادع لكي ....

لكنه قاطعها بهدوء : لم يرسلني ولا يعرف مكانك جئت إليكِ من تلقاء نفسي .

-مالذي تريده.

-اجلسي سنتحدث قليلاً.

-لا وقت لدي سأسافر بعد قليل .

-مازال هنالك بضع ساعات على موعد الطائرة

رفعت نظرها تجاهه بصدمه وقالت :ماأدراك أنت هل اخبرك هو ؟

-لأني أنا من حجزت التذكرة لك .

- !!!

بعد تردد منها وإصرار منه جلست على الأريكة عاقدة يديها أمم صدرها لتستمع إلى ما سيقوله لها رغم حزنها وألمها إلا أنها تريد أن تعرف المزيد..تريد أن تروي فضولها لمعرفة الحقيقة كاملة وها هو ذا عماد يشرحها لها ، يعيد على مسامعها ماقد شرحه لها داني مسبقاً ولكن بهدوء أكبر هذه المرة وبحقائق مؤكدة والمفاجئة الكبرى كانت أنه اخبرها أنه ضابط في الأمن وزوجها كذلك ،وبعدها

صدمة أعنف ألقاها لها عندما تحدث عن تورط أيها بالمخدرات مع سلسلة متشابكة من التجار .

؛صدقيني سيدة ميرا بداني أم بدونه سنلقي القبض على عاصم وغدًنا سينتهي كل شيء وخير لك أن تنصرفي إلى باريس بهدوء قبل أن تتورطي بعمل آخر لاتحمد عقباه .

كان يتكلم وهي تنكس رأسها أرضًا ...للحظة تمنت أن تذوب وتختفي من عارها الذي ألحقها باسم عاصم جلال شعرت وكأنها عاريةٌ تماماً .لا تسترها آثام والدها. مستنقع موحل قذر كانت تعيش فيه كل تلك السنوات ...طعامها حرام ...أموالها حرام ألبستها، منازلهم سياراتهم كل شيء من حولها كان بالحرام .

غطت وجهها بيديها كاتمة شهقات بكاء ستتفجر بقوة اكثر .تنهد أخيراً عماد وقال لها :

-تجهزي سأوصلك إلى المطار وسأعطي لك عناوين المعهد ومسكن أخاكي بباريس وحاولي بذلك الوقت الذي ستقضيه هناك أن تصفي قلبك ناحية داني وتتفهمي موقفه وتغفري له فهو يحبك ولن يتخلى عنك ، أعط لنفسك فرصة أن تسامحيه فبرغم كل شيء هو تناسى من تكونين وتعايش معك بكل حب .

******

(الفصل الثالث والثلاثين)

-صباح يليق بك ..

قالها رواد ثم قدم لها وردة حمراء ما إن خرجت من شقتها ابتسمت له بدلال وتناولتها تشتم عبيرها بسعادة غامرة ..

أتنتظرني خلف الباب ؟؟؟

ضحك قائلاً :طبعاً وهل لي ألا انتظر ملاكي ولكن ...حبيبتي اليوم أعتذر منك ستذهبين بمفردك الى التدريبات.

-لما رواد؟ " سألته متعجبة لكنه ابتسم لها ابتسامة صفراء وقال مجتازًا إياها :سأقضي اليوم مع فتاة جميلة عن اذنك .

وسط ذهولها وصدمة الجمتها عن النطق تركها مغادرًا. ..

-هل يمزح ....يستحيل أن يفعل هذا بي إنه يمزح بالتأكيد " نزلت درجات السلم لتذهب بمفردها إلى التدريبات ولكن شهقة افلتت منها عندما لمحته يصعد بسيارة مكشوفة لامرأة شقراء كانت تركن سيارتها بجانب العمارة ...

فهتفت بحنق بالغ : سحقاً لك أيها اللعين من هذه الغبية !!!

كانت شقراء فاتنة ترتدي فستاناً أسوداً قصيراً وقامت بكل وقاحة بطبع قبلة على خده أشعلت نار الغيرة بقلب يارا قبل أن ينطلقا بالسيارة ويسيرا بعيدا وسط تجمدها بمكانها على ماحصل للتو!!!

كزت على أسنانها غيظاً وهتفت بحنق بالغ : مالذي تريد أن تثبته أيها الغبي" رمت وردته الحمراء ودعست عليها بكل غلٍ قبل أن تذهب إلى تدريباتها واعدة نفسها بتمزيقه ماإن تراه مساءا ، وبعد عدة شوارع نظر رواد إلى تلك الشقراء مبتسماً ثم قال بهدوء : حسنا ريندا قفي هنا شكرا لك .

-هل انتهت مهمتي الآن عزيزي .

أطلقت ضحكة رنانة ، قبل أن يومئ برأسه شاكرا مساعدتها فأوقفت سيارتها ونظرت تجاهه بمكر .

-أنت تعرف أن ذلك كان بالنسبة لي أكثر من مجرد لعبة أليس كذلك رواد ؟

أدار وجهه الناحية الأخرى وتمتم لها : أعرف انك صديقة جيدة عزيزتي شكرا .

غمزها مترجلاً من السيارة وقد فهم مقصدها جيداً في حين أنها تابعته ببصرها قائلة بلا مبالاة : صديقة أيها المغفل !!:حسناً لا يهم أنت الخاسر .

وذهبت تلك الفاتنة في طريقها .

*****

نصف ساعة سارتها ببطئ شديد وتشتت لحين وصلت إلى قاعة دار الأوبرا ولكنها تفاجأت عندما رأتها خالية تماماً من الراقصين ...نزلت مدرجات القاعة الكبيرة ظنا منها أنها حضرت مبكرة ؟؟ لكن غريب إنه موعد التدريب نفسه ككل يوم " تمتمت لنفسها حتى قابلتها إحدى صديقاتها هناك : مرحباً يارا كيف حالك .

-أهلا لورا، بخير ، ولكن أين الجميع؟

تصنعت لورا المفاجئة قبل أن تقول لها:

- ألم تصلك رسالة مسيو لورانس البارحة تم الغاء تدريبات اليوم .

- لا لم يصلني شيء ولكن انتي مالذي تفعلينه هنا...

-بالحقيقة كنت أتدرب قليلاً فكما تعرفين أواجه صعوبة في بعض الحركات .

جلست يارا على إحدى المقاعد حانقة على هذا اليوم البشع من أوله .. وكادت أن تغادر لولا استوقفتها لورا متأبطة ذراعها : إذاً إسمعي بما أن اليوم عطلة تعالي معي سأذهب إلى التبضع ..

-لا رغبة لي ، أريد العودة إلى المنزل والنوم قليلاً تحججت لها بتلك الكلمات عل الأخيرة تتركها ولكن طبعا لورا التصقت بها كالعلكة قائلة:

ممنوع الإعتراض هيا هيا سأغير ملابسي ثم سنذهب ونمرح قليلاً " وجرتها ورائها جرا ولم تستطع يارا التملص .

صعدت معها السيارة وقادت تلك الأخيرة وهي تستمع إلى أغنية وتتراقص على أنغامها بينما يارا يتقد قلبها ناراً على فعلة رواد .

قادت تلك الفتاة قليلاً ثم مالبثت أن قالت لها سنحتسي الشاي الساخن قبلاً مع الكروسان فأنا لم أتناول الافطار بعد "

وطبعا لم تستطع بطلتنا التملص رغم ضيقها وشرودها وجلستنا سوياً بمقهى بسيط وتناولتا الكروسان وسط ثرثرة لورا التي لا تنتهي ثم نظرت إلى ساعتها وهتفت بيارا : هيا حان وقت التبضع .

وقادت إلى السوق وركنت سيارتها ثم ترجلت ويارا تلحق بها بصمت والأخرى تدلف من متجر لآخر تبدل ثياباً وفساتين و تسأل يارا ما يناسبها ببطئ شديد ناظرة إلى الساعة بين حين وآخر حتى انتهت اخيرا وصعدتا السيارة فانفرجت أساريريها حينما استشعرت الخلاص لكن الأخيرة تأبطت ذراعها : يستحيل أن أتركك الآن ، سنتناول الغداء في منزلي أكاد أموت جوعًا .

-لورااا ألم نأكل قبل قليل!!!

-ماذا ، كل تلك الساعات من المسير ألم تشعري بالجوع ، كما أن أمي تكون قد أعدت السباغيتي ، هيا دونما اعتراض .

-لورا حقاً لا رغبة لي بالذهاب إلى أي مكان انزليني جانباً رجاءاً .

كزت لورا على أسنانها متصنعة الغضب وصرخت بها

...هلا صمتي قليلاً أيتها الفتاة قلت لك سنذهب يعني سنذهب أنا مصرة .

وافلتت العنان لضحكتها في حين زفرت يارا تافخة بقوة بضع شعيرات تناثرت على وجهها .

بعد قيادة نصف ساعة من الزمن بين المساحات الخضراء الجميلة والواسعة ترجلت الفتاتان من السيارة وسط ذهوله يارا بجمالية هذا الكوخ الخشبي قديم الطراز وشعرت لوهلة أنها بإحدة الأفلام الخيالية ... كانت له عده درجات وشرفة تتزين بالأزهار الملونة ،سقفه مائل من القرميد الأحمر ..

وله نوافذ طويلة تتموضع عليها بضع أنواع من الزهور

-لورا ؟؟؟؟ هل هذا منزلك حقا !!!

قالتها بتعجب شديد في حين ارتسمت ابتسامة على شفاه صديقتها قائلة:طبعا لا كيف لي أن أسكن في هذا المكان الشبه منعزل ؟ ....أنت مختطفة هنا عزيزتي "

يجلس عاصم متوتراً كعادته كلما اقترب موعد استلامه شحنة جديدة من المخدرات....فبرغم كل شيء مازال يخاف أن يتم اكتشاف أمره فيقع في تهلكة تدمر حياته..انتظر لحين مجيء داني وانشغل بمتابعة التلفاز الذي يبث برنامجًا وثائقياً ولكن عقله كان بمكان آخر كليا ،حتى تقدمت سهير منه وربتت على كتفه مبتسمة لتهدأ انفعال زوجها الملحوظ...

-سيكون كل شيء على مايرام عزيزي لما القلق .

-لا أعلم يا سهير...أشعر أن هذه المرة سيكون هنالك خطبٌ ما ...

-هدأ من روعك وصدقني لن يحصل شيء إشرب قهوتك لحين وصول رواد

-أتمنى أن يسير كل شيء كما خططنا له .

وماهي إلا دقائق معدودة حتى كان داني بينهما بقلبه اختلاجة قوية جداً ، كاد عاصم إن يتراجع أكثر من مرة وطلب ان يبقى بمنزله ولكن إصرار داني على مرافقته كي يعلمه فحص هذه الحبوب المخدرة جعلته يوافق على مضض .

ودعت زوجها ودلفت إلى الداخل منشغلة بثرثرة تافهة عبر جهاز الهاتف مع احدى صديقاتها ولم تعرف أنها المرة الأخيرة التي سترى فيها زوجها .

****

كان فجر اليوم الجديد قد زارها بأول أيامها هنا في باريس شعرت بطمأنينة تغزو قلبها لتمدها بقوة غريبة.

نظرت ميرا إلى رسالة البريد الالكتروني بعد صراع طويل ليلة البارحة ، أخذت نفسًا عميقاً قبل أن تضغط على زر الإرسال لترسل بعدها الكلمات إلى والدتها سهير وتمنت أنها تفعل الصواب ..

****

-لورا كفى مزاحاً أين نحن الآن؟

قالتها يارا لصديقتها ماإن دخلتا الكوخ ، كان جميلاً جداً من الداخل أثاثه خشبي يبعث على الراحة والدفء يتزين بصور على حائطه ومائدة خشبية تتموضع

عليها مزهرية انيقة مليئة بالزهور وعلى الحائط المقابل نافذة مزينة بستائر ذات الوان هادئة .

تلفتت حولها بانبهار على جمالية هذا المكان لكن صديقتها أمسكت يدها لتدخلها إلى غرفة بسرير واسع يتموضع عليه فستان أنيق وابتسمت لها قائلة:

- هيا ارتديه وتزيني كل شيء ستحتاجين إليه موجود هنا وأنا أنتظرك خارجا "

فتحت فمها ببلاهة ثم هتفت بلورا : لن أرتدي شيئاً قبل أن تخبريني لما كل هذه الحركات الغريبة ؟

-ياإله السموات كم انتِ عنيدة ...لن اخبرك بشيء إن لم ترتديه وتتزيني هيا لا تضيعي الوقت الشمس شارفت على المغيب .

كتفت يدها أمام صدرها وقالت بعناد : لن أرتديه مارأيك؟

رفعت لورا حاجبها استنكاراً قائلة : هكذا إذن ...لقد جنيتي على نفسك ، وما رأيك أنك لن تغادري هذه الغرفة لحين تغيير ملابسك "

وتقدمت ناحية الباب لتقفله ووقفت أمامه باسمة.

تبادلتا النظرات لثوان حتى انصاعت اخيرًا لمطلبها وساعدتها لورا كي تتجهز .

حين انتهائها تأملت نفسها في المرآة ...كان فستاناً اسود طويل له شاحط ناعم يتزين صدره بحبات الماس كبيرة ،عقدت لها لورا شعرها الكستنائي بطريقة ناعمة ووضعت القليل من مساحيق التجميل .شعرت برهبة مفاجئة فهذه كانت اول مرة ترتدي فيها فستانا انيقا وغاليًا.ابتسمت وهي تدور وتتأمله حتى نظرت إلى لورا وقالت لها : والآن ارتديته ألن تخبريني مالذي يجري ؟

ضحكت لورا بدلال وقالت لها

طبعا لن اخبرك بشيء هيا الان تعالي معي وابقي صامتة لانك بدأت تغضبينني من كثرة اسئلتك .

-اوف لورا ..رفعت فستانها بحنق تحاول السير بهذا الكعب العالي الذي قلما ترتدي مثلة وتبعتها بصمت حتى ركبتا السيارة من جديد والتفت حول الكوخ لتكمل المسير متوغلة أكثر بين الشجيرات .عبر طريقٍ حجري

دقائق قليلة ووصلتا بعدها إلى فيلا محاطة بسورٍ حجري مضاء .كان الليل قد خيم مما زاد من جمالية هذا المكان ترجلتا من السيارة وسارتا وسط طريق مرصوف بالحجارة تخرج من بين شقوقها نباتات صغيرة حتى وصلتا إلى بضع درجات صعدتاها ولكن الغريب أن الفيلا كانت تعبق بالسكون التام والهدوء ..كانت تتسائل طوال الطريق عن هذه المجنونة التي تورطت معها الليلة وتتوعد ذلك الرواد ماان تراه بأشنع عقاب قد يخطر على باله.

فتحت لورا الباب الكبير بالمفتاح ودلفتا إلى الداخل ....كان الظلام شديد جدا أمسكتها من ساعدها وعادت للحديث مجددا :ألن تقولي لي مالذي يجري هنا ...

فجأة أضيأت الأنوار وهتاف حاد صدر من اعضاء فرقتها قائلين ...

(عيد ميلاد سعيد حورية البحر المتوحشة)

صدمتها بشدة منعت شهقتها بفمها ضاحكة ثم نظرت إلى لورا تتوعدها بعقاب على مافعلته بها .

الرواية الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الرابع والثلاثين))

تحتضن كفيها أمام باب العمارة بعد أن أوصلها السائق، أخذت نفسًا عميقاً تهدئ اضطرابها وزفرته بهدوء مغمضة العينين قبل أن تدلف إلى الداخل وتصعد إلى الطابق الثاني ،ولكن أي شقة بالضبط لم تعرف اتجهت يميناً ووقفت تتأمل هذا الباب الخشبي الأبيض وتتمنى أن يظهر لها رواد من خلفه .أخاها الحبيب ،الذي بقت طوال تلك السنين تبكيه وتتمنى أن تضربه على تركها وحيدة بهذه الطريقة حتى دون وداع.

طرقت الباب الذي بجانب السلم مطولاً ولكن لم يجبها أحد زفرت ديقًا وبقيت على أمل أن يكون المنزل الآخر هو منزله ، التفتت وطرقت الباب الآخر ولكن مامن مجيب حتى ظهر لها جارهم الفرنسي الذي سبق ولكم رواد وأطاحه أرضا وبدأ يطلق كلامه رشًا عن قلة ذوقها وإزعاجها راحتهم بهذا الوقت من المساء وهي تفتح فمها ببلاهة دون أن تفقه كلمة واحدة حتى صرخت به ...

-إخرس عليك اللعنة تبربر بكلمات لا افهمها هيا انقلع لا ينقصني إلا أنت أيها المعتوه الفرنسي.

حدق فيها مطولا بعد أن شعر انها تبادله السباب الذي أطلقه قبل قليل، زمجر غضبًا وعاد إلى شقته مطبقا الباب بعنف شديد خلفه.

جلست حانقة على درجات السلم ولعنت حظها العاثر دائماً الذي يهرب بعيداً عنها و قررت أن تبقى قليلاً عل رواد يعود بعد وقت قصير فلا تريد أن يذهب طريقها سدى.

****

تلقت يارا التهاني من الجميع وتبادلت معهم بضع أحاديث حتى أصبحت الأنوار خافتة فجأة تلفتت حولها لتبدأ أضواء ناعمة تتراقص بهدوء و اكتسحت الأجواء موسيقة عذبة ،خرج بعدها من بين المدعوين وتقدم ناحيتها حتى وصل إليها أخيرا وعيناه متعلقتان بهذا الملاك الذي يتزين بأبهى طلة أمامه الآن.

سقطت عليهما أوراق أزهار حمراء فنظرت لأعلى و

دمعت عيناها بفرح ،أدارت وجهها الناحية الأخرى لكنه حاوط خصرها بذراعه وقرب وجهها منه هامسًا

"كل عام وانت حبيبتي التي لن ارى أجمل ، وأرق والطف منها في الوجود "

تناست كل ما جرى صباحاً وانشغلت بهذه المفاجأة الجميلة التي أعدها رواد إليها .

كانت ببساطة كمن يعيش حلمًا جميلاً جدا ولا يتمنى الصحوة منه ، وسط نظرات الجميع إليهما قال لورانس مبتسماً :

لم اعرف أنك عاطفي لهده الدرجة يا فتى ...كل يوم أكتشف فيك مفاجأة جديدة !!

مبتسما بإشراقة وهو ممسك بيدها جاوبه قائلا:

-من يعشق ملاكا كهذه الفتاة لا بد له وأن يكون مليئاً بالمفاجآت سيدي "

ضحك لورانس وضربه على كتفه بخفة بينما يارا قد توردت وجنتاها بلون الدم لشدة إحراجها من كلامه ثم همست له لتزيل التوتر الذي اعتراها .

-لو لم أكن الآن محط أنظار الجميع لقطعتك إربا أيها اللئيم على فعلتك صباحا .

أفلتت منه ضحكة عالية ثم سحبها ليتوسطا القاعة وسط تصفيق الجميع وهاهو الآن يتمسك بها ليراقصها على أنغام الحان عذبة متجاهلاً غضبها الجامح لعدم تفسيره أي شيء لها ، اقترب منها اكثر يهمس :أحبك جدا "

عضت على شفتها مانعة إياها من الابتسام واشاحت بوجهها عنه ثم أردف بمكر : لم اظن لوهلة أنك ستتخلين عن حبك بهذه البساطة ؟أيعقل أن تتركيني لتلك الشقراء بدون أن تتمسكي بي وتدافعي عن حبك

دعست على قدمه بكل ما أوتيت من قوة بكعب حذائها العالي قبل أن تقول بحنق : أدافع عنك وتلك الرخيصة قبلتك أمام ناظري بدون أن توقفها أيها ...

ابتلعت ما تبقى من كلام في حين تلون وجهه بألوان الطيف السبعة كاتمًا صرخة ألم من أن تخرج ثم ثبت عينيه عليها رافعاً حاجبه باسما تلك الابتسامة الصفراء التي تمقتها بشدة :

-و ماذنبي أنا ....هي من قبلتني .

ثم ضحك مردفًا:تلك الشقراء فعلت شيئا كنت أتمنى أن تفعليه أنتِ كل تلك السنوات .

دفعته من صدره بقوة وصاحت بحنق : إذن اذهب لجميلتك الشقراء تلك أيها المعتوه "

وتجاوزته مسرعة فضرب كفاً بكف وهو يتمتم ...

-لو جمعت كل الفلاسفة والعلماء على مر التاريخ لن يعرفوا فك طلاسم عقل النساء !

ولحق بها إلى الشرفة المطلة على حديقة الفيلا ..

فرآها تستند على العارضة الحجرية وتتأمل مياه حوض السباحة التي تتلئلئ تحت ضوء القمر مختلطة بأضواء على جانبيه ، اقترب منها كثيرًا واستند بظهره على العارضة مزيحًا خصلتها الكستنائية ليظهر هذا الوجه الملائكي المضيء الذي افتتنه منذ سنوات طوال جدًا .

-اشتقت لغيرتك المجنونة "

بادلته النظرات ثم قالت بهدوء :

إذن فعلت ذلك كله كي تشعل الغيرة بقلبي ؟

مبتسما بحنان هز رأسه نافياً

-فعلت ذلك فقط لأجعلك تشعرين بتلك النار التي أوقدتها بداخلي عندما رأيتك مع لويس...أتتذكرين ...

-إذن واحدة بواحدة أليس كذلك ؟؟

حدق بعينيها مطولا قبل أن يجيب :

واحدة ضد عشرة ، أنت موقف بسيط كهذا لم تستطيعي تقبله في حين أني كنت كل يوم احترق من التصاقه بك كظلك وذهابك معه خارجًا ...وأكثر من ذلك عندما أدخلته شقتك ذلك المساء لقد قتلتني بتصرفك الأخرق هذا ،

ضحكت على حنقه البالغ عندما حدثها واشاحت بنظرها بعيدًا عنه فاحتضن كفها المتموضعة على السياج الحديدي وأردف :

- على كل حال أنا اعتذر ولن اكررها ثانية.

شدت على قبضته أكثر واهدته تلك الابتسامة التي يعشقها وأجابت: حسناً سامحتك والآن هيا فالنعد إلى الداخل فمهما يكن تلك الحفلة على شرف عيد ميلادي ويجب أن أتواجد معهم أليس كذلك .

لمعت عيناه بمكر ثم قال :

أتعلمين شيئاً ، ليحترقوا بالجحيم فأنتِ اليوم ملكي

ثم قال بجدية :

يارا ..... أريد أن أسألك سؤالاً قبل أن ندخل .

-ما الأمر؟

ركع على قدمه ممسكاً بيدها كما تدرب سابقا ثم همس لها: أتقبلين بي زوجاً... يا حورية البحر المتوحشة.

اتسعت عيناها ذهولاً من كلماته وشعرت بأنها تحلق عالياً في حين سمعت ضربات قلبها المختلجة بوضوح.

مازال محتفظا بابتسامته راكعاً منتظرا جوابها في حين تأتأت قليلاً بارتباك ، بعد برهة أردف :

-أنتظر جوابك .

مترددة خائفة مصدومة من كلامه المفاجئ لها ..

شعر بغصة مفاجئة لترددها فنهض من مكانه محتضناً وجهها براحته هامساً :ما الأمر ؟ أكل ذلك الوقت يحتاج الأمر إلى تفكير من ناحيتك ؟!!

-رواد فاجأتني بطلبك ...لم أكن مستعدة لسماع هذا .

-طوال سنوات معرفتي بك و مازلتِ مترددة إلى الآن...

******

في سكون هذا الليل البارد الذي يعبق بتوتر من ناحيته يجلس بسيارته في هذه المنطقة النائية البعيدة عن المدينة المتوارية خلف الهضبة العالية منتظرا تلك البضائع أن تصل ، لاحظ داني ارتباك عاصم الشديد ولأول مرة في حياته

...وكأنه يعلم أن نهايته ستكون قريبة جداً ...إنه داهية!!!! قالها لنفسه ثم تقدمت منهم سيارة من الطريق الترابية الوعرة وصارت تضيء لهم بالاشارة التي تم الاتفاق عليها مسبقاً...

ترجل عاصم وداني مع حارس ضخم الجثة حاملاً حقيبة الدولارات متقدما نحو ذلك الرجل الأنيق حاد النظرات مع مرافقيه الضخمين ، نفث عاصم دخان سيجاره مظهراً الثقة الزائدة أمام ذلك الرجل ليقوم مساعدوه بفتح الحقيبة المليئة بتلك الحبوب .

إستل واحدة وقام بتفحصها ومن ثم تذوق واحدة ليستطعم نكهة ذلك المخدر قبل أن يرميها أرضاً مبتسماً بطريقة جعلت بدن داني يقشعر قرفاً ،

إضطر لتذوق حبة منهم دون أن يبتلعها ، شعر بمرارة شديدة في حلقه كادت تخنقه في حين تكلم عاصم يحدثه هامسًا ، طعم لاذع يصاحبه مرار وتلك النكهة المميزة التي ستظر لك آخراً هي كمية المخدر الزائدة التي تم ارفاقها في هذه الحبوب هيا ارمها من فمك قبل ان يأخذ مفعوله معك وتفضحنا! .

وتذكر المرة الماضية حين تجرعها مع رشفة ماء ظنا منه أنها حبة دواء ولا يدري كيف أفلتت منه ضحكة متوترة أمامهم ،

فنظر الرجل مبتسماً لعاصم الذي كان يضحك بهدوء ووقار وقال بصوته الأجش : أهذا الوريث عاصم بك ؟

بادله عاصم ابتسامة عريضة قبل أن يربت على كتف داني قائلاً بفخر ، وريث مملكتي طبعاً وستتعاملون معه من الآن وصاعدا ..

****

هدأت من تنفسها واضطرابها قليلاً ...معه الحق الكامل بكل شيء قد تفوه به فكل تلك السنوات كانت عذاب بالنسبة لكليهما عذابا وألما وحزنا لا تريد أن تتذكره أبدا. نظرت بداخل عينيه لترى ضياعه حقا من ترددها ، لمحت يأسا من تصرفها الأناني معه ، لا تريد أن تخسره مجددا ، تريده أخا وحبيبا وصديقا ، فهو الوحيد المتبقي لها من عبق الماضي والباقي لها للمستقبل ...

هو الآن الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة إليها شعرت بتراخي يديه بصدمة من جمودها تجاهه حتى أفلتها وذهب ليستند بمرفقيه على الشرفة يزفر ديقاً

تمالكت نفسها كي توضح موقفها أكثر وتزيل سوء التفاهم الذي حصل ، إقتربت منه بهدوء متلمسة كتفه لتهمس بإذنه : لن أستطيع التفكير بأن أعيش لحظة واحدة بعيدة عنك ، وهل أنا مجنونة لأرفض العيش في الجنة!

-طبعاً موافقة "

****

طال انتظار ميرا وما زالت تجلس على السلم متأملة أن يعود ، ولكنه قد تأخر كثيرا ...هل سينام خارجًا ...لملمت خيبة أملها وعادت أدراجها إلى الفندق وهي تشعر بحنق شديد ، إستلقت على السرير تتذكر حبها الجميل الذي تركته بأرض الوطن ...

داني زوجها و حبيبها الذي طعنها بقسوة مازالت تحبه وتفكر به ، مازالت كلماته العذبة تغازل مخيلتها ومازالت ضحكته ترتسم بعقلها ،أخرجت هاتفها على أمل أن يكون قد ترك لها أية رسالة تشعرها بتعلقه وصدق مشاعره تجاهها كل تلك المدة التي قضياها سويا لكن لاشيء.

تفقدت مواقع التواصل جميعًا حتى بريدها الالكتروني ...لكن لا شيء....

حطمها دون رحمة و هاهو الآن يستمتع بعيداً عنها..كان يريد الزواج لينتقم فقط وهاهو قد انتقم وهز كيانها بكل حقد، عاودت الإستلقاء من جديد باكية بقوة

في حين استلمت سهير تلك الرسالة من ابنتها

فقرأتها مرة واثنتان وعشرة ،

ارتعدت أوصالها لكلمات ابنتها وهتفت بغضب

أنا أحبك أيتها الغبية مالذي تقصدينه بتلك الترهات ،

حاولت إستيعاب كلمات ابنتها المحطمة ،

حاولت فك رموزها عندما قالت ليغفر الله لكما "

شعرت بارتجافة بأوصالها في حين تذكرت كلام عاصم صباحاً..

كان يشعر بتوتر غريب انتقل إليها للتو ،

أخرجت هاتفها واتصلت مرارا به ولكن هاتفه كان قد نسيه بسيارته .

شعرت أن قلبها سيتوقف من خوفها....

هل انتهى كل شيء الآن أيعقل هذا ؟

أعادت الإتصال لكن بلا فائدة ، اتصلت بداني أيضًا فقام بإخراج هاتفه لينظر إلى إسم المتصل مبتسمًا ابتسامة نصر قبل أن يقفل خطه لتشعر تلك الأخيرة بخوفٍ عظيم .

******

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

الفصل الخامس والثلاثين

بعد أن أهدت إلى مسامعه تلك الكلمات القليلة التي أعادته للحياة عرفت ابتسامة طريقها إلى ثغره قبل أن يحتضنها بقوة صارخًا : أيتها المجنونة أفقدتني صوابي. " وسحبها من يدها مسرعاً الخطى وهي تصرخ به تحاول السيطرة على مشيتها بهذا الكعب المقيت...التي ترتديه :رواد أيها المجنون إلى أين ؟؟

وقف يتوسطهم حيث يسمعه الجميع، طلب إطفاء جهاز الموسيقى وحدثهم قائلاً : أصدقائي أعيروني اهتمامكم قليلا " التفت الجميع إليه وهو ممسك بيد حوريته المرتجفة ثم قال:سأعلن لكم الآن خبر زواجي من هذه الجميلة "

اكتسحت برودة شديدةٌ أوصالها وارتجفت يدها وهي تحدق بصدمةٍ غير مصدقةٍ لما تفوه به للتو أمام الجميع قبل أن يردف وسط ابتساماتهم

-والآن و قبل كل شيء أريد شاهدان أيها السادة ؟

تقدم اثنان من الجالية العربية قد قام بالاتفاق معهما مسبقاً فأمسك بيدها مبتسماً ضاحكًا على صدمتها ومشى بها حتى جلسًا أمام شيخ قد قام بالاتفاق معه كذلك قبل الحفل وهمس لها:

-الآن ستوفين بوعدك لي وتصبحين زوجتي وشريكتي التي أعشقها " .

-رواااد أأنت جاد !!!!

رفع نظره إليها مثبتا عينيه بمكر : الشيخ ينتظر أن يعقد قراننا الآن وبهذه اللحظة أمام الجميع ، أكون بنظرك جاداً أم لا ؟؟؟

-اقسم أنك مجنون !

****

كانت الساعة الآن تشير إلى منتصف الليل تماماً ، أنهيا تفقد نوعية وكمية المخدرات وسلم داني الحقيبة للرجل ذو البذلة السوداء الذي أمامه ،فتحها ليرى تلك الدولارات مكدسة بترتيب وقام بتفحصها سريعاً مع ابتسامةٍ كبيرةٍ عند انتهائه

عيون داني الآن كانت تتراقص بتوترٍ يتمعن بظلام الليل من حوله وقلبه يختلج بين ضلوعه لأن اللحظة الحاسمة قد حانت ولكن عماد لم يظهر إلى الآن.... تشتت تفكيره لوهلةٍ وحك ذقنه عندما بدأ ذلك الرجل مع مرافقيه بالعودة إلى سيارتهم، نظر عاصم اليه قائلاً ..

-مالامر وسام هل كل شيءٍ بخير ؟

نظر إليه بارتباكٍ شديد ثم اجابه :كل شيء بخ....

ابتلع باقي كلماته عندما صرخ صوتٌ يعرفه جيدا ...

-أرفعوا ايديكم المكان محاصر ...

تنهد ارتياحاً وشف ثغره عن ابتسامةٍ عريضة محدثا عاصم : انتهت اللعبة حماي العزيز ، آه بالمناسبة ..أحب أن أعرفك بنفسي ، داني جابر جمال "

عندها نظر إليه عاصم بصدمةٍ كبيرةٍ صارخاً، أيها الخائن!!!!!

وبعدها بلحظات أطلق الرجل ذو البذلة السوداء النار مع مرافقيه لتندلع معركة عنيفة مع رجال الشرطة قام عاصم على أثرها بالالتفاف حول السيارة وقيادتها بسرعة جنونية مخترقاً صفوف رجال الشرطة من أمامه ..

توسعت حدقتاه وصرخ حانقاً :أيها العجوز اللعين لم افعل كل شيء لتهرب مني بهذه البساطة

اجتاز خط الاشتباك مهرولاً ودلف بين الشجيرات ليصل إلى سيارة عماد ويصرخ به بأعلى صوت :

-سألحق أنا به .

أومئ له عماد لينطلق بعدها مسابقاً الريح للحاق به.

كان عاصم يصرخ بهستيريا غاضباً حانقاً على هذا الفخ القذر الذي وقع فيه ....ومن اوقعه فيه!!! صهره العزيز، زوج ابنته الذي أئتمنه على كل اسراره وسلمه ابنته ليكتشف أنه ابن جابر ....

أي حماقة ارتكبتها ياعاصم أي حماقة !!! ... أخرج هاتفه وسط قيادته المجنونة ليرى عشرات الاتصالات والرسائل من سهير اذاً عرفت أن شيئا ما قد يحصل الليلة معه !!

****

بدأت تهز قدمها بارتباكٍ من المواقف المتكررة التي وضعها بها ومن المشاعر المتضاربة التي اجتاحت كيانها منذ الصباح حتى هذه اللحظة .

أومئ للشيخ ان يبدأ بعمله وها هي تسمع تلك الكلمات التي طالما سمعتهم عبر شاشة التلفاز مراراً ولم تتخيل ان تحن لحظتها الان ...

صدمة وراء الأخرى انهكها رواد هذه الليلة كثيرا واتعب تفكيرها بحق ،أفاقت من شرودها على صوته العميق مجاوبا.

- طبعاً اوافق ...ثم أتى دورها لتسمع نفس الجملة من الشيخ ...

-آنسة يارا جمال هل توافقين على السيد رواد جلال زوجاً لك بإرادتك الكاملة .

حك ارنبة انفه منتظراً جوابها باسماً مغمضاً عينيه ليستمتع بهذه اللحظة التي ستكون فيها هذه الفتاة ملكة وله إلى الأبد، بعد صمت قصير نظرت اليه و قالت بصوت مرتجف باسم : نعم أقبل .

تعالى تصفيقهم في حين وقع الشهود على عقد الزواج وحان دورها لتمسك القلم بيدين ترتجفان وتخط توقيعًا أبعد ما يكون عن توقيعها الأصلي .

شعرت بتنهيدة أطلقها رواد وكأنه يتخلص فيها مما اعتراه كل تلك السنوات من ألم و بعد انتهائهما، وقف رافضاً أن يفلت يدها وقال مخاطباً الجميع بابتسامة واسعة :

آه يا لحظي ! نسيت خاتم الزواج في مكان ما لذلك سأختطف جميلتي لنبحث عنه والتمرحوا كما تشاؤون وبالنسبة للهدايا لا عليكم بإمكانكم تسليمها غداً بعد التدريبات "

ضحكاتهم تعالت وسط إحراجها الشديد من

تصرفه الأخرق مجدداً فقال لورانس مدير المعهد : أيها الشاب ألم تتأمل خاتمها قبل مجيئها بثوان " .ثم أطلق ضحكة عالياً مردفا: لا عليك خذها وغادرا ولكن لا

تتشاجرا كثيرا أيها العربيان على الأقل دعوا هذا الليلة تمر بسلام ، وخذا بضعة ايام كإجازة ثم عاودا التدريبات .

شعرت الآن أنها قطعة هلام تذوب على الأرض لشدة حرجها أمام أعين الجميع و احمرت وجنتاها خجلاً وهي تحدث نفسها ، لقد خطط لكل شيءٍ بدهاءٍ كبير ...رتب كل تلك الأحداث وعرف أنها ستوافق في حين وجدت نفسها تطاوعه باستسلامٍ تام . شد على قبضة يدها وذهب بها خارجاً ، صعدا سيارته وانطلق بها ومازالت كلماته تتردد بعقلها ويعجز لسانها عن النطق والتصديق أنها صارت زوجته شرعاً...بعد كل تلك السنوات التي مرت ...وبعد فراق دام خمس سنوات أو أكثر قليلا عانياه بألم وحزن وضياع ....أصبح اسمها مقترنا به ...أصبحت حلاله وزوجته .

سألته بتوترٍ وشفتين ترتجفان: رواد إلى أين!؟

حدق فيها بمكرٍ شديدٍ وهمس: سأحكي لكِ حكاية.

****

بحث عاصم بين أسماء بهاتفه بسرعة جنونية ليظهر له اسم حسام ضغط على زر الاتصال وانتظر أن يجيبه ولكنه لم يجبه ! غبي لعين تكون الآن بجلسة سكر قذرة من جلساتك اللعينة " صرخ بأعلى صوته وعاود الإتصال من جديد ...تارةً ينظر إلى الطريق الوعرة ولم يعرف إلى أن المسير بهذا الظلام وتارةً ينظر إلى الهاتف الذي يرن لكن دون أن يجيبه !!! حتى اقتربت سيارة داني منه بشكل كبيرة .

تلمس بيده المسدس المتموضع بزنار بنطاله ، أطلق شتيمة ثم صرخ : أعذريني ميرا فذلك القذر كان خائناً ويستحق الموت، أخرج مسدسه عندما استشعر قرب داني وبدأ بإطلاق النار بهستيريا عليه...لقد فقد عقله كليًا وهو يحاول السيطرة على مقود سيارته التي بدأت بالارتجاج كثيرا فوق الأرض الترابية الوعرة .

اخيراً رأى حسام المكالمات عند خروجه من الحمام ليعاود الاتصال بعاصم، فتح هذا الأخير هاتفه صارخاً بغضب :عليك اللعنة أيها الغبي لقد كشف أمرنا حاول أن تتصرف بسرعة ...إنهم يلاحقونني ..اخبر زوجتي ...المحامي ممدوح ...لا اعلم تصرف حسام ساعدني انا مطارد ..حسااام !!!

تكلم عاصم بخوف وهستيريا وهو يتخيل حبل مشنقة ملفوف حول عنقه....تلمس رقبته وهو يحدث حسام الذي لم يعطه جوابا سوى همهمات غير مترابطة ....

-حساااام ....الو ...انت تسمعني حساااام !!!!

دارت عيني حسام بمحجريه بتوتر لسماعه هذه الكارثة التي حلت وطبعا تلك الكارثة كانت بمثابة جرعة ادرينالين جعلت الدم يتدفق بعروقه بسرعة لتطرد آثار الخمر الذي بقي طوال ليله يشربه بتلذذ مع حسنائه الفاتنة لتطير كلها في ثانية واحدة.

ولكن لا .....لا دخل لي بشيء همس مهدئا نفسه قبل أن يتمتم لعاصم : خاطئ ...اتصالك خاطئ "

رمى هاتفه أرضا و ركض إلى غرفة نومه صارخاً بالفتاة ان تغادر ،وشرع يخرج ملابسا ليرتديها بتوتر ثم اخرج حقيبة صغيرة يضع فيها جواز سفره ورزمة نقود فلم يعد لبقائه داع في هذه البلاد بعد الآن

****

سار رواد بسيارته بين الأشجار حتى لاح له ذلك الكوخ الذي مرت عليه صباحاً مع لورا أطفأ المحرك ووقف برهة يتأملها وسط سرحانها بالنافذة ، أدار وجهها ناحيته هامساً : وصلنا حبيبتي " رفعت نظرها تجاهه فابتسم لها مطمئناً وخرج ليفتح لها الباب لتنزل

كانت الحجارة المرصوفة أمامه تتزين بقطع ورد متناثرة على الأرضية ، توقفت قليلاً بارتباك أمام الكوخ في حين نظر لها هامساً : مالأمر.

ابتلعت كلماتها استسلاماً له في حين شعرت بيده تحتضن كفها بهدوء ليدلفا إلى هذا الكوخ الخشبي الجميل الذي سيعلن ولادة حياة جديدة لكليهما .

تغيرت معالمه تمامًا !! تمتمت بخفوت وسعادة ،

كانت الشموع تزين كل ركن به مع الورود الحمراء المتناثرة في أرجائه...على الأرضية والطاولة والأرائك...كل شيء كان مضاءاً بتلك الشموع المتفاوتة بالاحجام والاطوال ذات الروائح الذكية العطرة ، بجانب موسيقى بحيرة البجع التي بدأت فجأة تكتسح صمتهما المطبق . نظر داخل عينيها مطولا وسط تراقص أضواء الشموع من حولهما وقال كلماته.

-كأول يوم رأيتكِ فيه في منزلنا ، مذ كنت ملاكًا صغيرا بعمر الخمس سنوات يتزين بفستانٍ أبيض وشريطة كبيرة معقودة من الخلف ، قلت لك تعالي وارقصي معي ...والآن وبعد مرور ثلاثة وعشرون عاماً أطلب منك أن تراقصيني ..

لاحظ دموعها التي ترقرقت ، مسحهما بيده مردفاً....

-من اليوم لن أسمح لهذه العيون أن تعرف طعم البكاء ، من اليوم صرتي حلالي ، زوجتي، آه لو تعلمين يايارا كم تمنيت أن أعيش هذا اليوم "

أخرج من جيب بذلته الخاتم الماسي ، رفع إصبعها ليزينه به، تاه بعينيها المترقرقتان، ضمها إلى صدره بقوة ولكم كان يتمنى أن يتوقف الزمان بهما الآن .همس بصوتٍ خرج من أعماق روحه التائهة التي رست أخيرا بمرفأ السكون :.اشتقت اليكِ...اشتقتُ لرائحة عطرك الساحر، لهمساتك، لدفئ قلبك، اشتقت لحوريتي الصغيرة،

ابتعدت عنه أخيراً بارتباك، حاوط خصرها بيده وبدأ بمراقصتها وسط حبهما الجميل الذي صارت تشهد عليه نجوم السماء في هذه الليلة الهادئة.

-والآن حوريتي الصغيرة...أصبحت ملكي أنا وحدي .

في كل تلك السنوات لم يتغير شيء بقلبي ناحيتك ...

مازلت أنظر لعينيك بعشق كما السابق ومازالت روحي معلقة بثنايا روحك الشفافة العذبة "

حملها بين ذراعيه متجهاً الى الغرفة وهو يهمس : اليوم فقط أستطيع القول أن عمري قد بدأ .

****

((الفصل السادس والثلاثين))

رمى هاتفه بروح متهالكة ونفس متقطع من الصراخ عندما لم يعد يتلقى جواباً من حسام: اللعنة عليكم كلكم خونة ...خونة "

شعر باختناق حاد ففك ربطة عنقه بعصبية بالغة وزاد من سرعة ضغطه على البنزين لتسرع سيارته ... فصرخ داني بتوتر من خلفه:

- إلى أين تظن نفسك هاربا أيها الوغد .

وزاد من سرعته كذلك حتى احتكت سيارتهما مطلقة شرارة عالية تكتسح سواد الليل في حين لمح عبر المرآة مجموعة سيارت للشرطة تقوم باللحاق به لمساندته .

حاول التاجر أن يركض ليختفي بين الأشجار في ظلام هذا الليل الحالك عندما لقى مساعديه مصرعهما أمامه ولم يتبق لديه ذخيرة لكن عماد استطاع اللحاق به والارتماء فوقه مع بضع عناصر لتكبيله ...واجتروه إلى السيارة ليحال بعدها إلى قسم الشرطة منكسا رأسه كالكلب الذليل

*****

طريق جانبية لمحها عاصم قام بالالتفاف عليها واجتيازها، تنبه فوراً لذلك السفح المرتفع الكفيل بقتل أي سائق قد يحاول المناورة أو الاسراع ها هنا وخطرت له تلك الفكرة الشيطانية ،خفف سرعته فوراً وحشر سيارته بجانب الهضبة المرتفعة بحيث أصبح داني على أطراف الهاوية ،صرخ قائلاً وهو ينظر إلى سيارة داني: استأمنتك على كل شيء أيها القذر خنتني ودمرت عائلتي ودمرت أعمالي والآن حانت نهايتك "

أدار المقود بسرعة لتحتك سيارتهما من جديد بقوة مصدرة صريرا عاليا ولكن عاصم لم يكتف بذلك بل أخرج مسدسه مجددا ليصوب على داني بعشوائية ويصيبه بكتفه هذه المرة حتى شعر بسيخ ناري يجتاح كتفه مطلقا صرخة ألم

مدوية ، رصاصة تالية اخترقت ساعده كانت كافية بزلزلة كيانه ، ولم يستطع السيطرة أكثر على المقود بسبب الضربات المتكررة التي قام عاصم بإهدائه إياها ، ضربع اخيراً لتصتدم السيارتان وشعر بنفسه ينزلق من على حافة الهضبة وانحدرت سيارته وبدأت بالتشقلب على المنحدر قبل أن ترتطم على الأرض بقوة وتنقلب مصدرة دخانا كثيفا ،

شعر بارتجاج قوي داخل تلك السيارة وهي تنقلب، للحظة ارتعدت أوصاله وهو يستشعر النهاية ...شعر بأنه جبان وضعيف فقد خسر بهذه المعركة وهاهو يفارق الحياة قبل أن ينتقم لأمه وابيه ...قبل أن ينتقم لحياته الماضية التي قضاها منتظراً لحظة الانتقام وهاهي الآن تهرب بعيداً عنه كروحه التي ستعلن انشقاقها عن جسده .

انسكبت من عينيه دمعة خالطت دماءه التي بدأت بالنفور بغزارة من رأسه وكتفه قبل أن يضيع في غياهب الظلمات وكأن احدهم قد انتشل روحه ليلقيها بواد سحيق معتم .

****

رعدة شديدة اعترت أوصالها انتفضت على إثرها فورا من السرير بتلقائية حملت هاتفها لتستطلع أي رسالة تكون قد وردت من داني !!!!

اجتاحها تفكير شديد به بهذه اللحظة ولاتدري سببه فقد كانت منذ لحظات تغط بنوم هادئ بعد نوبة بكاء اجتاحتها قبل بضع ساعات عند قدومها من منزل شقيقها ، قامت من فورها لتشطف وجهها بالماء البارد طاردة آثار النوم في حين بدأ هاتفها بالرنين ....

كانت الساعة الآن تشير إلى الثالثة صباحاً ، تمسكت بأمل أن يكون هو المتصل بهذا الليل ليعبر لها عن مدى ألمه واشياقه فتقافزت لتنتشل الهاتف وتصدم بالاسم!!!!

"أمي ....إذا لا بد وأنها قد قرأت الرسالة التي أرسلتها صباحا " أخذت نفسا عميقا لتقول بعدها بتردد..

-ألو..

ليجيبها صوت والدتها الغاضب الهادر من الطرف الاخر :

-أيتها الحمقاء الغبية ماهذه الرسالة التي قمتي بإرسالها صباحا ؟

-أمي اهدأي قليلا لما الانفعال ؟

-بربك ميرا!؟!! أرسلتي رسالة مدمرة فيها الكثير من الترهات الحمقاء لتقولي لي لما الانفعال.انتِ

تعرفين شيئا أليس كذلك.. ماالذي قصدته بقولك أن يغفر الله لنا واني سأبقى وحيدة ، أي كلام تهذين به !!!و حقاً تعرفين مكان رواد أجيبي ؟؟؟

تنهدت ميرا بأسى وقالت لتهدئة انفعال والدتها .

-امي اهدئي قليلا لنتفاهم...كما أنك تناسيتي كل الاجزاء المتعلقة بي وتذكرتي فقط كلماتي القليلة عنكما !!!!؟

صرخت والدتها مقاطعة كلامها.

-أنا قلقلة جدا على أباكِ ، ذهب منذ ساعات ولم أعرف عنه شيئاً وها هو ذا هاتفه المقيت مقفل .

قشعريرة اجتاحت كيانها عندما علمت بأن الأوان قد حان ولا مهرب، عرفت الآن ماهو الشيء الذي حل بأباها وتخيلته خلف القضبان الحديدية الصدئه ...

اطلقت تنهيدة عميقة قبل أن تقول لها بخفوت :

-يبدوا أنهم قد ألقوا القبض عليه... ثم قالت بتهكم ممزوج بغصة : الم يخرج ليستلم دفعة جديدة من تلك الحبوب القذرة التي كان يدمر بها شباب البلد !!!... سامحيني أمي اريد ان اقفل.

ولم تعطها مجالاً للرد جلست على الارضية الخشبية لغرفة الفندق وشهقاتها الباكية تملأ المكان فمهما يكن الصراع كان مع اباها وزوجها الذي مازالت تعشقه بجنون ..

كذلك سهير لم تكن بأفضل حال من كلمات ابنتها القاسية الباردة عديمة الرحمة...تعلم .. انهم قد يلقون القبض عليه ووقفت دون أن تحرك ساكنا!!!

صرخت بجنون: ماهذه القسوة ياميرا...هذا جزاؤنا لأننا أردنا لك حياة هانئة رغيدة ...

عاودت الاتصال بزوجها مجددا ولكن هاتفه مايزال مقفلا .

****

ها هو حسام قد وصل إلى المطار حجز على أول طائرة مغادرة دون أن يهتم لوجهتها..يريد فقط الهرب يريد ان يهرب تاركا ورائه كل شيء بهذه البلاد. ابتسامة ارتسمت على تقاسيم وجهه ظاناً بأنه انتصر ، وجلس بقاعة الانتظار ريثما يحين موعد طائرته ...

في حين كان عماد يداهم شقته ، ولكنه كان قد وصل متأخرا جدًا ....الخزنة مفتوحة مفرغة من النقود وايقن انه قد اخذ امواله وجواز سفره هارباً بعد أن جعل رجاله يفتشون المنزل ويقلبونه رأسا على عقب فاتصل فورا بالمطار واعلمهم إن تواجد اسمه بين لائحات الركاب أن يوقفوه...وأمل أن يكون تفكيره صحيحا وصائبا ...

وبالنسبة لنوال فتلك كانت الفريسة السهلة الوحيدة التي اقتيدت إلى مركز الشرطة دون عناء أو مقاومة بعد أن داهمت و ضبطت الشرطة بمنزلها بضع اكياس من الممنوعات وسط صراخها وعويلها وشتائمها التي لم تنتهي حتى بعد أن أضحت في الحجز .

بعد أن اقفل عماد الخط جائه ذلك الاتصال لتستنفر خلاياه كلها مرتعدا لما حل بصديقه المقرب من فاجعة مؤلمة في تلك المطاردة

حسام يكاد يعبر البوابة قبل الإنطلاق برحلته ، سلم جوار سفره لضابط الأمن كي يختم ، لكن الضابط نظر إليه بتمعن طال ، تلاشت ابتسامته تدريجياً عندما أخرج الضابط هاتفه وأجرى اتصالا سريعا .

-هل من مشكلة سيدي ؟

نظر إليه ضابط الأمن ولم يجبه ، في حين تقدم ضابط آخر من خلفه قائلاً بصوت حاد : سيد حسام ...أنت رهن الإعتقال ."

****

كل يغني على ليلاه ....

ألا يطبق هذا المثل على أبطال روايتنا ؟؟

بعد هذه الليلة الهانئة السعيدة التي عقدت أواصر المحبة بين رواد ويارا وفجرت كل أشواقهما وعاطفتهما بمقابل الليلة المخيفة التي عاشها عماد وداني وميرا وعائلتها ...تناقض غريب وتباين مخيف ومشاعر متضاربة في ليلة واحدة ولكن بعد كل ذلك لا بد لليل أن ينجلي ولا بد وأن تشرق شمس الصباح مهما كان سواده حالكا مخيفا مهيبا .

حل الصباح على أنغام اغنية عذبة تسللت من فم رواد

وريشة ناعمة يدغدغ بها وجنة حبيبته الصغيرة التي فتحت عيناها الزرقاوتان ومازالت غير مصدقة لكل شيء قد جرى إلى الآن ....إن كانت تحلم فلا تريد أن تستيقظ من هذا الحلم الحميل الذي عاشته طوال اليوم الماضي.

فتحت عيناها مبتسمة سعيدة لانقشاع غيمة الحزن والبعد عن قلبها الرقيق واعتدلت بجلستها عندما لمحته قد احضر لها كوبا من العصير على صحفة مليئة بأوراق الزهور الحمراء والبيضاء .

-صباحك سكر ..

أطلقت ضحكة عذبة قبل أن تعتدل بجلستها وتقول له:

ماكنت أعهدك بهذه الرومنسية قبلا !!؟

قرصها من وجنتها قائلاً :

-وهل كنت من قبل وحشا يا زوجتي العزيزة!!

قالها مستنكراً فابتسمت له وهي تتناول رشفة من كوبها وتقول :

-لا أبدا ...لم اقصد...ولكن تذكرت شجارانا الدائم وكلامك الاذع مقارنة مع الآن

-ولكن مهلا ....أرجوك أعد إلى مسامعي تلك الكلمة مجدداً

-أتقصدين زوجتي أم العزيزة ؟

تنهدت ثم تمتمت مردفة ....لست أصدق إلى الآن كل شيء قد جرى...عقلي لم يستوعب فكرة أن أكون زوجتك بهذه السرعة "

رفع حاجباه دهشة ثم أطلق ضحكة قبل أن يعلق على كلامها....إذا برأيك ان ثلاثة وعشرون عامًا كانت غير كافية لنتزوج ..

-آوف رواد.....لم اقصد سنوات معرفتي بك افهمني وافتح دماغك ...كما أنك كاذب ،أنت لم تحبني إلا بعد أن أنهيت الثانوية "

اقترب منها غارقاً بعينيها البحريتان ثم قال :

بل عشقتك منذ أول مرة رأيتك فيها طفلة شقية تلعب بحديقة منزلنا وتدور وكأنها راقصة باليه ..

وقتها وعلى الرغم من أن عمري لم يتجاوز الإحدى عشر عاماً إلا أنني رأيتك ملاكاً جميلاً لابد لي من امتلاكه ،كنت صديقتي الصغيرة ..دميتي التي أريد أن أخفيها عن الجميع.

****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل السابع والثلاثين))

إن أردت أن تقتل أحدًا ...تملك قلبه وعقله ...سيطر على أحلامه وأيامه ....انسيه ماضيه وحاضره وبعثر مستقبله إلا منك ، دعه يعشقك حد الجنون ،أشعره أنك قطرة الماء التي لا يستطيع أن يعيش بدونها .شتته ...دعه يشعر أنك الهواء الذي يتنفسه ثم اتركه وارحل وسترى كيف سيموت ببطئ تماماً كالسمكة حينما نخرجها من الماء.

كان تفكير ميرًا منذ أن عرفت داني على حقيقته هكذا ....ضائعة مشتتة وخائفة، بلحظة خسرت كل شيء حياتها وحبيبها الذي عقدت عليه آمالاً عريضة وبنت لها معه قصراً من الأحلام وفجاة تهدم هذا القصر ،رأت نفسها وحيدة تحت الأنقاض، تريد فقط من ينتشلها من مرقدها المقيت و رواد خير من سيفعل هذا فلم يتبقى لها غير أمل أن تراه ...

بعد أن قضت ليلة من أشد الليالي اسودادًا ارتدت قميصاً قطنياً خفيفاً ابيض اللون فرواد يحب اللون الأبيض كثيراً ....ودائما ما كان يخبرها أن الابيض يليق جداً بها .. وبنطالاً من الجينز الأزرق الغامق وعقدت شعرها ووضعت بعضا من مساحيق التجميل لتخفي الشحوب والارهاق الذي غطى ملامح وجهها.

خرجت من الفندق و اوقفت سيارة اجرى لتذهب إلى معهد الرقص فأغلب ظنها أنه قد يكون هناك بهذه الساعة ،اعطت ورقة العنوان للسائق واسندت رأسها على مقعد السيارة الجلدي تنظر عبر النافذة لترى مدينة الحب ....باريس.

وأي حب الآن أعيشه يا مدينة الحب !!! ثم ضحكت بمرارة على ما آل اليه وضعها .

" أتعلمين ....سوف آخذك إلى هناك سنمشيها شارعًا شارعاً وأنا أحتضن كفك الرقيق بين يدي ....سأركض معك بشارع الشانزليزية وآخذك إلى متحف اللوفر لتري لوحة الموناليزا على حقيقتها .

-آوه وسام .....لا أحب لوحة الموناليزا فهي جامدة أنا أحب الحياة والالوان ..أحب الفرح أود لو نذهب إلى كوريا مارأيك ....او الصين ...يالهي كم أعشق اولائك البشر ذوي العيون الصغيرة الممطوطة "

-ممطوطة ! ماهذا التعبير الفصيح .

تعالت ضحكته ثم رماها بالوسادة قائلاً:

أودد لو تذهبين الآن إلى المطبخ لتعدي طعام العشاء لزوجك وبعدها سنناقش أمر السفر ياصاحبة العيون الممطوطة " .

-وصلنا آنستي .

قالها السائق لينتشلها من ماض جميل دغدغ قلبها الجريح ، عدلت من وضع نظارتها السوداء قبل أن تنقد السائق نقوده وتترجل بعدها من السيارة رافعة نظرها لهذا المبنى الضخم الذي تمتد أمامه حديقة زهور جميلة جدا ..

-يالهي ....بقي أن استطيع التفاهم معهم واسأل عن رواد !!.

كانت بالنسبة لها اللغة الفرنسية صعبة مقيتة لا تفقه فيها حرفاً فتكتفي بالاشارة إلى ماتريده أو حتى التحدث بالانجليزية وهذا طبعاً إن رأت من يتحدث بها هنا لذلك اعتمدت على المترجم الفوري في تعاملها مع من حولها إن استعصى عليها أمراً

تقدمت ناحية الاستعلامات وسألت عن صالة التدريب لتصعد اليها ...

وصلت هناك وضربات قلبها تتسارع وهي تتخيل شكل رواد حينما يفاجئ بها ، سيكون سعيداً بالتأكيد ..

سيجري باتجاهي بعد أن يستيقظ من صدمته ويرفعني عالياً كما كان يفعل مسبقا"

ابتسمت وتقدمت بكل شجاعة وخطت إلى داخل الصالة جالت ببصرها قليلاً ولكن لا ...

ليس هنا هل من الممكن أن يكون هناك صالة اخرى ؟

تنبه لوجودها المدرب فتقدم نحوها متكلمًا ليسألها عما تريد .عضت على شفتها قليلاً ثم حادثته بالانجليزية تسأل عن رواد متمنية أن يفهم .

حسناً ....الخبر الجيد أنه فهم عليها ولكن الخبر السيء أنه قال بكل بساطة دون أن يأبه للنيران التي تصاعدت من رأسها فور نطقه لتلك الكلمات

-أنا آسف آنستي إن فرقته تتدرب بدار الأوبرا لن تجديه في المعهد "

اللعنة على حظي الأحمق " .قالتها و هزت اصابعها حانقة فعليا وكأنها تلعب مع رواد لعبة القط والفأر ..

طلبت من المدرب الشاب أن يكتب لها عنوان دار الأوبرا على ورقة اخذتها واتجهت إلى هناك من فورها وهي تضرب الأرض بقدميها ضرباً.

****

-رواد أنا جاهزة .

قالتها يارا ليخرجا يعدها من الكوخ إلى عمارتهما .

نظرت إلى الكوخ نظرة اخيرة وكأنها تودعه فقد احبت كل شيء فيه .. بساطته وأناقته الملتحمة بالطبيعة .. ...رائحة الخشب الممزوجة برائحة العشب الاخضر من حوله ..كل شيء كان صارخاً بالحياة وأهم شيء انه المكان الأول الذي شهد على حبهما الكبير .أمسك كفها وهمس : كنت اتمنى ان نقطنه بضعة أيامٍ على الأقل لكن قطك الاحمق ميمو دمر مخططاتي.

تعالت ضحكاتها وهي تتأبط ذراعه ثم همست: عندما تبني لي كوخاً كهذا سأقطنه معك طوال الدهر، طبعاً برفقة ميمو .

قرصها من وجنتها ضاحكا: -أقسم ... سأبني لك كوخا لم تري مثله حتى في أفلام الفانتازيا، ومعنا ميمو طبعاً ،

اتسعت ابتسامتها وتراقصت قدماها بسعادة غامرة قبل أن تسبقه وتصعد إلى السيارة ...نعم فهي تقبل أن تعيش بكوخ جميل كهذا ....بعيدًا عن المدينة وضوضائها وبعيدًا عن التكنولوجيا ....تريد ببساطة شيئا بسيطا يحمل رائحة الطبيعة والسكون.

ثم اكملت تحدثه :

-ولكن لم تقل لي لمن هذا الكوخ وتلك الفيلا التي أقمت فيها حفلة البارحة

شغل سيارته لتنطلق عبر الطريق الحجري الذي يكتسح العشب الاخضر من حوله ليقول لها إنها لمسيو لورانس لقد جهز فيلته الخاصة لاحتفالنا عزيزتي ....أترين هذه الأراضي الممتدة على الجانبين ....إنها له.

اتسعت عيناها ذهولا وهي تنظر إلى تلك المساحات الخضراء الكبيرة .

-أيعقل !!!...يالهي كم تبلغ ثروته اذا ؟

صفر رواد ضاحكا ثم أجاب : له أموال لا تأكلها النيران.

****

في غرفة التحقيق يجلس وكأن وجهه المتجهم استحال لشيطانٍ رجيم ..

كان عماد يبادله نظراتٍ حاقدة ولكنه اغتصب ابتسامة لتخرج من بين شفتيه مستنداً بمرفقيه على الكرسي يحني جذعه إلى الامام ثم قال لحسام الذي يجلس مكبل اليدين على كرسي أمام الطاولة الخشبية...

-اخيرًا سيد حسام ....لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً جداً

رفع حسام نظره تجاه عماد وهو يفرك بيديه لتصدر الأصفاد ذلك الصوت الخفيف : وهاانذا أمامك ياعزيزي أؤمرني بماذا أخدمك .

رفع حاجباه مستنكراً لمدى وقاحته ثم اعتدل بوقفته واضعاً يديه بجيب بنطاله الأسود .

-أتعلم شيئاً ...صدقا هذه الأساليب الملتوية لا تنفع معي إعترف بالموضوع ولنتهي من الأمر بسرعة لكي أريحك وأريح نفسي ، كلانا يعرف أن اللعبة انتهت وماهي إلا مسألة وقت حتى نعثر على عاصم .

-اهبرتك مراراً كنت مسافرا برحلة عمل ولا اعلم شيئاً عن ترهاتك تلك بشأن الحبوب والمخدرات .

ضرب على الطاولة ببده صارخاً :

رحلة عمل أيها اللعين تهرب فيها من منزلك في الرابعة صباحاً ...لا تنكر فنوال اعترفت بكل شيء عن عملكما معا

-إن كانت تلك الساقطة تبيع أو تتاجر أو أياً يكن فما ذنبي أنا!! أهذا جزائي لأني انتشلتها من قذارتها وجعلتها تعمل عملا محترماً ...أنا مجرد وكيل لمستحضرات التجميل في هذا البلد اللعين .

هنا تعالى صراخه فما كان من عماد الا ان يمسك بقميصه بقوة ويرفعه لتلفح انفاسه الساخنة وجهه قبل أن يهتف بحدة إسمعني أيها الوغد ستمكث هنا كالاكلاب لحين عثورنا على ذلك المدعو عاصم وحينها أقسم لك أني سأجعلكما عبرة لكل من يحاول العبث بأبناء شعبنا "

ورماه أرضاً قبل أن يغادر غرفة التحقيق حانقًا غاضبًا من وقاحة حسام. الذي قال له قبل أن يخطو خارجاً

-إن استطعت العثور على أي شيء ضدي فأهلا وسهلا عزيزي .

******

قاد سيارته بسرعة جنونية عائداً إلى منزله وارتمى من فوره على الأريكة مشعلاً سيجاراً وبدأ بالتدخين بعصبيه ...ينفث الدخان عالياً ثم يتأمله كيف يتلاشى في الهواء ...

كان يريد أن ينام بعد ذلك اليوم العصيب الذي عاشه ولكن هيهات أن يزره النوم...فعلى الرغم من شدة تعبه وإرهاقه إلا أنه كان يتوسل أن تغمض عيناه نصف ساعة على الأقل ليستجمع فيها قواه التي خارت وأعصابه التي باتت تتلف شيئاً فشيئاً...

****

لا هذا كثير جدا !!!!

صرخت عاليا بالعربية وهي تكلم إحدى راقصات الباليه في دار الاوبرا في حين فتحت تلك الراقصة الفرنسية فمها على اتساعه لا تفقه شيئاً مما تقوله لها ميرا الآن ....حتى أخذت نفساً عميقا أعادت فيه سؤالها عن رواد ولكن بهدوء ، لتجبها مرة اخرى. بالانكليزية..

قلت لك آنستي لقد كان حفل زفافه البارحة وأظن انهما الآن بشهر العسل سيتغيبان بضع أيام عن التدريب ليس اكثر.

-بالهي ....أعطني الصبر !!! رواد تزوج وأنا أركض ورائه من مكان إلى آخر ما هذا الحظ الأحمق الذي يلتصق بي أينما ذهبت .

ثم سألت تلك الفتاة مجدداً : من تزوج أاعرفين ؟.

-الآنسة يارا إنها كذلك عربية من بلده ولكن لم تقولي لي من انتِ هل هنالك من رسالة تريدين مني أن أوجهها له .

-أتعرفين رقمه ؟

--اكيد ..

-إذا هاته أرجوكِ إن الأمر ضروري جدا "

أخذت الرقم منها ثم شكرتها وغادرت ومئة ألف فكرة تعصف بمخيلتها ثم صارت تضحك بمرارة ...هو تزوج يارا وأنا تركت داني يالسخرية القدر "

تنهدت وصارت تمشي بغير هدف الآن بعد أن فقدت الأمل في أن تراه قريباً ...افكار تتلاطم بعقلها كموج بحر غاضب ثائر في أيام كانون .

حتى توقفت أخيراً بمكانها .....لن أخسر شيئا إن جربت مرة أخيرة "

قالتها وهرعت توقف سيارة أجرى من جديد لتقلها إلى عمارة رواد .

****

((الفصل الثامن والثلاثين))

سأغير ملابسي وارتاح قليلاً " قالتها لرواد قبل أن تدلف شقتها و كادت أن تغلق الباب ولكنه أوقفها قائلاً

-ولكن مهلا ...من الآن عزيزتي لا داع لشقتين أين تفضلين أن تقيمي مبدئيًا لحين انتقالنا إلى منزل أكبر

نظرت له وضحكت قليلاً قبل أن تقول :

-أتعلم لم أفكر بهذا الموضوع ... ولكني أحببت شقتي هذه ...هي جميلة وأنيقة أرغب في أن أبقى هنا بها مارأيك رواد ؟

-لا فارق عندي ، إذا سأوضب القليل من أغراضي لأنتقل عندك وحينما ننتهي من عرض الباليه سنتفرغ لأمر المنزل

-إترك كل شيء الآن سأساعدك أنا ...سأمر عليك بعد أن اغير ملابسي.

-حسناً إذا.

ودعته ودخلت إلى شقتها وارتمت على الأريكة من فورها بعد أن خلعت ذلك الكعب العالي ....

-إنه حقا مزعج " وتقصدُ الكعبَ طبعاً لا رواد ^ - ^ "

أما رواد فها هي شقته الآن تعبق بالظلام أشعل انوار الصالة و فتح الستائر و النوافذ لتنير الشمس بأشعتها الذهبية أرجاء المنزل صنع لنفسه كوب قهوة وبعد قليل فتح حاسوبه الشخصي وبدأ بتصفح الانترنت عله يجد مسكنًا ملائماً لهما في هذه المدينة الكبيرة .

دقائق معدودات وسمع طرقات خفيفة على الباب ...

-أوف يالسرعتها ؟! تبسم وذهب لملاقاة حبيبته وهاهو ذا يتقدم لفتح الباب ، عادت الطرقات من جديد

-فصاح ضاحكًا ... لقد سمعتك يارا أنا قاادم .

ولكنه تسمر بمكانه كالأبله حينما فتح الباب وظهرت أمامه ؟؟

****

كانت الان قد ابدلت ملابسها وتمددت على السرير علها ترتاح قليلا في حين سمعت طرقات خفيفة على الباب ..

-أهو بابي او باب رواد ؟

لم تستطع تمييز المصدر لأن الطرقات كانت خفيفة جداً تحاملت على نفسها وسارت لتجيب ولكنها كالعادة نظرت من الثقب خلف الباب لترى تلك الفتاة التي يحتضنها رواد بكل شغف !

-رواااد !!

اضحت يارا عبارة عن بركان تتصاعد الحمم منه ويكاد ينفجر بأية لحظة .... للوهلة الأولى شعرت بأنها نفس الفتاة التي قبلته بسيارتها البارحة ....أو طبعا هذا هو التفسير السريع الذي استنتجه عقلها حاليًا وهي تراه بهذا الموقف وهو يحتضن فتاة ذات شعر أشقر متماوج.

-يالوقاحتها ..صرخت من خلف الباب وكادت أن تفتح وعيناها معلقتان على الثقب في حين أدخل رواد تلك الفتاة إلى شقته وأغلق الباب خلفه .

-بربك رواد!!!! ...مالذي تفعله الآن ألم يكفك مافعلته بي البارحة! أقسم أني لم أعد أفهم شيئًا "؟

متوترة الآن تقف أمام بابه ، ورواد في الداخل مازالت الصدمة تحتل كيانه.

-ميرا بالله عليك هل جئت بمفردك إلى هنا ؟ لقد اشتقت اليك جداً يا صغيرتي الشقية "

وعاود احتضان اخته من جديد في حين أنها تركت العنان لدموعها المنسكبة ...وقالت من بين شهقاتها .

-انت كاذب رواد...لم تشتق إلي أنت كاذب ،..

أيها القاسي كل تلك السنوات تركتني وابتعدت عني حتى مكالمة صغيرة لم تكلف نفسك عناء إجرائها للإطمئنان علي !

أبعدها عنه قليلا ليمسح دموعها ...

-أنا اسف صغيرتي ..تعالي لنجلس

جلس بجانبها ممسكاً بيدهًا مبتسمًا لأخته الصغيرة يتأمل كم اصبحت شابة فاتنه الملامح ثم قال:

-اعذريني ..فكل شيء قد حصل معي بسبب عائلتك قد دمرني ...عشت أياما سوداء وكأنها كوابيس

تجثم على صدري...ان الشيء الذي فعلوه بي قبيح جداً ولن أنسه أو أسامحهم عليه...

-أعلم ... ولكن أنا ماذنبي بالله عليك،كنت ضحيتك وضحية عائلة لا يهمها سوى النقود والتفاخر..كنت وحيدة بدونك ولم تكن حالي معهما احسن من حالك هنا .

-أنا آسف حبيبتي ...صدقا ولكن كيف أتيت إلى هنا بمفردك.

-آه يا أخي هنالك الكثير والكثير لأحكيه لك .. أنا في مشكلة حقيقية الآن ولم يعد لي من ملتجأ بهذا العالم إلا أنت.

-إسمعي الآن لا أريد سماع شيء ارتاحي قليلا وهدأي نفسك لأجلب لك فنجان قهوة وبعدها نتكلم ... فمازالت ساخنة .

وفي حين كان يسكب القهوة لأخته تعالت ضربات قوية على الباب كادت أن تخلعه من مكانه ...وطبعا كانت من يارا التي قررت ان تنفجر بوجهه ما إن يطل عليها الآن

ولكن ما إن فتح الباب وأطلت ميرا حتى غرقت الاثنتان بدوامات من النظرات الغير مفهومة ...

للوهلة الاولى لم تتعرفان على بعضهما بسبب تلك السنوات الطويلة التي لم يلتقيا بها .

ولكن ميرا بادلتها ابتسامة عذبة في حين تذكرتها، أثلجت قلب يارا حتى قبل أن تعرفها ..

-أنت يارا اليس كذلك ؟ لم تتغيري كثيرًا .

قلبت بصرها قليلاً حتى لمحت رواد مبتسماً لها كذلك من خلف ميرا :

-هيا حبيبتي ألم تعرفيها ...ما لذاكرتك ضعيفة هكذا ؟

-ميرااا ...انت ميرا !!

جحظت عيناها وهي تتأمل تلك الفتاة كيف اصبحت بعد هذه السنوات .

صدقاً لم أعرفك في بادئ الأمر لقد تغيرتي كثيرا ...كنت أذكرك صغيرة .

-لا أحد منا يبقى على حاله صدقيني .

خاطبهما رواد وهو يسحب أخته إلى الداخل

هيا أنتما الاثنتان لن تبقيا على الباب طويلا أليس كذلك .

تقدمت يارا لتجلس على الأريكة وهي تذوب خجلا من تفكيرها السيء برواد وحمدت الله أنها لم ترتكب أية حماقة قد تندم عليها لاحقاً وكانت ميرا الآن تجلس بجانب أخيها مختلسة النظرات إلى يارا ثم قالت بعدها :

-مبارك زواجكما .

تبادلا النظرات لثوان قبل أن يقول لاخته: كيف عرفتي .

-أوف رواد ...لقد صرت أطاردك من مكان لآخر وأسأل عنك كالمحققين من المنزل لل المعهد لدار الاوبرا حتى قالوا لي انك تزوجت البارحة أتعبتني جدا حتى عثرت عليك .

تعالت ضحكاتهم وبعد بضعة أحاديث خفيفة قال لأخته..

ولكن لم تقولي لي ماهو الشيء المهم الذي أردتي إخباري به.

نظرت إليه ثم إلى يارا وتلكأت قليلا أمامها ففهمت يارا أتها لاترغب في الحديث على مسمعها...تبسمت لها ثم نهضت من مكانها قائلة لرواد : حسناً اذا ...سأغادر أنا الآن علي أن انهي بعض الأعمال في المنزل ...تكلم مع أختك فيبدو انها مشتاقة كثيرا لك وحمدا لله على سلامتك ميرا .

نهضت ميرا من مكانها تبتسم ليارا ثم قالت لها:

-أتعلمين شيئا أنا لا ألوم رواد لأنه ترك كل شيء ولحق بك فأنتِ طيبة جدا .

-شكرا لك

اوصلها إلى الباب ثم همس لها :لا تغضبي منها حبيبتي .

-لا رواد أقسم أني لست غاضبة بالعكس تماماً ...لقد فرحت بمجيئها..فأنا اعرف ماتعنيه لك ميرا.

******

أغلق الباب ليدخل عند أخته التي أطلقت العنان لدموعها مرة أخرة ...وهمست بعد صمت وهي تحتضنه المشكلة بداني

أبعدها رواد قائلاً :

ولكن من داني ؟

.....شقيق يارا "

-دااني !! ولكن داني ميت، إنه ميت منذ الحادثة "

رفعت نظرها تجاه شقيقها وابتسمت له بأسى :

-هذا ماظنه الجميع ... حتى تزوجت منه.

هنا لم يستطع أن يتمالك اعصابه ...فصرخ فيها ...--تزوجتي من داني !!!! ولما قد يتزوج منك .

-لم أكن أعرف أنه هو .... كل الذي كنت أظنه أني تزوجت وسام مساعد أبي في شركته ثم اكتشفت أنه داني ..،

فقاطعها وقد أمسك رأسه وكأنه قد استشف عن سبب زواج داني منها ...مهلاً مهلاً ميرا صدقا لم أعد أفهم شيئاً قولي لي كل ماحدث وبالترتيب أرجوك ...

حسنا اجلس لأحكي لك " وبعدها حدثته بكل ما قد جرى ... حتى بتلك اللعبة التي حبكها داني بكل اتقان مع ضابط شرطة للإيقاع بأبيها .

دقائق تتكلم بها وتبوح له بكل تلك الكوارث وهو صامت يحدق بها وقد غرق بدوامات أفكار ...وعصفت المشاعر المتضاربة بقلبه ...شقيق يارا ...قد جهز خطة محكمة للانتقام لعائلته وها هو ذا يرى شقيقته الصغيرة قد كانت الطعم ليصتاد أباه، كما كان عاصم قبلاً بمشاركة ممدوح قد اوقعا يارا !

'الم يجد غير أختي ليتلاعب بها هذا ال....'

ولم يعرف بما سيصفه ..

وصار عقله يردد تلك الجملة كثيرا مع حديث ميرا

تكلمت واخبرته عن كل شيء لحين أن أوصلها عماد إلى المطار بعد أن كشف لها حقيقة والدها .

وصمتت أخيراً ليطلق رواد زفرة قوية جدًا خرجت من أعماق روحه ...ولكن ميرا عادت لتقول من جديد...

-لقد أحببته أخي ...عشقته جداً ولم أشك به لحظة واحدة ..كان طيبًا حنونا صادقا جدا تجاهي حتى رأيت بطاقة هويته الحقيقية التي كان قد نسيها بخزنة المنزل ...بلحظة تبدل كل شي لأكتشف أني كنت جزءا من لعبة وضيعة حبكها مع صديقه الضابط ...فترتكته وهربت إليك " حاوط ميرا بذراعه ضاماً إياها بقوة بعد أن دفنت رأسها بصدره وصار يمسح على شعرها ...

يالهذ القدر الذي يضعنا دائمًا بمواقف لا نحسد عليها .وكيف سأحميك الآن صغيرتي..كيف لي أن أعاود الإنتقام من شقيق يارا التي كانت تذوب ألماً كل يوم على فراقه !!

كان يحدث نفسه يحاول إيقاف أفكاره المجنونة التي صارت تعبث بكل حرية بعقله .. في حين رفعت ميرا رأسها تجاهه .

-ما العمل الآن أرجوك ساعدني حتى مجرد اتصال لم يتصل ليبرر لي موقفه تجاهي

-أعدك حبيبتي كل شيء سيكون على مايرام ...ولكن جيد جدا أنك لم تتحدثي أمام يارا وإلا كانت كارثة حقيقية ، فهي تعرفه ميت .

****

كان عماد الآن قد استسلم للنوم أخيراً على أريكته مع أنها ليست موضعاً مريحاً ولكنها بالنسبة له الآن مريحة أكثر من فراش وثير من الريش..

أضغاث أحلام لا يذكر منها شيئاً اختلطت ببعضها بعضاً وتداخلت حتى رن هاتفه بقوة ..حاول تجاهله عدة مرات بتململ ولكن علحاح المتصل جعله يرفع الهاتف

لمستوى نظره ويفتح عيناً مغلقا الأخرى ويقرأ الاسم..ومن بعدها طار النوم فجأة منه ليعتدل من فوره ويجيب بكل لهفة ...

-كيف هو داني الآن ؟؟

****

((الفصل التاسع والثلاثين))

أنهى مكالمته بعد أن أخبره الطبيب المسؤول عن حالة داني أنه يريده لأمر مهم ،انتشل سترته ليخرج من فوره من المنزل دون أن يأبه لشعره المبعثر وهيئته المزرية لشدة الإرهاق.

كان يقود بسرعة جنونية ليصل على المستشفى التي يرقد بها داني الآن ، وبلهفة صعد تلك الدرجات القليلة وصار يمشس مسرعا في ذلك الرواق الطويل كريه الرائحة....لطالما كره المستشفيات ورائحتها منذ صغره ولكن حظه دائمًا ما يجبره على ارتيادها .

إلتف إلى الرواق الذي يقضي لغرفة العناية المركزة أخذ نفساً عميقًا وهو يشعر بانقباضة قوية في قلبه ..

داني صديقه وشريكه أصبح الآن مجرد راقد على سرير أبيض يتنفس بهدوء وانتظام ...

هل هذا الذي يراه الآن أمامه هو صديقه !! لم يستطع التصديق بعد، وكم شعر بأنه سخيف بالنسبة للحياة التي قالت له بكل بساطة واستهزاء :

حرمتك من كل كل شيء...ومازال باستطاعتي أن آخذ صديقك إلى غير رجعة كما أخذت عائلتك سابقاً ...وكأن التاريخ يعيد نفسه ولكن هذه المرة مع صديقه .

داني الآن غائب عن الدنيا ومافيها يسبح بعالمه الخاص ولا يسمع من غرفته سوى أصوات الصفير للأجهزة المتصلة بجسده ، وكأنه استحال لكائن فضائي غريب الهيئة ، بقي يحدق من خلف الزجاج يراقب بقايا صديقه، إرتجاج في الدماغ مع

كسور في قفصه الصدري ومناطق متفرقة في جسده ناهيك عن الرصاصة التي تلقاها في كتفه، كانت كفيله بجعله مجرد شبيه إنسان محطم على السرير .

حتى بعد أن سأل عماد الطبيب عن حاله وتأكد من أنه ميت سريرياً إلا أنه تمسك بأملٍ طفيف جدًا بأن يعيش...إن الله سبحانه قادرٌ على كل شيء...

لكم تمنى الآن وهو ينظر إلى صديقه الذي يقف على حافة الموت أن يستطيع العثور على عاصم .

عاصم ...إسم اصبح بالنسبة لعماد مقترنًا باسم الشيطان ... يقولون أنه في سلك الشرطة يجب أن تبتعد عن الخلافات الشخصية وألا تجعلها تؤثر على عملك ..ولكنه الآن مستعد بأن يدمر كل شيء وحتى بمستقبله في سبيل الإنتقام لصديقه.

*****

وخرج مساءاً من مكتب الطبيب كما دخل ،

أو كما كان يدخل ويخرج منذ أسبوعٍ أو أكثر ....

لم يتحسن داني ولن يتحسن في الوقت القريب

نحن نطيل عذابه بلا داع ...فلا استجابة منه ولو حتى تحسنٌ طفيف يجعلنا نتمسك بأمل لنجاته...أنا آسف يا سيادة الضابط إن بقي الوضع على حاله فبضعة لإيام أخرى سنضطر أسفين على فصل الاجهزة الطبية عنه ليرقد بسلام بعدها"

كلماتٌ كان وقعها كالصاعقة عليه ...داني سيموت !! طبعاً لن يسمح لطبيب أحمق بأن يسلب روح أعز إنسان على قلبه ويفصل الأجهزة التي تعطيه ولو أملاً واحداً بالمئة لشفائه ...

وهكذا هو الانسان... يصعب علينا التصديق بأننا سنفارق أحبائنا بيوم ما ...ننسى أو نتناسى أنها سنة الحياة ولا بد منها ، وميرا ....

خطرت على باله فجأة..تلك الفتاة التي تزوجها داني بهدف الانتقام ثم عشقها بجنون ...بقي متردد جداً في الإتصال بها وإخبارها عن حالة صديقه خاصة بعد أن رأى من خلال عينيها تلك الصدمة والقسوة عندما عرفت حقيقته . هل ياترى ستصفح وتسامح ..أم ستعود إليه فقط بدافع الشفقة ؟ وإن لم تعد؟

كانت أفكاره تتقاذفها الرياح يمنى ويسرى وهو مضطرب وخائف على مصير صديقه المجهول ...يريد أن يتصل ولكنه يعود من جديد ليهدئ نفسه بحجة أنه يريد من داني التعافي أولا ....ثم يصرخ صوت عميق جداً بعقله ..وماذا إن فارق الحياة قبل أن تخبرها ... ثم ماذا وإن اخبرتها ولم تأتي ! ماذا ولماذا ولو ....ويالها من كلمات قاتلة أحيانًا ...تضعنا بين خيارات صعبة جدًا ولا بد لنا من أن نختار.
ووسط شروده وهو يسير بأروقة المستشفى ، اصتدم بها بقوة، تطلع فيها بعينين خاويتين زائغتين، وتمتم بالتأسف بصوتٍ خرج بصعوبةٍ من بين شفاهه.

-لا عليك سيدي.

قالتها له الممرضة وقد شعرت بارتباكه وأدركت ما يعانيه حزناً على صديقه الراقد ، اجتازها وتوقف مستنداً بيده على الحائط وعقله ما زال يردد أن داني سيموت،

سيفارق هذه الحياة حتى قبل أن يلتقي بأخته، حتى قبل ان تلقاه زوجته، سيموت وحيداً وعماد يعرف معنى الوحدة جيداً ، اقتربت منه الممرضة ونقرت على كتفه بهدوء، استدار ناحيتها فتسائلت: سيدي هل أنت على مايرام؟ تصنع ابتسامةً باهتة وأومئ برأسه ثم استدار مكملاً طريقه.

****

و هاقد مضى إسبوعان إلى الآن ولم يتصل بي ..

هل نسيتني ياداني ؟ ثم مسحت دمعها بعد أن شف ثغرها عن ابتسامه منهكة ومتهكمة ....إنه ومنذ البداية لم يحبك أيتها الغبية ...كنتِ مجرد أداة للوصول إلى هدفه وها هو ذا قد وصل إليه فلا داع لوجودك بعد الآن بحياته

ألم اقل سابقاً أننا نختار الطريق الاسهل ...وهاهوذا كبريائها يمنعها من الإتصال به لتبقى جاهلة بمصير داني .

و شهر عسل ليارا ورواد كما يقولون ولكنه لم يكن مثالياً لكليهما بسبب اقتراب موعد العرض ...ففضلا التدرب في المسرح واستغلال كل دقيقة لزيادة مهارتهما ..

كان يكفيها أن تستند كل يوم مساءاً على كتفه مغمضة عينيها دقائق تشعر فيها بالراحة والطمأنينة وتستمد منه قوتها قبل أن تستعد لليوم الذي يليه .

لم تطالب يومًا بأكثر من هذا ...هي لم تر امواله أو سيارته الفارهة أو منزله يوماً ... يكفيها أن تكون معه وبجانبه وهاهي قد حصلت عليه اخيرًا .

يوم واحد فقط يفصلهما او يفصل يارا عن تحقيق حلمها الذي بقت طوال سنوات حياتها تتدرب لأجله .

عرض بدار الأوبرا بباريس ، وها هوذا يتحقق اخيراً ..

يقولون إن حياتنا قصيرة جدًا ..لطالما عرفنا هذه الحقيقة الواقعة فلما نقضيها بالنزاعات والخلافات والأطماع ، في حين أننا نستطيع أن نتقبل كل شيء من حولنا بحب وتسامح .في حين أننا يجب أن نرضى بما قسمه الله سبحانه لنا ...كل شخص منا يطمح إلى شيء ما و يحاول جاهداً الوصول إليه...وطبعا تختلف الطرق ، ومنهم من يختار الطريق الأسهل للحصول على مايريد بغض النظر عما قد يؤذي به غيره ولكن بنهاية المطاف لكل شيء نهاية ، وهاهو عماد الآن بمواجهة عاصم الذي استسلم أخيرًا بعد أن ألقوا القبض عليه عندما كان محاميه ممدوح يحاول تهريبه من البلاد عن طريق غير مشروعة .بغرفة التحقيق ذاتها التي تقابل فيها مع حسام جلس عاصم مكبل اليدين ينظر بشرود إلى الأرض ونظرة غريبة تحتل عيناه ..ضياع واضح بعد أن فقد كل شيء ...أوليست النقود بنظره كل شيء.

وهاهي نقوده الآن تطير من أمام عينيه ولا تكفيه حتى لتخليص نفسه من حبل مشنقة لا بد وأن يلتف حول عنقه الثخين ، تقدم عماد منه بصمت. ..

بعد صمتٍ طويلٍ جداً لم يعرف بما سيتكلم معه وهو بالاصل يعرف كل عمل قد سببه عاصم وكل مصيبة قد شارك فيها ، تقدم منه بوجه لن تستطيع الكلمات ترجمته .أمسك ذقنه بيده ورفع وجهه لتتقابل أعينهما مطولاً قبل أن تنطلق حروف كالسهم لتخترق أذني عاصم .

صديقي الآن يموت بسببك ..

حاله كحال جميع شبابنا الذين تورطوا بتلك الحبوب المخدرة القذرة التي استوردتها إلى بلادنا ولكن الفرق....أن شبابنا الآن يموتون ببطئ..أمثالك نزعوا

منهم العفة والعقل والأخلاق ليسبحوا بواد عميق لا مفر منه ، جعلتم جيلاً كاملا ينسلخ عن مبادئه وأخلاقه ليسبح بعوالم اخرى الله وحده يعلم ماهي.

ثم صمت قليلاً وابتعد عنه مديراً ظهره إليه وأردف :

أتعرف عاصم ...لو استطعت أن انفذ بحقك عقوبة الإعدام لأربع مرات متتالية صدقني لن اتراجع .ولكني صدقًا لا أريد لك الموت ...فالموت راحة .

ثم اقترب أكثر منه وشد بقبضته على شعر عاصم:

-وانا لا اريدك أن ترتاح أيها الوغد. ..صدقني ستتمنى الموت ألف مرة ولن تناله "

ثم دفعه ليسقط أرضاً ويصتدم بقوة قبل أن يبصق عليه ويخرج من غرفة التحقيق ..

******

مرحبا سيدة ميرا أنا عماد كنت أحاول أن أتصل بك وابعث لك برسائل على حساباتك الالكترونية لكنك لم تتلقيها ... إن الأمر مهم جدًا دعي الغضب جانبا واتصلي بي فور وصول رسالتي إليك فداني الآن يحتاجك أكثر من أي وقت مضى .صدقيني إن الأمر مهم جدا "

ضغط على زر الارسال آملا بأن تتصفح بريدها الإلكتروني بأقرب وقت ممكن وترد على اتصالاته بها ..فقد قرر أخيراً إخبارها. ..بالنهاية هي زوجته ولا يظن أن قلبها سيكون بتلك القسوة..إن كانت تحبه حقا ستتصل.

طمأن نفسه بهذا قبل أن يسلتقي على سريره ليريح أعصابه قليلاً قبل يوم الغد الذي سيحضر فيها جلسة النطق بالحكم

****

رواد هل لي أن اسألك سؤالاً ولكن أريد منك أن تجاوبني بصراحة تامة " تبسم لها ثم همس بكل حب:

-طبعا حبيبتي تفضلي " نظرت بعينيه مطولا ثم قالت :

-في ذلك الوقت الذي قدمت به عرضا للقبول بهذا المعهد ...لما اصرت اللجنة أن تكون أنت شريكي بالرقص رغم رفضي الشديد..هنالك أشياء كثيرة لا أفهمها

...حتى أنك قلت لي أنك منتسب لمعهد خالد أتذكر ..هناك كثير من النقاط التي لم أفهمها ...كنت بعيدا عني طوال سنوات لم تكلمني بها أو حتى تسمع برأيي عن تلك المشكلة بذلك اليوم ثم خرجت فجأة لتشاركني عرضاً ..

رفع رأسها بأناملة ثم ابتسم مجيباً:

-وإن أخبرتك بكل ماخفي عنك هل سيحدث فرقاً بحبك تجاهي ؟

-طبعا لن يحدث فرقاً...ولكني أود لو أعلم .

اخذ نفسًا عميقاً ...قبل أن يتكلم .

****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

((الفصل الأربعين))

-بعد حادث الطائرة ...قد شل تفكيري تمامًا..اعتقدت للحظة إني فقدتك فعلياً....رغم أني فقدتك سابقًا بسبب المشكلة التي تسبب بها أبي. إلا أن ذلك الحارس مروان قد جائني يومها و أخبرني بكل شيء قد جرى وشرح لي كيف أنقده أبي أموالا ليثبت تلك التهمة الباطلة بالتعاون مع ممدوح ، كان نادماً جدا خاصة انه اعتبر نفسه المسؤول الأول والأخير عما جرى لكم ..

حدقت به محاولة إخفاء تلك الرعشة الخفيفة التي انتابتها لتذكرها ذلك اليوم وشدت على قبضة يده فقال مكملاً كلامه :

-صدقا حبيبتي أنا لم أشك بك أبدا على الرغم من أن أمي سعت جاهدة لتشويه صورتك بخيالي عن طريق إدعاءاتٍ باطلة ....ولكن بعد أن رأيتك مع ممدوح ذلك اليوم شعرت بأن خنجرًا طعن قلبي وخاصة أنه استطاع حبك تلك التمثيلية مع جميع من في المنزل ... حتى أنه لم يترك لي منفذا واحدا لأكذبه وأصدقك خاصة أن مروان كان صديقا لداني ولم أظن لحظة واحدة أنه سيكذب بهاته المسألة الخطيرة .

تعذبت كثيراً حينها ...الله وحده يعلم كم عانيت بسبب ذلك الحادث ولكن عذابي تضاعف لأنك كنتِ بريئة وظلمتك كما ظلمك أهلي وأبعدوك عني بعد أن عرفت الحقيقة كاملة ...

وبعد الحادث صرت أبحث كالمجانين عنك في المستشفيات التي نقل اليها ضحايا تلك الطائرة المنكوبة حتى عثرت عليكِ

حمدت الله سبحانه كثيراً أنك بخير ولكن..أتذكرين حينمًا رأيتني مرة واحدة فقط في المستشفى ..صرت تصرخين بقوة وقد إنهرتي كليًا لرؤيتي .. لم تعطني فرصة واحدة لكي اشرح لك عما حصل واضطررت أن ابتعد عنك لكي لا أسبب لك مزيداً من الألم .وهنا جاء دور خالد"

جحظت عيناها ثم هبت واقفة....خاالد!!! أنت تعرفه قبل ان تأتي إاى المعهد ؟؟

تبسم لها وأومئ برأسه قبل أن يردف :

-خالد أعرفه منذ وقت طويل جداً كان مدير معهد متواضع لرقص الباليه بإحدى الأحياء المتواضعة ..ولكنه كان يحتاج إلى تمويل لاستصلاح معهده بعد أن تضرر جراء حريق نشب فيه .أعطيته تلك النقود التي يحتاجها ليعيد افتتاح المعهد الذي تعرفينه انتِ وهذا طبعًا منذ وقت طويل جدا قبل حادث الطائرة ، وبعدها صرت شريكاً له بذلك المعهد .

ثم فكرت بأنه أنسب شخص ليكون بجانبك خاصة أنك لم تتقبليني حينها ، أرسلته إليك بحجة أنه صديقٌ قديم للعم جابر ثم وظفك عنده لتعلمي الفتيات الصغيرات الباليه وصرتي تحت رعايته وحمايته .

وطبعاً محبته لفعل الخير ساعدتني كثيراً ..وكنت أرى اهتمامه بك ورعايتك حتى عندما كنتُ بباريس كانت أخبارك تصلني يوميًا .

وكل يوم كنت اتشوق لرؤيتك أكثر ...عانيت ما لم اتخيله بفقدانك ..ولكني كنت أشبع شوقي من رؤيتك واكتفي بمجرد صور يرسلها إلي خالد لأطمأن عليكِ من خلال تدريباتك في معهده"

سالت من عينيها دمعه على كلامه...بعد أن اكتشفت كل تلك الحقائق كانت تظن أنها وحيدة في حين أنه كان كالملاك الحارس المتخفي يحميها ويرعاها دون أن تعرف ،- وهل يوجد حب كهذا في العالم - كان تفكر بكلماته ولم تستطع تصديق أنه فعل كل شيء لأجلها في حين أنها كانت كل يوم تلعنه وتبكي على ماحل بها بسببه ، شدت بقبضتها على يده أكثر واستسلمت لكلماته في حين عاد يقول: أما بالنسبة للمعهد بباريس ...فصدقًا لو لم يروا أنك موهوبة ولديك الإمكانات اللازمة لتلتحقي به لما كنت من المقبولين هنا ،و بما أني أعرف لورانس مدير المعهد جيدا ..فقد طلبت منه أن تكوني شريكتي ..طبعًا كان هذا طلبا خاصا مني علي لأعوظ من جديد إلى حياتك عن طريق الباليه ..قلت اليه ووافق.

أنهى كلماته وابتسم فرفعت نظرها تجاهه ثم احتضنته : أحبك رواد "

مسح على شعرها وهمس : لا استطيع تخيل فكرة أن تبتعدي عني، كنتِ ولا تزالين حبيبتي التي لن أتخلى عنها مهما حصل. والآن هاقد عرفتي كل شيء صغيرتي...أنا لم اتركك يومًا واحدا لكني نادم على أني لم أستطع مسح دمعه سالت من مقلتيك بكل تلك السنوات ...

-لا يهم الماضي قد نسيت آلامه ....المهم الآن أنك أصبحت معي ،ولكن كم أتمنى لو كانت عائلتي هنا لتراني غدًا ...فحلم أمي كانت أن تراني بعرض للباليه

ثم صمتت قليلاً وعاودت الحديث مجددا : أتعلم رواد أحياناً كثيرة أفكر بداني ...أتراه قد مات أم لايزال على قيد الحياة ..هنالك شعور غريب بأعماقي يجتاح روحي من فترة لأخرى لكني أحاول وأده لأني صرت موقنة أن داني مات في البحر ولم يستطيعوا إيجاده..

-حبيبتي لاتفكري بأي شيء الآن ... هيا أغمضي عينيكِ واسترخي ، فغداً موعد العرض ويجب أن تكوني مستعدة له وتطردي كل تلك الأفكار التي قد تؤثر سلبًا على أدائك.

ثم زفر بقوة وقد شرد بالسقف ....

كيف سيخبرها بأن داني على قيد الحياة وماهي ردة فعلها ستكون ؟ والأهم من هذا أن داني لم يحاول مرة واحدة الاتصال بها أو معرفة أخبارها ، فهل قسى قلبه كذلم على اخته الوحيدة أم ماذا ....لغز وراء آخر ، القضية معقدة جدًا ولكن قبل أي شيء سيقابله .يجب أن ينتقم لقلب أخته المحطم بأي شكل كان أو على الأقل يريد أن يعرف لما اختار أخته تحديدا جسراً لإانتقام...لما اختار طريقًا ملتوياً..

****

خرجت ميرا من الحمام بعد أن تنشطت قليلاً وجلست على الأريكة ، ياإلهي ماهذا الدوار اللعين والإعياء الذي ينتابني منذ فترة ؟..

تمددت ورفعت ساقيها علها تهدئ الإعياء الذي عاودها من جديد واحتضنت الوسادة تحت رأسها لتقلب بقنوات التلفاز بلا انتباه كعادتها حين تكون بمزاجٍ سيء...

كان التلفاز الآنيعرض فيلم عاطفيا ولكنها الان لن تحتمل اية دموع قد تنهمر يكفيها ماتعانيه بسبب ابتعادها عن داني .

ترى ما الذي تفعله الآن داني ...هل اشتقت الي كما اشتقت إليك انا ؟؟

أغمضت عينيها باستسلام وكل تفكيرها وقلبها معلق به

صباحاً استيقظت ولكن قدمها لم تطأ الأرض إلا وشعرت بإعياء شديد ركضت إلى الحمام لتفرغ مافي جوفها ثم خرجت على صوت طرقات على باب الشقة .

حمدت الله على أن رواد حضر بالوقت المناسب ولكنها ستتحامل على نفسها ولن تخبره بشيء فعرضه مساءًا ولا تريد أن تشغل باله بأي شيء كان ، مشت بهدوء تستند على الحائط ثم شدت ظهرها وفتحت له الباب تحاول رسم ابتسامة واسعة لتنير وجهها المرهق ..

-صباح الخير كيف انت اليوم ميرا .

-أهلا رواد هيا ادخل .

لا عزيزتي تعالي لتتناولي افطارك معنا لقد اعدته يارا ولكن...هل أنت بخير تبدين متعبة !؟

لا لا ابدا لكني استيقظت للتو ...حسنًا اذهب وأنا سأوفيك بعد أن أبدل ملابسي.

-حسناً ...ولكن أمتأكدة انك بخير ؟

-نعم رواد أقسم لك أني بخير .

ثم اغلقت الباب بعدما رحل وتنهدت بقوة ..

وهم جالسون على مائدة الافطار تقدمت يارا لتضع طبقاً من البيض المقلي على الطاولة وما إن اشتمت ميرا رائحته حتى عاودها الإعياء من جديد وكم شعرت بإحراج شديد وسط نظراتهما تجاهها ...ولكن احراجها لم يدم طويلا فقد سقطت مغشياً عليها فور وقوفهًا .

****

شف ثغرها عن ابتسامة عريضة وهي تقول لميرا بعد أن غادر الطبيب ، حمدا لله على سلامتك ومبارك لك ولكن كان يجب أن نتصل بسيد وسام لنخبره أليس كذلك عزيزي..

نظرت اليها ميرا بعيون منهكة ثم نظرت لرواد الذي كان وجهه متجهماً علها تفهم ما الذي أخبرهما به الطبيب خارجا ، ربت على كتف اخته قائلا دون مقدمات : انت حامل ميرا .

صعقت ميرا من الخبر وكتمت شهقتها في حين تكلمت يارا ....

-ولما تقولها بهذه الطريقة ....بدل أن تهنئ اختك لأنك ستصبح خالاً عما قريب؟ فأطلق كلماته بسرعة وتوتر...وأنت ستصبحين عمة كذاا...." وبتر سيل كلماته بصمت مطبق

-ماذا قلت للتو رواد؟؟

-اقصد زوجة خالٍ جميلة جدًا ...ولكن هيا الآن اذهبي إلى المسرح لتستعدي وأنا سأوافيكي بعد قليل بعد أن أطمأن على ميرا .

-ولكن ميرا !

-لا عليكِ يارا سأكون بخير .

حسنًا إذا سأتجهز و أذهب" وبعد أن غادرت نظر لاخته التي لم تستطع السيطرة على أعصابها أكثر و انهارت من فورها بنوبة بكاء ، تقدم ليجلس على السرير محاولاً تهدئتها فقالت له

-ماذا سأفعل الآن .....وأنا لوحدي وهو .....هو تركني ."

-ميرا حبيبتي اهدئي سأتصرف أن بكل شيء ولكن أرجو أن تسيطري على أعصابك قليلا لا يجب عليكِ ان تحزني وتنفعلي الآن في حين رزقك الله بهذا الطفل..ومن يدري لعله قد يكون هو سبب سعادتك:أي سعادة وأنا بعيدة عنه

خذي الآن اشربي هذا العصير لتتنشطي وسأبقى معك بضع ساعات حتى يبدأ العرض .

نظرت لاخاها وجففت دموعها : أنا اصبحت بخير حال اذهب انت ولا تقلق .

أومهلا ...أريد أن اذهب إلى العرض رواد هل من الممكن ذلك "

ابتسم مجيبا :.طبعًا حبيبتي ممكن ولكن هل تستطيعين الذهاب ألست متعبة ؟

أنا بخير ....صدقًا، أنا بخير حال الآن أريد رؤيتك وأنت ترقص.

((الفصل الواحد والاربعين))

الجلسة الآن للنطق بالحكم....

ضرب القاضي بخفة على طاولته ليبتدأ الجلسة وكأنه زاد ضربات قلب عماد المتسارعة ضربة ، و صمت الجميع برهبة انتظاراً لبدء المحاكمة .

كان جالساً و لا يزيح نظره عن الرجال المكبلين وراء القضبان الحديدية بقاعة المحكمة وهو يرى تعابير وجوههم المنكسرة المهزمة، عاصم، ممدوح ، حسام وغيرهم أكبر وجوه اقتصادية في البلاد الآن أضحوا في انتظار كلمة موتهم المحتوم ..

هل هو سعيد الآن أو هل ارتاح ؟ لا يعلم صدقاً.

فصديقه مازال ملقى على السرير في المستشفى والله وحده يعلم متى سيستيقظ هذا إن فعل !!! حتى ميرا إلى الآن لم تجب على رسائله ولا يعلم لها رقم هاتف في باريس لذلك قرر بعد أن يغادر قاعة المحكمة أن يحادث شقيقها رواد بعد أن حصل على رقم هاتفه فمن المؤكد أنها التقت به بعد هذه المدة .

******

نعود إلى باريس حيث إرتدت فستان الباليه الأبيض الذي صمم خصيصاً لهذا العرض. كان صدره يتزين بحبات من اللؤلؤ الألماسي والكريستال البراق ومن فوق خصره تتدلى طبقات الشيفون الأبيض الناعم وتاج رقيق أبيق لامع فوق شعرها الذي عقدته بطريقة بسيطة لتصبح ملاكاً أبيضاً مشعا بهذا اليوم المتميز بالنسبة للجميع . وقفت خلف الستار الأحمر المخملي مع فرقتها وهي تلمح كل أولئك الحاضرين يجلسون منتظرين أن يبدأ العرض ، وتنتظر هي أن تبدأ حياتها. كان رواد قد تأخر وهذا ماجعلها تقلق على الرغم من أن فقرته هي الثانية أي بعد حوالي ساعة من الآن ولكنها قد قلقت على أن تكون ميرا ليست على يرام ...وهي كذلك كانت تريد نظرة من عينيه مع ابتسامة عذبة تنسيها التوتر لكي تتحلى بالشجاعة والقوة ،

كانت تنقل بصرها بين الوجوه علها تلمحه قبل أن تدخل ...في حين أن الراقصين بدؤوا بالخروج واحدًا تلو الآخر ، عازف الكمان الشاب بدأ بلحنه العذب لافتتاح العرض مع كل راقصة تدخل لتؤدي حركات بسيطة ثم تقف في مكانها المحدد

كنوع من التعريف بالشخصيات المشاركة ... وجاء دورها أخذت نفساً عميقاً جدًا تحاول تهدئة أعصابها المشدودة وكادت أن تدلف إى الداخل ..

نظرت نظرة أخيرة يائسة...في حين تبدد هذا اليأس فجأة حين رأته يركض نحوها طبع قبلة خاطفة على راحة يدها وابتسم لها مشجعاً قبل أن يدفعها على القاعة بخفة .

وعلى هذا المسرح ذو الأرضية الخشبية الذي تنبثق من جوانبه أضواء زرقاء خافتة أدت حركات الإفتتاحية برشاقة ودقة ثم أخذت موقعها بين زميلاتها نظمت تنفسها وهي تسمع صوت أمها يتردد بين ثنايا عقلها

((حبيبتي عندما ترقصين...إرفعي وجهك وثقي بنفسك وبقدرتك العظيمة ، فأنت موهوبة يا حورية البحر المتوحشة..))

ورفعت رأسها بكل شموخ لتواجه الحضور كما واجهت المدربة الشابة ذات الأربع وعشرون ربيعا لأول مرة حينما كانت طفلة صغيرة عمرها لا يتجاوز الست سنوات بفستان الباليه الأبيض البسيط ...ولكنه كان بالنسبة لها أروع فستان قد ارتدته على الإطلاق '

- أريد أن أرقص الباليه لأنه حياتي وقدري ...قالت لها بكل براءة وجدية حينما سألتها المدربة عن السبب.

سنوات عمرها الست وتمتلك كل ذلك الحب للباليه وكل ذلك التصميم للتعلم وهاهو قد أضحى قدرها وحياتها فعلاً ، وعادت إلى الحاضر ...عندما وقف عازف الكمان في المنتصف يعزف لحنًا عذباً جميلاً تحركت حوله أربع فتيات من بينهن يارا وبدأن بالدوران ...((وكما يقول رواد دائما ....أنا اؤمن بك فآمني بموهبتك جميلتي))

وآمنت هي بنفسها وبدأت بحركات انسيابية هادئة أنيقة تعكس مدى مهارتها وتدريباتها الشاقة طيلة تلك الأشهر ، وهذا كان واضح جدا من إتساق حركتها المليئة بالشغف والحيوية .

أطفأت الأنوار ليسود الظلام المسرح وهمدت حركة الفتيات لدقيقة من الزمن وبعدها بدأ عازف البيانو في الزاوية بعزف مقطوعته التي رقصت على ألحانها رقصة أخرى بألوان إضائة أخرى ...

وهذه لم تكن إلا البداية ..

****

في حين أن القاضي بدأ يقول كلماته كان عماد شارداً سارحاً مع كل حرف ينطقه وفي المقابل كانت سهير جالسة بأول القاعة تخفي عينيها المتورمة بسبب البكاء والنحيب طيلة أسبوعين خلف نظارةٍ سوداء كبيرة وتلتحف بوشاح تغطي به شعرها الأشقر المصبوغ ، في الأيام الماضية لم تعرف سوى أنهم قد القوا القبض على زوجها وواجه صهرها (وسام) حادث أليم ولا تعرف مكانه.. أما لميرا فبعثت إليها الكثير من الرسائل لكنها لم تجبها ..أو لم تكلف نفسها عناء تصفح البريد الإلكتروني الخاص بها كل شيء كان مشوشاً بالنسبة لها حتى هذا اليوم الذي ستتكشف لها الكثير من الحقائق ، وتساقطوا واحدا تلو الآخر كأوراق خريف يابس مجعد وحان دور زوجها .... حكمت المحكمة حضورياً على المتهم ((عاصم جلال)) بالإعدام شنقا حتى الموت"

****

متخفياً بقناع اسود مذهب مزخرف على عينيه وبنطال أسود رقص رواد رقصته المستحدثة المجنونة التي اعتاد عليها ...لكنها اليوم، أقوى وأعنف ، الموسيقى الصاخبة التي رافقها بحركاته وكأنه وحشٌ حقيقي يسعى لتحطيم كل شيء من حوله ، دخل الخشبة وكأنه أسد يسعى للإنقضاض على نعجة ، مزق قميصه الأسود ورماه عاليا لتخترقه أضواء حمراء وبدأ بالالتفاف والدوران والقفز عاليا في الهواء والاضواء من حوله تتبدد وتنقلب بين الأزرق والأحمر .

لونان متناقضان كالنار والبحر ...

عنصران متناقضان ثورتهما إن تحققت تدمر كل شيء ولا ترحم احداً ....

قام بحركات سريعة وكأنه الآن يرى بعينيه شهقات أمه التي بدأت تبكي بهستيريا وسط قاعة المحكمة على ماحل بعاصم في حين ازدادت ضربات قلب ميرا وضمت يديها مستمتعة بهذه الأجواء الرائعة التي ابتكرها رواد على المسرح .

وتعود موسيقى الباليه الكلاسيكي بهدوء تنساب لمسامع الحضور قبل أن يقف قليلاً بصدره الذي راح يعلو ويهبط مادا يده إلى الأمام لينتشل فتاة ترتدي الأزرق ليبدأ

بمراقصتها .. في حين أن والده كان يطلق شتائم لذلك الشرطي الذي بدأ بجره خارجاً ليرتحل بعدها إلى السجن حتى صرخ بزوجته عالياً حينما اقتربت نهايته..

-وسام هو داني ....إنه السبب بكل الذي جرى معي.

وسام هو داني يا سهير ...

ثم امسك بها من ياقة قميصها كازا على أسنانه وهتف بصوت وكأنه خارج من أعماق الجحيم :

-تصرفي ... إنتقمي هذا مطلبي الأخير ."

******

وحانت لحظة الفقرة الثالثة ، تقدم رواد نحو يارا ليراقصها وهي الآن كانت ترتدي فستانا سماوياً يعكس لون عينيها البحريتان الهادئتان ، على أنغام هادئة وعذبة ... صارت تنساب كالماء بين يديه بكل خفة ورقة ورفعت نظرها تجاهه وبدأت لغة الأعين تتكلم لتنسج أجمل الذكريات المشتركة بينهما ، عالمٌ جميل جدا كانا به متناسيان كل شيء يدور حولهما وللحظة تخيلت نفسها بذلك الكوخ الجميل الذي أخذها إليه سابقاً ..وعادت طفلة صغيرة بين يديه من جديد ...

((ارقصي معي يا حورية البحر المتوحشة ..

هكذا ترفعين قدميكِ ثم دوري ...دوري واقفزي كفراشة بين زهور البنفسج ،

سقطت مرات ومرات وسط ضحكاتهما البريئة سابقا)))

لكن اليوم نظرت لعينيه وقفزت كفراشة بين يديه ...ولم تسقط ،

(((أرقصي ...

كغجربةٍ في منتصف البلدة ....

كمحاربةٍ في ساحات القتال)))

كوني كسمكة وسط المحيط وتماوجي مع تياراته))

تتذكر كل كلمة قالها سابقاً وترقص بكل شغف وحب وهي تلتمس نجاحاً باهراً يطرق الأبواب وحلماً فتح الباب على مصراعيه يناديها تعالي "

وهم حولهما يتقدمون بوحدة حركة واتساق خطوات وقفزات ،بدأ هاتف رواد الذي تركه مسبقا مع أخته بالاهتزاز فنظرت إليه ميرا لترى رقماً غريباً.. لم تعط له بالاً وتابعت العرض بانسجام تام حيث عادت الموسيقى المجنونة من جديد.....ثم تقدم شاب نحوهما يبدأ برقصته مع رواد وهو يحمل خنجرًا بهدف طعنه والراقصين خلفهما قد همدت حركتهم يارا تقوم بالإلتفاف حولهما والدخان الأبيض يتصاعد ممزوجا باضواء حمراء قانية ...

كانت لوحة فنية لتنازع الخير والشر ...رقصة تجسدت فيها كل معاني الإنسانية والطمع المقابل لها ..

اختصرت كل مؤلفات العالم في طعنة طعنها الراقص لرواد ليسقط أرضًا وتنكب يارا فوقه ، حيث تعالى صوت رعد قوي وبرقت الأضواء بقوة جنونية ، لحظات تعالى فيها تصفيق الجمهور قبل أن تقف لترقص وتدور حوله من جديد ببطئ شديد وكأنها تبكيه..

الموسيقى تلاشت شيئًا فشيئاً وأصبحت الاضواء تصطبغ بالأزرق قبل أن يعود افراد الفرقة كلها بأداء عرضهم الختامي من جديد .

****

((الفصل الثاني والأربعين))

على الرغم من أن عماد كان يود أن يبقى ذلك العاصم على قيد الحياة ليخلد في المؤبد بعقوبات لا تنتهي وكم كان يتمنى أن يسمع صراخه وسط التعذيب إلا أن جرائمه وأوراقه التي اكتشفت في التحقيق كانت كافية لجعل القاضي يصدر قرار إعدامه و يوقع على صك موته بيديه ،وهل يوجد جرائم ابشع من القتل وتهريب المخدرات والإتجار بها ؟!

غادر مبنى المحكمة بابتسامة طفيفة و أخرج هاتفه مجددا ليتصل برواد .. عاود الهاتف الرنين من جديد زفرت ضيقا من إلحاح هذا المتصل حتى تنبهت أخيراً إلى أن الرقم من بلدها!! شعرت بخطبٍ ما وقلبها الان بدأ يدق باضطراب ، وكان العرض قد وشك على الانتهاء ، خرجت من مكانها فورًا لتجيب ...وصدر صوت رجل قال فوًرا :

-الو ....سيد رواد!!

-لا رواد يقدم عرضا الآن من أنت .

-أنا الضابط عماد السيد أريد محادثة رواد لأمر ضروري جدا.

عماد!!!....إنه عماد عرفته وتوترت فجأة ملامحها ليعاود صوته الظهور من جديد...

-آنستي هل انت معي ؟

-عماد !!!... أنا ميرا مالذي تريده من أخي ؟

- ميرا .. كنت أريد محادثتك بأمر هام .

قطعت حديثه فورا: إن كنت مرسالاً من ذاك الكاذب فلا تتعب نفسك "

احتقن وجهه غضباً ضرب باب سيارته ثم جلس فيها وصرخ : إسمعيني ياأمرأة لست مرسالاً من أحد أريد أن أخبرك بأن زوجك بحاجة ماسة إليك، إنه معلق بين الحياة والموت ....بعثت إليك بمئة رسالة ولم تجيبي .

-هل هذه لعبة جديدة منكما أم ماذا ؟؟

-لعبة !!!! أي لعبة تتحدثين عنها. إن داني الآن ملقى في المستشفى يحتضر وتقولين لعبة! أي زوجة انتِ ؟؟.

وهل نستطيع الآن أن نفسر ملامح الصدمة التي اعتلت وجهها - ماذا ....مالذي تقوله لا تكذب علي "

قالتها بصوت خافت متهدج ليعاود صراخه ...

- ميرااا ...ميرا اقسم لك أني لست اكذب لقد وقعت سيارته من حافة الوادي عندما كان بمطاردة مع عاصم وهو الآن إ بغيبوبة منذ إسبوعين ..

زفر بقوة ثم اخفض صوته وتكلم بهدوء شديد : رجاءا ً إنسي الماضي ...تعالي ، أحضري اخته معك والتقفي بجانب زوجك...إنه بحاجة إليكما الآن.

أغلقت عينيها بقوة تحاول كبح سيل الدموع التي انسكبت لكن دون فائدة .اقفلت الهاتف بوجهه بيدين ترتعشان و سمعت تصفيق الجمهور الحاد الذي خرج من داخل القاعة وكأنهم يقرعون طبول الموت على جسدها الهش !

انحنى اعضاء الفرقة لتحية الجمهور و ميرا ركضت لتدخل خلف الكواليس ... اجتازت جموع من الناس ممسكة بطنها الذي بدأت تشعر بتشنجات حادة فيه وصار أعضاء الفرقة يدخلون وهي تبحث بهستيريا عن رواد تمتمات وصراخ فرح مختلط بلغة لم تفهما ولم تفقه فيها حرفاً ...أصبحت الآن مغيبة بعالمٍ غريب

وكان العرق يتصبب من جبهتها .وعيناها شعرت بأنهما الآن ضائعتان في ضباب أسود كثيف ...لم تر رواد ولكن هو من رآها ركض من فوره لاهثاً من تعبه ليسند اخته ثم حملها لتجلس على كرسي قريب ليرش على وجهها القليل من الماء .

استجمعت نفسها لتصرخ فيه متشبثة به وكأنه أملها الوحيد لانقاذ زوجها ((..داني ...رواد داني يموت .

وكانت ياراقد اقتربت لتقول بلهفة ...

-داني ...من داني ميرا ما الأمر ؟!!

الثلاثة الآن في موقف لا يحسدون عليه ..

ميرا تبكي بصدمة تنوسل أخاها أن تعود فوراً إلى الوطن في حين أن رواد كان قلبه يخفق بشدة عما سيحل بيارا إن عرفت وقلبه في الوقت ذاته ينفطر على أخته.

ولم يدع يارا تعاود السؤال من جديد بل ساعد اخته ليخرجها من دار الأوبرا متجاهلاً زوجته التي بدأت باللحاق بهما حتى قبل أن بكون هنالك مجال لتغيير ملابسهما ..

استقلوا السيارة حتى المنزل وميرا مازالت تبكي وترفض أن تجيب عن تساؤلات يارا التي بدأ الرعب يدب أوصالها لمجرد ذكرهم الاسم حتى قبل أن تعرف أن أخاها المقصود.

بضع دقائق مرت وكأنها دهر كل منهم غارق بأفكاره حتى وصلوا المنزل ورواد يتهرب من عيني زوجته التي تنقلهما إليه وإلى ميرا التي ذهبت من فورها لتلملم أغراضها وهي تصرخ ..

-ما كان يجدر بي تركه....أنا غبية حمقاء تركته يذهب إلى حتفه بيدي هاتين .

ترك رواد شقيقته واتصل ليحجز رحلة لثلاثة أشخاص على متن أول طائرة متجهة للبلاد وعيني يارا تلاحقه بتوتر حتى قال لها بحزم ..غيري ملابسك ووضبي القليل من الأغراض طائرتنا بعد أربع ساعاتٍ فقط .

-رواد قف وأجبني ما الأمر ....من هو داني الذي تتكلمون عنه؟!

أدار وجهه الناحية الأخرى قائلاً ...

زوج ميرا ...

ولكن زوج ميرا اسمه وسام من أين جاء داني الآن .

زفر ديقاً من أسئلتها التائهة والمشوشة ثم احتضن وجهها بكفه هامساً: حبيبتي اختي تعبة جدا بسبب الحادث الذي تعرض له زوجها ..لملمي القليل من الأغراض وسأشرح لك كل شيء لاحقا اتفقنا ..

-حاضر " وانصاعت لأمره بتردد بعد التمست ألمه الواضح ، غيرت ملابسها وارتدت لباساً أسود و خفيفا لسهولة الحركة، الأسود... لم تدري لما اختارته دون غيره وكأنها تجهز نفسها تلقائياً لحدثٍ بشع جدا !!

وضبت حقيبة الأمتعة وساعدت ميرا التي مازالت تبكي وتحتضن يارا من فترة لأخرى وهي تردد بصوت متهدج ...لا أريد أن أخسر داني ، لقد تركته يذهب إلى حتفه بسبب أنانيتي.

******

قطع أروقة المستشفى متجهاً الى حيث يرقد داني، جلس أمام سريره على الكرسي ثم تبسم لإخباره وكأنه الآن يسمعه :

- حققت مرادكَ أخيراً يا صديقي، صدرت بحقه عقوبة الإعدام، أخذت بثأرك أخيراً وحققت انتقامك.

مسحَ دمعةً انسابت من عينيه ثم غادر الغرفة، والتقت عينيه بعيني تلك الممرضة من جديد، أهدته ابتسامةً عذبة رقيقة ، لأول مرةٍ يشعرُ باضطرابٍ غريب، كانت سحنتها ملائكية، بحجابها الأبيض، ومعطفها الأبيض، ووجها النقي البريء تقدمت منه قبل أن تدلف الى غرفة داني قائلة: -سيشفى ويستيقظ بإذن الله.

ابتسامةٌ استطاعت ان تشق طريقها عبر الضباب وهو يهز رأسه راجياً : الله على كل شيءٍ قدير ، وجلس على المقعد بعدها أمام غرفته، عيناه تلاحقانها ثم ما تلبثان ان تتعلقا بصديقه داعياً الله أن يشفيه.

****

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

الفصل الثالث والاربعين

((الأخير))

في المطار وأثناء الانتظار ...عاود هاتف رواد الرنين من جديد صرخت ميرا ما إن رأته هي الأخرى

-انه عماد ...انه عماد صديقه أجبه أرجوك..

وأجابه رواد وبعد أن تكلما قليلاً ليستفهم قال مخبرا إياه أنهم سيستقلون الطائرة الآن وبضع ساعات فقط تفصلهم عن الوصول إلى أرض الوطن .

ساعات قليلة مرت وكأنها دهرٌ كامل وميرا لم تكف عن فيه البكاء ، حطت الطائرة أخيراً وسط صمت قاتل مخيف من الثلاثة فلا رواد قادرٌ على التفوه بكلمة خشية أن يتأزم الوضع أكثر وتتفجر قنبلة المفاجئة الكبرى ليارا أما ميرا فتجاوزتهم لتخرج مسرعة بين الركاب تركض حتى التقت بعماد حيث كان ينتظر وصولهم .

نظرات تبادلتها معه تعكس مدى خطورة الموقف الذي يعانيه الآم زوجها في المستشفى ألقى السلام لتجيبه بهزة رأس متألمة ، رفع عماد بصره إلى تلك الفتاة ذات العيون البحرية وقال :أهلا سيدة يارا .

-أنت تعرفني يا سيد ؟؟

هز رأسه بنعم ثم التفت ناحية رواد وأردف يحدثه :

و أهلا بك سيد رواد ...عاصم. جلال.

قال عماد الاسم الكامل لرواد ببطئ شديد وهو ينظر لعينيه وذلك دب قشعريرة مخيفة في جسد يارا فعانقت كفه وكأنها تحتمي به وتحميه، وكانت طوال الطريق تحاول أن تفهم أي شيء لكن عبثاً فجميعهم صامتون ...حتى هذا الغريب الذي يعرفها كان يشرح حادثاً مأساويا لذلك المدعو داني وكيف انتشلوه من تحت أنقاض سيارته التي أصبحت كالعجينة لشدة تدحرجها من السفح و قوة ارتطامها بالأرض ،

وصمتهم حين تسألهم كان مرعباً جداً حتى رأت نفسها في المستشفى ، طلب رواد من عماد أن يساعد أخته في الذهاب الى زوجها أما يارا فاستوقفها قليلاً ليخبرها قبل أن تدلف إلى الرواق المؤدي للعناية المشددة .

رائحة المعقمات كانت كفيلة بتحطيم أعصابها حتى قبل أن يتمسك بها رواد ويثبت نظره بعينيها التائهتين ..

أمسك وجهها بكلتا يديه وكأنه يحاول استجماع شجاعته لينطق ...ولا يعرف كيف سيبتدئ الحديث ،أخذ نفسًا عميقاً و أطلقه وقال بعدها بهدوء :

-لا بد وأن تعرفي الآن ...لكن اقسم لك أني لم أعرف سوى عندما جاءت ميرا لتخبرني .... وحينها لم أشأ أن أشتت أف ..إ. ..

قاطعته بارتباك : رواد ما الأمر !!!.. بلا هذه المقدمات التي لم تزدني إلا توترا أخبرني ما الذي يجري ...هل ما أفكر به صحيح ؟؟

ولم تدري لما خطر على بالها أنه داني نفسه ، شقيقها المفقود منذ عدة سنوات.ابتلع غصة بحلقه و أومئ لها موافقا قائلاً بتردد : داني، شقيقك هو زوج ميرا "

****

أحياناً ....

يكون الصمت أعنف من الصراخ . وحقيقة أعتبرها أشد لغات العالم قسوة وظلاماً فأنت لن تعرف ما الذي يفكر به الشخص الذي أمامك ولن تدرك حتى ترى ردة فعله ، قد يكون بركاناً خامدا و يثور بأية لحظة ليفتك بك وبمن حوله.كان يتمنى الآن أن تصرخ وتضربه ..أن تشتمه على عدم إخبارها من قبل أنه يعرف أن داني على قيد الحياة ...ولكن أي حياة الآن قد يعيشها وهي قد سمعت منذ لحظات أنه على شفى حفرة من الموت ..

-الآن تخبرني وهو يموت!!! لو كان قد صفعها أهون عليها من أن تسمع هذه الكلمات التي خرجت كالسم من بين شفاهه، جلست على كرسي من خلفها والصدمة قد عقدت لسانها عن النطق ..كانت تنظر إلى الحائط متجاهلة رواد وكأنه الآن لا وجود له ...وكأنه قد اختفى نهائياً من أمامها... نهضت وتجاوزته قائلة وهي تحدث نفسها كلمة قد زلزلت كيانه كله : دائما ما تكونون سبب هلاكي .

بقدمين كالهلام سارت و بخطى بطيئة تتلمس الحائط وتستند عليه ،عيناها مشوشتان وكأنها تنظر عبر وادٍ سحيق مظلم تتصارع أشعة الشمس المضطربة على دخول أعماقه لتبدد ظلمته لكن محال...فلن تنير تلك الأشعة الضئيلة شيئاً وسط هذا الظلام المرعب . تلاحق ذلك الصوت المنتظم للأجهزة المعلقة والموصولة بجسده، وزاد من عذابها.ومن خلف الزجاج الشفاف أبصرت ميرا راكعة بجانب جسد ممدد على فراش أبيض ،محتضنة كفه بيديها وعماد ينظر إليها من الخارج .سمعتها تهمس له وتبكي تتلمس وجه أخاها الحبيب الذي اشتاقت عينها رؤاه..

تبكيه وهي تشتم عبير شعره ، فاقتربت يارا تضع يدها على الباب الأبيض وتنظر عبر زجاجه الدائري الشفاف ليقول من خلفها عماد.

-كان يشتاق لرؤيتك كثيرا ودائما ما يحدثني عنك ..شقيقته وحبيبته لكنه لم يستطع أن يخبرك أنه على قيد الحياة واطمأن لأنك مع رواد....

أتاها صوت عماد بعيدا جدا ...وكأنه من عالم آخر كلياً أو بُعدٍ آخر تماماً منفصل عن الواقع ...ونظرها ما يزال مشوشاً ،استدارت و رفعت بصرها لتتعلق بوجهه..: من فعل هذا به !!!

قالتها محاولة اغتصاب حروف تائهة لتنطق جملة مفيدة وواضحة و بعد صمت لم يطل كثيرا أجابها:

-عاصم ...

وكأن الجدران من حولها باتت تعيد هذا الاسم وتترنم به ، يتردد الصوت كالصدى البائس، وضحكت يارا !

ضحكت وعيناها مغرورقتان بدموع تعجز عن إيقافها وجلست على الأرض أمام بابه ورواد جاء من بعيد و انحنى أمامها، حاول تلمس كتفها بيده فنفضته عنها كذرة غبار ، رفعت وجهها وبعينين حمراوين صارت تنظر إليه ...

-أنتم لعنة علينا ..كاذب إبن قاتل حقير ...

قتلتم أبي ودمرتم أمي ودفعتموها للهروب بعيدا ....والآن داني ...أخي الذي لطالما تمنيت أن يكون على قيد الحياة وأن أراه ،صليت كثيرًا لأن أسمع صوته مجددا

وأحتضنه...تمنيت لو تحصل معجزة ليكون حياً يرزق...وهاهي المعجزة قد انقلبت كفاجعةٍ علي !!

هو هناك ..و يموت بسببكم ....بسبب عاصم "

تتكلم كلمات لم تحسب لها حساباً ...كلمات شعر رواد بأنها خارجة من أعماق قلبها وعقلها المجروحين ولكنها أعترف أنها محقة في كل كلمة نطقتها.تنهد عماد وهو يقلب ببصره بينهما ، وأنبأهما بما حل بعاصم:

-إنه في السجن الآن...وقد صدر حكم إعدامه .

وحدق رواد به بصدمة .... فمهما يكن هذا يتحدث عن والده ..هذا الشيطان الذي يتكلمون عنه يبقى والده ...جزء من روحه وقطعة من صلبه...فما أصعبه من موقف ، وبلحظة شعر بالشفقة عليه..شفقة ممزوجةٍ بالغضب والعار ..لتخطف يارا فكره وهي تصرخ بعماد.

-وما الفائدة ....إن مات أو أعدموه شنقًا أو حرقًا هل سيعيد ذلك أخي !!؟هل موته سيعيد لي والدتي ووالدي وحياتي الماضية ؟

-لن يعيده سوى إرادة الله سبحانه ..ولكننا نكون قد طبقنا عدالة الأرض والقانون .

-قانونك الغبي لن يفيدني بشيء .

و جلس رواد على الأرض أمامها يحاول قول أي شيء لتهدئتها أو حتى لتهدئة ضربات قلبه المجنونة لكنه لم يفلح ...ففي كل مرة يقرر فيها أن يهرب من جحيم عائلته ..تطارده لعنتهم ،فعلا هي محقة بكل كلمة قالتها قبل قليل ...هم لعنة وعار ليس عليها فقط..

بل عليه وعلى أخته وعلى كل أحد لهم به صلة ما .

نهض وغادر المكان من فوره ...كان قبل بضع ساعات يطير كعصفور حر على خشبة المسرح معها وكانا كعاشقين نسيا الزمان والمكان والآن هو كدودة حقيرة بين حبيبات تراب الأرض ، وذهب عند أمه..

وسهير من الآن ترتدي الأسود استعدادًا ليوم الفاجعة الموعود، كانت تجلس على الأريكة المخملية تقلب صورًا لعائلتها بيوم كانوا فيه سعداء أو على الأقل يمثلون السعادة أمام عدسة الكاميرا ويا لها من تمثيلية أتقنوها ، والآن هي وحيدة محطمة

لم تفدها أمولها في تبديد الكارثة التي حلت بها ..قرع جرس الباب لتذهب الخادمة وتفتحه، خطى الى الداخل وقدماه تضربان الأرض ضرباً حتى صار قبالة والدته، ولحظات حتى استوعبت فكرة أنه رواد...بعد كل تلك السنوات ابنها الآن أمامها، لكم تغير وأصبح وسيما "

وقفت من فورها وابتسمت ابتسامة منهارة وسط دموعها التي هطلت بصدقٍ أول مرة ، تقدمت خطوتين تريد احتضانه ، استنشاق عبيره، تلمس وجهه وتقبيله، لكن حقده على عائلته أعميا بصره عن دموعها ولهفتها..

لوح ببيده مهدداً بكلمات كالحجر زادت من تحطيم قلب أمه

-أقسم بالله العظيم إن مات داني فسأ .....

وهنا قاطعته بخفوت ..

-و مالذي ستفعله وإعدام أبيك بعد غد ؟ هل هنالك انتقام أقوى من هذا بني ؟!

وصمت رواد محدقاً بأمه .

******

ودخلت يارا إلى أخاها الممدد على السرير ، تلمست جبهته التي لطالما اشتاقت إليها وانحنت على صدره ،

والآن ضحيتان محطمتان بجانب شابٍ راقد على سريره يقاوم الموت .دخل الطبيب محاولا أن يشرح لهما وضعه الميؤوس منه لكن عماد منعه من ذلك

سحبه من يده متوسلاً أن يعطيهما أملا حتى ولو كان زائفا على الأقل لبضعة أيام أخرى ولكن الطبيب صمت ..لا يريد أن يكذب بإعطاء أمل وإن كان واهيا فأخلاقه كطبيب يحترم صدق مهنته لا تسمح له بذلك ...لكن الله على كل شيء قدير بقي صامتاً و ترك الرجل لقدره ومضى في عمله متأملاً حدوث معجزة .

يارا لم تفارقه لحظة واحدة ... طوال أيام تجلس بجانبه تحادثه وتكلمه عن كل موقفٍ قد جرى لها ومعها

تمسح على شعره بنعومة وتتذكر أيام طفولتها مع داني الصغير ....المشاكس الذي كان ينعتها ((بالثمكة..)).

انعتني بأي صفة أو أي كلمة تريدها ....سمكة متوحشة ..قرش .المهم أن تفتح عيناك يا أخي ...لا أريدك أن تتركني وحيدة بعد أن عثرت عليك.

وطوال أيام تجلس بجانبه وتأبى أن تكلم رواد أو حتى ميرا كلمة واحدة و نظرة لم تمنحهما ..على الرغم من أنها تعود معهما إلى المنزل مجبرة لأنه زوجها ولا مكان آخر تذهب إليه ...

تنام وتأكل وتجلس بنفس المنزل ولكنها تتجاهله....وكأنه كأي جمادٍ آخر ، تستيقظ صباحاً وسط نظراته المحطمة إليها ثم تعاود الذهاب والمكوث بجانب أخيها ولا تعود إلا حينما ينتصف الليل أو حين تكون ميرا بجانبه والتي أبت هي الأخرى مفارقته.

وعماد يزوره يومياً يجلس على الكرسي كحارسٍ أمين وهو يتلو القرآن ويدعو الله ويتضرع إليه، حتى تقدمت ذات يومٍ الممرضة لتبديل الضمادات التي تغطي كتف داني وصدره ورأى عماد نفسه يتقدم منها بهدوء وهي تعقم لداني مكان الجراح، ارتبكت قليلاً عندما لاحظت نظراته المرتكزة عليها، وحاولت الانتهاء بسرعةٍ مما تفعله، وكادت ان تخطو خارجاً لولا استوقفها سائلاً :

-آنستي.... هل لي أن أعرف اسمك؟

استدارت بتلقائيةٍ وأجابته بهدوء: مَلَكْ

******

والآن ...ميرا ورواد أمام والدهما بعد أن أخذوا إذناً خاصاً لزيارته قبل يوم الإعدام، ميرا تشهق شهيقاً مكتوماً فهاهي ولآخر مرةٍ ستقابل والدها، وراد يحدق به بصمت بعينين محتقنتين بالدموع، وبما سيتكلمان الآن وبعد هذه السنين؟ لن تفيدهم الكلمات ولا العتاب أو حتى التأسف، وعاصم يحاول إشباع نظراته بولديه، وبلحظةٍ تمنى لو كانوا كأي عائلةٍ أخرى، تعيش بحبٍ ومودة، لكن كل واحدٍ اختار طريقه وكان لا بد من تحمل نتائج الاختيار.

نهض عاصم من كرسيه بروحٍ متهالكة انحنى تجاه ميرا وقبل جبهتها ثم التمس بطنها وابتسم بسعادةٍ طفيفة هامساً: اعتني به جيدا. واستدار ناحية رواد الذي زاد

توتره واختناق صدره، التمس بعيني والده حزناً وألماً وشعر للحظةٍ بفاجعة فقده، احتضنه عاصم بقوةٍ كبيرة ثم غادر مع الحارس.

****

وبيوم الإعدام جاءت سهير مسرعة ، كانت يارا خارجة من باب الصالة حينما طرق الباب ثلاث مرات متتالية لتفتح ميرا وتفاجأت ، وهل سترحب بأمها !!!

ولكن سهير لم تأبه لميرا الواقفة أمامها بل أبعدتها لتقتحم المنزل وتقف هناك بمواجهة يارا التي جمدت بمكانها لتعيد رؤيتها كل الآلام التي حاولت نسيانها طيلة سنواتٍ مضت ،ثبتت بصرها عليها بحقدٍ ثم صرخت :دمرتما حياتي. قتلتما زوجي واختطفتما ولداي مني

والآن ابنتي ...تحمل بأحشائها ابن الشيطان ...

لن أكون الخاسرة الوحيدة بينكم ....هل فهمتي أيتها الهمجية.....منذ مجيئكم إلى منزلنا قلبت حياة عائلتي،

لوثتي أفكار ابني ،وأخاكِ الكاذب حبك لعبة قذرة على ابنتي ...والآن لن ارتاح إلا حين أدمرك. .

ودقت الساعة الواحدة ظهراً ، نظرت سهير إلى الساعة الخشبية المعلقة على الحائط أمامها .....

ليقف عاصم على منصة الإعدام ، طلبوا منه أمنيَّة أخيرة قبل موته فابتسم ابتسامة الذئب الجريح قائلاً:

- أتمنى أن تستعجلوا موتي

كلمة أخيرة قالها مودعاً الحياة و نفذ فيه حكم الإعدام تزامنًا مع رصاصة انطلقت من مسدس سهير الذي أشهرته بوجه يارا .

إلا أن رواد الذي دخل من الباب بالوقت المناسب قد استطاع اختطاف المسدس من يدها بآخر لحظة لتخترق الرصاصة الحائط ، وصرخ محكماً قبضته على يد أمه التي سقط المسدس منها ليرتطم على الأرض

-كفى حقداً ...لا نريد مزيدا من الخسائر...رجاءاً "

نظرت لولدها مطولاً وجسدها يرتجف..

رأت عيناه الفزعتان على زوجته واعتصر قبضتها بيده أكثر.. كان كلامه بارداً قاسياً عنيفاً وابنتها ميرا كذلك بيدين ترتجفان احتضنت يارا التي كانت ذاهلة لما حصل للتو ولم تستوعب الأمر إلا حينما رأت الرصاصة قد أحدثت فجوة في الجدار بجانبها.

وقالت ميرا تتوسل والدتها بصوت متهدج...

-أمي ارجوكٍ إن كان بقلبك ذرة حب واحدة تجاهي

أخرجي من حياتنا ..أتركينا وشأننا ، لم أعد اريدك "...

لتبقى سهير وحيدة تقف أمامهم بنصف حياة ،

كلامٌ قاس وموقف لا تحسد عليه أي أم قد خسرت كل شيء بأنانيتها وحقدها الأعمى ، لم تستطع تحمل صدمة أخرى ،ولم تحتمل فقدان ميرا ورواد كما فقدت عاصم .

انهارت على الأرض راكعة تبكي بقوة وقد تحطم فؤادها وسط ذهول يارا وألم ميرا ، فما كان من رواد إلا أن ركع أمام أمه ونظر داخل عيناها المنهكتين قائلاً بلطف :

إنسي كل ما حصل و ابدئي صفحة جديدة "

تلمست وجهه بيديها المرتعشتين وأطلقت العنان لعاطفتها هذه المرة كأم حقيقية محبة فقدت طفلها مرة ولا تريد أن تفقده مرة أخرى ، ارتمت بين أحضانه صائحة به :اشتقت إليك يا ولدي"

*****

وكان يوما مشمساً جميلاً...فتحت فيه ستائر غرفتها كما العادة ..صنعت لرواد فنجان قهوة ثم أخذت حماماً وتنشطت قليلاً قبل أن تذهب إلى داني ، وكعادتها أمسكت بيده وبدأت تحادثه ..

تناست كل شيء من حولها وهي تحكي له هذه المرة نجاحها في العرض الأخير ووصفت له كل شيء قد جرى .... واسترسلت بشكل كبير لتحكي له عن رواد...حبيبها وصديقها ومنقذ حياتها ...

حكت له كيف أنه اختارها للمرة الثانية مثبتاً عشقه الكبير وحبه لها.. تكلمت وتكلمت وميرا بجانبه تحادثه بابتسامةٍ واهنة عن حملها حتى شعرتا برعشة خفيفة من يده جحظت عيناهما عندما لمحتا عينه ترمش قليلا لتنكب أمامه يارا أكثر وهي تصرخ باكية ...

-أنت تسمعني ....أنت تسمعني أخي أليس كذلك "

وركضت بعدها ميرا لتنادي على الطبيب.

****

وعاد إلى الحياة من جديد...بعد عدة ليال من التحسن الملحوظ والاستجابة للمؤثرات الخارجية ، شهقة خفيفة من حنجرته المتحشرجة خرجت ثقيلة خشنة لكنها تحمل حياة جديدة إليه كطفل مولود حديثًا صرخة بكائه تخبر جميع من حوله أني هنا ...قد جئت إلى هذا العالم فاستقبلوني.الحياة أعطته فرصة ثانية لكنه لم يشعر بقدميه وكأنهما لا ينتميان لهذا الجسد لأن إصابة ساقيه كانت قوية جداً حالت دون وقوفه على الاقل بالفترة الحالية على الرغم من أن أمله في الشفاء كان قوياً جدًا

دخل منزله الذي تبددت برودة جدرانه ليحل محلها دفئ جميل انساب إلى قلوب الجميع بلا استثناء حتى يارا ببكاء مرير في يوم لم يكن كغيره من الأيام واحتضان لرواد زوجها حبيبها وصديقها فرحاً على عوده أخيها أذابت كل ذلك الجليد الذي كان يحاول السيطرة على كيانها.تناسى كل تلك الكلمات القاسية التي قالتها له كردة فعل غاضبة وتناست هي كذبته البسيطة عليها وابتدأت معه صفحة جديدة خاصة بعد أن اخبرها داني على كل شيء قد فعله طيلة السنوات الماضية .

وهاهو الحب ينتصر في النهاية ليعودا عاشقين يجمعهما شغف رقص الباليه

وعماد قرر أن يبدد وحدته الخانقة برفقة مِلكة قلبه وعقله مَلكْ.

و على كرسي رمادي متحرك في شرفة منزله يجلس داني مع ابتسامة منهكة ولكنها جميلة أعادت الإشراق لوجه زوجة دمرها الحزن ،ممسكا بيدها ماسحا تلك الدمعة التي انسابت على وجنتيها قائلا :

صدقا حبيبتي أنا بخير ...أحمد الله كثيرا لأنه أعطاني فرصة ثانية لأعيشها معك حتى ولو على هذا الكرسي

،أشكره لأني استطعت مجدداً رؤية وجهك العذب كل صباح والتماس انتفاخ بطنك الذي يحمل بطفلي الصغير الذي سأحبه وسأرعاه بكل ما أملك من قوة وعطف.

أنا الآن أسعد إنسان في الوجود لأن عائلتي قد عادت من جديد ...أنت ،يارا ورواد ، أريد أن أعيش حياتي لآخر ما تبقى لي فيها ولكن بحب ومودة .يجب علينا أن نمحو الماضي ،أن نمزق أوراقه لنستمر فهذه الحياة لا قيمة لها إن لم ننسى آلامنا ونسعى قدماً .

ومن يدري بعد أن عدت من الموت بمعجزة لعل الله سبحانه قد يكتب لي أن أسير على قدماي من جديد .

((تمت بحمد الله))

2017 / 4 / 30

الرقصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا

أعمال أخرى للكاتبة :

رواية بين عالمين	(الكتروني_ مع دار حروف منثورة)
رواية رهينة الواقع العاجز	(مع دار يافي للنشر 2019)
قصة انتقام من نوع آخر	ضمن كتاب رسائل لوسيفر (2019)
سيناريو(مجموعة قصصية)	الكتروني (دار أركان)
رواية جرح بملامح إنسان	مع دار يافي للنشر (2020)
قصة صندوق الحب	ضمن كتاب ليلة فاصلة (2020)
قصة مدينة الضياء	مع دار السكرية للنشر (2020)
قصة حاجز الصمت	مع دار دريم بن للنشر (2020)
قصة الوافد الجديد	مع دار شهرزاد للنشر(2020)
عناقيد دمشقية (خاطرة)	ضمن كتاب روح وزعفران (2020)

للتواصل مع الكاتبة enas.salma2017@gmail.com

القصة الأخيرة بقلم إيناس مهنا